

أبو الوفا المراغي
مدير المكتبة الأزهرية

الشيخ المراغي

بأقلام الكتاب

المطبعة المنيرية

أبو الوفا المراغي
مدير المكتبة الأزهرية

الشيخ المراغي

بأقلام الكتاب

المطبعة المنيرية
بالأزهر

الطبعة الأولى

١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م



المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين .

وبعد : فإن شخصية الشيخ المراغى شخصية تاريخية خصبة سينضجها الزمن حتى تبدو للناس يانعة ناضجة شأنه فى ذلك شأن عظماء الرجال يزيدهم توالى الأعوام نضوجا واكتمالا كالمعادن الكريمة يزيدها القدم لمعانا وإشراقا .

وإلى أن تتاح الفرصة لإخراج صورة كاملة لتاريخ الشيخ المراغى رأيت أن أجمع ما كتب عنه بمناسبة وفاته وذكرياته مما دبجته أقلام الكتاب وأصدره فى كتاب مستقل ليكون فى المستقبل مصدرا لمن يعالج كتابة تاريخه .

ولقد جمعت تلك المقالات أهم العناصر التى تكون ذلك التاريخ هذا إلى أنها معلومات صحيحة صادقة كتبها كتاب معاصرون له لم تعمل فيها يد الزمان بالعبث والتحريف . وإنه لعمل له خطره التاريخى لمن يعالج تراجم الرجال .

الشيخ المراغى

ملخص لترجمة حيـــاته

هو الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر وقاضى السودان الأكبر سابقا ، ولد فى قرية « المراغة » من مديرية جرجا فى شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ هـ الموافق مارس سنة ١٨٨١ م . ولما ترعرع بدأ حياته فى التعليم بحفظ القرآن الكريم على النظام الذى كان يعرف فى الريف فى القرن الماضى ، ولمـا أكمل استظهاره أخذ يختلف إلى أحد العلماء فى مدينة طهطا التى تجاور المراغة ، ولم يلبث طويلا حتى اتجهت نفسه إلى أن يأتى لمصر ليدرس فى الأزهر ، وكان طريقة الدرس فيه إذ ذاك هى الطريقة التى ألفها الناس فى جميع مدارس الشرق ومساجده ، فليس ثمت نظام يقيد الشخص ويحد من حريته فى اختيار الأستاذ وتخير الكتاب الذى يناسبه . وكان بالأزهر بل فى مصر عامة آنئذ حركة فكرية عامة رفع منارها المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى وقفى على أثره تلميذه المرحوم الإمام محمد عبده ووجه الأفكار إلى طريق جديد للدرس والبحث وحرية التفكير ونبه الأذهان إلى أن تصرف عنهـا مايحول دون وصولهـا للحق ، وأن تعمل على البحث للحقيقة وللحقيقة فقط غير متأثرة بشىء وراءها ونبه الجامدين الجاهلين إلى مواطن الضعف فى نفوسهم وإلى أن الإسلام الذى يدينون به يعترف للعقل بالسلطان الكامل ويغذيه وينميه .

كان لهــــذا الجو الذى لابثه الأستاذ فى بدء حياته الدراسية أكبر

الآثار فى تكوين عقليته الإسلامية الدينية الحرة التى لا تعرف إلا السعى وراء الحقيقة مهما لاقى فى سبيلها من عنت وصادفه من صعاب . وقد كان فى مستهل شبابه يبدى من الرأى ما كان يثير إعجاب زملائه وهم أوفى منه سنا وأقدم منه عهداً بملابسة حياة الأزهر .

وكان كثيراً فى الأزهر إذ ذاك أن يقـــدم طالب على دراسة فنون الحكمة وفروع الفلسفة ولكن الأستاذ — كما أسلفنا — كان شغوفاً بنشدان الحقيقة وتذوق العلوم التى تغـذى العقل وتمد من سلطانه على نواحى الحياة وإدراك ما بها فلم يبال بالخروج على ما ألف الأزهريون من عـــلوم تداولوها خلفاً عن سلف طوال العشرة القرون الماضية واتفق هو وبعض أصدقائه على أن يتلقوا عن أحد الشيوخ فى منزله علوم الحكمة والفلسفة .

وكان أكبر همه إذ ذاك أن يعتمد على نفسه فى تحصيل الدرس وتفهم المسائل فكان يبدأ الكتاب على أحـــد أشياخه ثم يتمه مذاكرة مع أحد زملائه .

وكان الأستاذ الإمام يقرأ فى الأزهر دروس البلاغة والتفسير وللشيخ عبده طابعه الخاص الذى عرفه عنه والذى تظهر آثاره فى أغلب تلاميذه كما تظهر فى مؤلفاته التى يصدر فيها عن تفكير حر خالص فلازم الأستاذ فى دروسه .

ورغم هذه المدة القصيرة التى قضاها فى الأزهر على خلاف ما عهد الناس فى طلاب الأزهر إذ ذاك تقدم فى مستهل عام سنة ١٩٠٤ لشهادة العالمية وكان موضع إعجاب الأساتذة فى لجنة الامتحان وتقديرهم .

بهـــذه الروح القوية التى كان للعوامل التى أسلفناها أكبر الآثار فى تكوينها بدأ الأستاذ الأكبر حياته قاضيا فى مدينة دنقلة فى نوفمبر سنة ١٩٠٤ والسودان إذ ذاك بلد يخافه ويخشاه كثير من الناس ولكن همة العظيم تنير له من الطريق ما يظلم على غيره وتلهمه تذليل ما يعسر تذليله وتتلقى من الفيض ما يعده لتزعم الجماهير والجماعات فى الناحية التى تهيأ لهـا ، وكان مع هذه السن الناشئة موضع إجلال الوسط الذى عاش فيه وتقدير الأهلين .

وظل فى هذا المنصب حتى ديسمبر سنة ١٩٠٦ وفيها عين قاضيا لمديرية الخرطوم وهو أكبر مركز قضـائى فى السودان بعد وظيفة قاضى القضاة ، وكان مثال القاضى النزيه الحر التفكير حتى استحق ثنـاء رجال القضاء والمتقاضين .

وفى سبتمبر سنة ١٩٠٧ عين مفتشا بوزارة الأوقاف بمصر ولم يلبث طويلا حتى عين فى أغسطس سنة ١٩٠٨ قاضيا لقضاة السودان ، وفى هـذا المنصب بدأت مواهب الأستاذ وكفاءته تظهران فى جميع النواحى التى كان له يد فيهـا .

فقد كان له فى الناحية القضائية أكبر الفضل فى تنظيم القضاء الشرعى من الناحية القانونية والنظامية على وجه رفه على الناس كثيرا ممـا كانوا يلاقونه من عنت ومشاق أمام جمود بعض النصوص وتعقيد طرق التقاضى .

وفى الناحية الاجتماعية كان المثل الأعلى لكرامة رجل الدين والمحافظة عليها جهده . وكان له فى ذلك مواقف يذكرها فيشكرها كل من أدرك عصر الأستاذ فى السودان واستطاع بفضله ورقة محضره وحسن تصريفه للأمور

أن يكون بحق مطمح أنظار المسلمين عامة فى الخرطوم وأن يكون لهم الأب البـــار العطوف الذى يحدب على أبنـائه ويرعى صالحهم وأن يجعل بيئـة الموظفين هناك تفيض غبطة وتطفح بشرا .

واستطاع أن يبرز شخصية الحاكم الشرعى وقاضى القضاة بإزاء شخصية القابضين على زمام الأمر هناك وأن يلائم بين رغبات السلطات فى أناة ورقة .

وقد طال المقام به فى السودان ورأى أنه غير قادر على تحمل الأجواء والأهواء هناك ، وغالبه الحنين إلى بلد احتضنه صغيرا فمن الخـير أن يرعى وده كبيرا فنقل إلى مصر فى سبتمبر سـنة ١٩١٩ بوظيفة رئيس للتفتيش الشرعى ، وبالرغم من قصر المدة التى قضاها فقد استطاع أن يعطى عن طريق البحث الهـادىء نماذج من الفـكر الرصين ، وكان له من هذا المنصب باعث على التفكير فى إصـــلاح القضاء الشرعى فى شتى نواحيه والعمل على وضع الأسس التى يستطاع بها إدراك هـــذا الغرض الذى وفق إلى شىء منه أثناء توليته رئاسة المحكمة العليا .

وفى يونيو سـنة ١٩٢٠ عين رئيسا لمحكمة مصر الشرعية وظل بها حتى يناير سنة ١٩٢١ ثم عين عضوا بالمحكمة العليا الشرعية وبقى بها حتى ديسمبر سـنة ١٩٢٣ ، ثم عين رئيسا لمحكمة مصر الشرعية العليا فرأى أن الوقت قد حان بعد تلك المناصب التى تولاها عقب رجوعه من السودان لأن يقوم بالخطوة الواسعة التى يقتضيها إصـــلاح القضاء الشرعى على ضوء ما رأى فى السودان وفى مصر فى تلك الفترة القصيرة فـكان فاتحـة العمل البحث فى إصـلاح الأحوال الشخصية بعد ماضج الناس وبرموا بالحال التى كان عليها قانون الأحوال الشخصية وما جنى هـذا القانون وجمود القضاة على الأسر

وما أفسد من ذمم وبدل من علاقات فاستطاع أن يأخذ من التشريع الإسلامى من غير تقيد بمذهب معين مارآه يسد الحاجة ويفى بالغرض ، وكان بحكم منصبه عضوا فى المجلس الأعلى للأوقاف والمجلس الحسبى العالى فاستطاع أن ينفخ من روحه فى المجلسين ما رأى من فكر ناضج وتقدير للمصلحة فى جو من البحث الحر والرأى الهادىء ولا يزال رجال القضاء والمحامون يذكرون للأستاذ تلك المبادىء السامية التى كان يقضى بها ولا تزال دستورا لمن خلف من بعده فى المحكمة كما يذكرون للأستاذ ما كانوا يلقون من تبسيط لقواعد العمل وتسهيل لحاجات الخصوم ، وقد تقدم وهو فى رئاسة المحكمة العليا للحصول على كرسى فى هيئة كبار العلماء برسالة موضوعها « الأولياء والمحجورين » فكان لها فى الدوائر العلمية الأزهرية والقضائية أجل موضع وأسمى تقدير لما اشتملت عليه من بحوث لها أكبر القيمة وأجل الخطر .

وفى مايو سنة ١٩٢٨ عين شيخا للجامع الأزهر فكانت تولية الشيخ فى تجاربه والشاب فى سنه أكبر أمارة على إذن الله بيده عهد الإصلاح لهذا المعهد بعد ما لعبت به أيدى الهوى عهدا طويلا وبعد ما خيمت عليه غواشى الجمود حتى ظن الناس أن لاخلاص منها

بدأ عمله فى الأزهر بالبحث عن العلل التى يشكو منها أهل الأزهر وعن العوامل التى يمكن أن يؤدى الأزهر بها رسالته وهو تلك الجامعة ، التى تستشرف لها الأبصار فى جميع أقطار الأرض ليقتبسوا منها نور الثقافة الإسلامية ، فهداه البحث إلى وضع قانون كفيل بحاجة الأزهريين وبالقيام بما يسد حاجتهم ويضمن بالعمل به تأدية الأزهر رسالته على الوجه الأوفى ، ولكن تلك الشعلة التى أضاءت ما حولها عشى بها كثير ممن لا يستطيعون

أن يسايروا روح الإصلاح وجدت عوامل لم تكن فى الحسبان فآثر الشيخ أن يدع العمل ويترك لمن يتولى الأزهر القيام بما يمكن نحو إصلاح هذا المعهد وبقى قرابة ست سنوات بعيـــدا عن معهد كان يرجو فى قربه كل أمل وينشد كل خير .

ولكن روح الإصلاح التى بعثها الشيخ وجذوة الأمل التى أوقدها لم تكن لتخبو رغم ما عمل على إطفائهـا فظل الأزهريون يرنون بأبصارهم نحو ذلك المصلح الكبير حتى إذا اختمرت العزيمـة قاموا بعنف يطلبون رسول الإصلاح لينقذهم وليدفعهم نحو الطريق السوى فى الحياة .

عين الشيخ مرة أخرى عميدا لهـــذه الجامعة التاريخية فى أبريل سنة ١٩٣٥ فتلقاه الأزهر بما يتلق به صاحب الأمل من يمهد له هذا الأمل الحلو ونادوا به رمزاً للأزهر لا شيخا للأزهر واستطاع فى مستهل عمله أن يضع قانونا جامعا لما احتواه قانونه السابق وما رآه بعد تجاربه فى تلك السنوات الست واستطاع أن يصدره ليجد منه سنداً لمـا ينشده من إصلاح حرص عليه منذ توليه الأزهر فى المرة الأولى .

ورأى أن يساهم الأزهريون بنصيب فى البعوث التى ترسل إلى الجامعات الغربية ليستطيع الأزهر بواسطتها أن يلائم بين هذه الثقافة التى ورثها وبين ماجد فى الحياة من ثقافات ليؤدى رسالته على الوجه الأكمل كجامعة تعد من أقدم منابع العلم فى العالم .

وقد رأى الشيخ أن يتصل بأبنائه الطلبة عن طريق الدرس والتأليف ، فبـــدأ يدرس أكبر كتاب فى أصول الفقه ووضع كتابا فى اللغة ونموها وطرائق رقيها وعوامل انتشارها وناقش بعض الآراء التى ورثها الناس

كقضايا مقطوع بصحتها ، فكان له فى هذا الباب فضل التجديد فى البحث وتحديد الآراء فيما شجر بين العلماء من خلاف ، ويعد هذا الكتاب بحق نموذجا للتفكير الحر والإنصاف فى أمور تلقاها الناس بالتقديس والإجلال .

وقد توفى الشيخ رحمه الله فى ١٤ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ م . ودفن فى مقبرة خاصة به بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها .

الشيخ المراغى والأزهر

لأبى الوفا المراغى

ولى الشيخ المراغى الأزهر مرتين : الأولى قصيرة ومدتها أربعة عشر شهرا ، والثانية طويلة تبلغ نحو عشر سنين ، وكانت الفـــترة الأولى فترة الغراس والثانية فترة الازدهار والإيراق والأثمار أو كانت الفترة الأولى فترة التخطيط ووضع المشروعات والثانية فترة التنفيذ .

ولى الشيخ المراغى الأزهر سنة ١٩٢٨ ، وكان الأزهر قد وصل إلى حالة خطيرة من الضعف وخاصة فيما يتعلق بمستقبل خريجيه ، فقد سلبت عنهم الوظائف التى كان لهم أن يشغلوها فى الدولة ، سلبت عنهم وظائف التدريس فى المدارس بعد إنشاء مدرسة دار العلوم ، ثم وظائف القضاء الشرعى بإنشاء مدرسة القضاء ، وأخيرا كادت تسلب عنهم وظائف الوعظ ، فقد عزمت وزارة الأوقاف على إنشاء مدرسة خاصة به ، كل ذلك جعل الأزهر وخريجيه يبعدون عن أعمال الدولة وينطوون على أنفسهم ويحسون إحساسا مريرا بضآلة حظهم بين إخوانهم خريجى المعاهد الأخرى ، وبحرمانهم من المزايا التى يتمتع بها هؤلاء ، واتسعت الهوة بينهم وبين جماهير الأمة نتيجة لذلك حتى أنكرهم بعض الناس ، وكان ذلك سببا فى انصراف الناس عن الأزهر فلم يعد كثير من المواطنين وقد أخذ عيونهم بريق المستقبل الخلاب بالمدارس يفكر فى أن يسلك أبناءه فى الأزهر وحاله على ما وصفناه .

وقد وصف الشيخ المراغى هذه الحالة ردا على سؤال لمحررى الهلال فى يونية سنة ١٩٢٩ ـ ما هو انتقادكم على الأزهر بحالته الراهنة ؟ ؟

فقال كان الأزهر قديما يسد حاجة البلاد ، لأنه لم يكن يعرف فى مصر معهد للتعليم يفضله . وكان علماؤه إلى زمن محمد على مجموعة المتعلمين فى القطر ولم يكن الناس يقرون بالحركة العلمية فى الخارج ولا يعتقدون أنه فى الامكان أبدع مما فى الأزهر ، ولكن انتشار المدارس النظامية وانتشار المطابع والمجلات وحركة الرقى العام فى الأمة . كل هذه كان من شأنها أن تجعل الناس ينظرون إلى علماء الأزهر نظرهم إلى الشخص الذى لا يكفى حاجة الناس وأرادت الحكومة أيام على باشا مبارك أن تأخذ من الأزهر علماء للتعليم فلم تجد كفايتها لأن طريقة التعليم القديمة لم تكن تلائم حالة النشء وبهذا السبب اضطرت الحكومة إلى إنشاء دار العلوم وجاءت بالطلبة من الأزهريين أنفسهم ومن هذه المدرسة تخرج معلمو اللغة العربية فى المدارس الأميرية وأرادت الحكومة أيضا أن تصلح القضاء الشرعى فلم تستطع أن تعول على علماء الأزهر فاضطرت إلى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى ، فهذا الأزهر الذى يختص بدرس الدين واللغة لم تجد الحكومة فيه حاجتها من علماء الدين واللغة واحتاجت إلى إنشاء مدرستين خاصتين لهما . بل لقد أرادت وزارة الأوقاف فى العام الماضى إنشاء مدرسة للوعظ والإرشاد لأنها ظنت أن علماء الأزهر غير قادرين على تأدية هذه المهمة . وكان لهذه المدرسة مخصصات فى ميزانية سنة ١٩٢٨ فتدخلت أنا ومنعت إنشاءها اعتمادا على أننا نستطيع باصلاح الأزهر أن نستغنى عنها » ويقول فى مذكرته الإصلاحية المشهورة » ولكن العلماء أخيرا استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا طمع لهم فى الاجتهاد ، فأغلقوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد بها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الجديث وجهلوا ما جد فى الحياة

من علم وما وجد فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم فتقموا على الناس فلم يؤدوا الواجب الديني الذى خصصوا أنفسهم له فأصبح الإسلام بلا حملة، تلك كانت حالة الأزهر إذ ذاك ، وكان الشيخ المراغى يألم لها ويود إصلاحها لو أمكنته الظروف وكان يتصل بالأزهر بأكثر من سبب فهو أحد خريجيه أولا يغار تمام الغيرة على معهده وأحد رجال الدين ثانيا والأزهر حامل لواء الرسالة الإسلامية ويهم رجـل الدين المستنير أن يكون نبعا ضافيا ومعهدا قادرا على أداء رسالته ، ثم هو بعد ذلك متتبع لحركات الأزهر وثوراته فى سبيل الإصلاح عالم بعيوبه فما ولى الأزهر حتى كتب مذكرته الاصلاحية المشهورة التى تعتبر بحق دستور الاصلاح فى الأزهر الحديث ووضع قانونا أودعه آراءه وأفكاره وخلاصة تجاربه ، وأهم ماجاء فيه تقسيم القسم العالى بالأزهر إلى كليات ثلاثة : كلية أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية . وإنشاء قسم للدراسات العليا يسمى تخصص المادة ، ثم بعض المواد فى كيفية إدارة الأزهر والإشراف عليه وهى التى كانت سببا فى استقالته سريعا من الأزهر .

كان عهد المراغى الأول فى الأزهر قصيرا ولكنه كان خطيرا بآثاره ونتائجه ، خطيرا فى تاريخ الشيخ فى الأزهر وخطيرا فى تاريخ الأزهر . وفى نفوس الأزهريين فقـد كان لآرائه فى المذكرة وفى نفس القانون موقعها من نفوس طلاب الأزهر وقلة من علمـائه وتحققوا فى صاحبه ماكانوا يسمعونه عنه فاجتمعت قلوبهم عليه والتفوا حوله حتى إذا قضت الظروف باستقالته تبعته نفوسهم وظلت تهفو إليه قلوبهم ، وظل أملهم المرجى وإمامهم المنتظر وما تركوا فرصة للتعبير عن تعلقهم به حتى انتهزوها حسبما تسمح الظروف به إذ ذاك وكانت ظروفا قاسية فى أكثر الأحوال

ولاقوا عنتا كثيرا وما آذنت تلك الحال بالتحول حتى قام الأزهريون على بكرة أبيهم وفى مظاهر من العنف والشدة ومن ورائهم الأمة جمعاء يطالبون بعودة الشيخ إلى الأزهر ليواصل ما بدأ وينفذ ماصمم ولم يجد المسئولون إزاء الإجماع الرائع والتعلق الشديد بدا من النزول على حكمه فعاد الشيخ إلى الأزهر عودة القائد المظفر والرائد المنتظر فاستقرت قلوب الأزهريين واطمأنت نفوسهم وأرادوا التعبير عن ولائهم له والسرور بعودته ، فأقاموا لذلك حفلا لتكريمه بأرض المعرض الزراعى بالجزيرة احتشد فيها نحو ١٥ ألف رجل من جميع الطبقات وسائر الطوائف وحضره بعض الأمراء ورجال الفكر والسياسة فى العالم وألقيت فيه خطب رائعة عدد فيها من مناقبه وما ينتظره الأزهر والمسلمون على يديه وألقى هو خطبة من خطبه التاريخية شكر فيها المحتفلين وشرح حال المسلمين وما هم فى حاجة إليه من وجوه الإصلاح ، وقد صدرت الصحف صباح الحفل تشيد بنظامه وبما ألقى فيه من خطب وقصائد وتهنىء الشيخ وتغبطه على مقامه فى الأزهر وفى الأمة حتى لقد قال بعض رجال الصحافة : لم يشهد العالم لا فى أوروبا ولا فى مصر حفلا اجتمع له من أسباب الروعة والنجاح ما اجتمع لذلك الحفل .

عاد الشيخ إلى الأزهر مرة ثانية ، وفى تلك المرة يبدأ تاريخ الشيخ فى الأزهر كما يبدأ حقبة جديدة فى تاريخ الأزهر فما من نظام من نظم الإصلاح فى الأزهر الآن إلا وهو من عمل الشيخ المراغى سواء فيما يتعلق بمستقبل خريجيه أو بعلاقته بالدولة أو الأمة .

ويحسن هنا قبل أن ندخل فى تفاصيل العهد الثانى للشيخ أن نذكر أن خلفه فى المرة الأولى المرحوم الشيخ الأحمدى الظواهرى اغتنم استقالة الشيخ

وما لابسها من ظروف ، فأصدر القانون الذى وضعه الشيخ المراغى بعد أن حذف منه ما كان سببا فى استقالة الشيخ المراغى وهى بعض المواد الخاصة بإدارته ونسبه إلى نفسه وافتتح كليات الأزهر التى وضع الشيخ المراغى فى القانون مشروعها وقد نسبها صاحب كتاب « السياسة والأزهر » إليه خطأ ، ولكن الواقع أن القانون الذى أصدره الشيخ الأحمدى بحذافيره ودعى بقانون سنة ١٩٣٠ هو قانون الشيخ المراغى الذى وضعه سنة ١٩٢٨ واستقال بسببه من المشيخة للخلاف بينه وبين الملك فؤاد على بعض المواد الخاصة بالإشراف عليه .

بدأ الشيخ المراغى عهده الثانى بإعادة النظر فى قانون سنة ١٩٣٠ وعدل فيه ما أثبتت التجارب وجوب تعديله ثم أخذ فى تنفيذه . وكانت الأسباب قد تهيأت لذلك وزال من طريقه كثير من العقبات ، وكان للأخطاء التى وقع فيها الشيخ الأحمدى أثر كبير فى تحسين العلاقات بين الشيخ وبعض علمائه وخاصة كبار السن منهم الذين كانوا ينظرون إلى الشيخ فى عهده الأول نظرة خوف وحذر ، فقد قسا الشيخ الأحمدى فى معاملة الأزهريين قسوة شديدة أسخطتهم عليه وصرفت عنه من كان يحسن الظن به وكان من تصرفاته أنه أصدر قرارا واحدا استغنى به عن اثنين وسبعين مدرسا من مدرسى الأزهر وقد دبرت مؤمرات لاغتياله وما قارب عهده بالانتهاء حتى كانت قلوب الأزهريين جميعا نارا تلظى بكراهته والسخط عليه ويتمنون زوال عهده ، وكان الإصلاح فى نظر الشيخ المراغى يقوم على ركنين . الأول : تخريج العالم الكفء الذى يصلح لتأدية رسالة الأزهر وهى نشر الدين فى مصر وغيرها ، والثانى : كفالة المستقبل لخريجى الأزهر ليحتفظوا بكرامتهم ويؤدوا رسالتهم ، وحول هذين الركنين يدور كل ما وضع

من إصلاح فى قوانينه وميزانيته ، ولتحقيق الركن الأول : فكر فى إنشاء الكليات وخصص لكل كلية رسالتها ووضع لها منهجها الذى يعد خريجها إعدادا كاملا لأداء رسالتهم فأضاف إلى العلوم التى كانت تدرس فى الأزهر علوما رآها ضرورية لإعدادهم ، مما لم يكن يدرس فى الأزهر من قبل كما أضاف إليها بعض اللغات الأجنبية ، ولتحقيق الركن الثانى بين فى القانون حقوق المتخرجين فى كل كلية من وظائف الدولة . وكان أخطر ما عمل وأشده دلالة على بعد نظر الشيخ فى هذا الصدد أنه وضع فى القانون فقرة صغيرة لم يتنبه إلى خطرها أكثر الناس ولم تستبن قيمتها فى مستقبل خريجى كليتى اللغة والشريعة إلا عند التطبيق تلك الفقرة هى « أن خريج كليتى اللغة والشريعة بالأزهر صالح للتدريس بمدارس الحكومة » فلما خرجت الكليات طالب بتعيين بعضهم فى مدارس الحكومة فثارت ثائرة مدرسة دار العلوم وأنكروا عليه ذلك فقال لهم وللمسئولين أننى أطالب تنفيذ القانون فقالوا له : وأين ذلك القانون الذى يعطى الأزهريين ذلك الحق؟ فأحالهم على تلك الفقرة . وتوترت العلاقة بينه وبين الحكومة إذ ذاك وهمّ بالاستقالة لولا أن تدخلت جهات فى الأمر وأجيب الشيخ إلى ما طلب وعين اثنان من خريجى اللغة العربية بوزارة المعارف فكان ذلك إيذانا بانفراج أزمة الأزهريين فى الوظائف وانفتاح باب الخير فى مستقبلهم ومشاركتهم إخوانهم خريجى المعاهد الحكومية فى وظائف الدولة وما زال الأزهريون يذكرون للشيخ ذلك الموقف الخطير فى تاريخ إصلاح الأزهر .

ولما اطمأن الشيخ إلى تنفيذ القانون وانتظمت الدراسات فى الكليات . أخذ يتابع خطواته الإصلاحية التى وضع أساسها فى مذكرته وقانونه .

وكان من أول الخطوات تفكيره فى إرسال بعثات أزهرية إلى أوروبا، وقد لقيت هذه الفكرة من بعض شيوخ الأزهر معارضة نفسية عنيفة، ولكنها صامتة . فقد كان الشيخ إذ ذاك أقوى من أن يقف فى طريقه معارض خصوصا والأزهريون لم ينسوا بعد كيف عاد الشيخ إلى الأزهر مرة ثانية ؟؟

ولقد كان الشيخ يخشى نتائج هذه التجربة على سمعة الأزهر وفى مستقبله. كان يخشى أن يجرف تيار المدنية الاوروبية مبعوثى الأزهر فيسيروا معها ويتأثروا بها فى أفكارهم وأخلاقهم . لذلك حرص كل الحرص وتروى ما شاء له التروى فى اختيار أعضاء تلك البعثة وظل يتشاور مع كبار المسئولين فى الأزهر فى ترشيحهم وظل هو يفحص المرشحين متوخيا فى ذلك تقدم السن وحسن الخلق ، ليكون ذلك أبعد عن التأثير عليهم ، وبعد مدة تمت الإجراءات لسفرهم وودعهم بنفسه على المحطة بخطبة ألمع فيها إلى الغاية منها وإلى مايساوره من الحيطة والحذر من نتائجها وتوزع أعضاء البعثة الى لندن وباريس وألمانيا وعاد بعضهم فى حياة الشيخ وولى بعض الأعمال، ولكن لم يحققوا كل أمله فيهم وكان يعلن ذلك إلى خاصته فى أسف ، لذلك لم يهتم بأن يرسل بعثات أخرى كما وعد فى خطبته فى توديع البعثة الأولى .

ثم أخذ الشيخ يتابع خطواته فى اصلاح الأزهر فأنشأ قسم الوعظ والإرشاد ووضع مشروع مبانى المدينة الأزهرية التى تجمع كلياته ومعاهده ومكتبته العامة ومساكن الطلبة ، وقد قام بعضها فى حياته وأنشأ لجنة الفتوى بالأزهر فأصبحت مثابة للمسلمين من سائر أنحاء العالم الإسلامى فى شئونهم الدينية .

ولما استقر به المقام فى المرة الثانية وتخفف مما كان يشغله من الشئون

الإدارية أخذ يقرأ كتاب التحرير في الأصول لطلبة كلية الشريعة بطريقة غير مألوفة في تدريسه فلفت أنظار العلماء إليه وأقبل بعضهم على دروسه في تقدير وإعجاب . وقد أحيا في عهد مشيخته الثانية سنة علمية قديمة وهي أن يلقي كبار العلماء دروسا للملوك والأمراء فأخذ يلقي على الملك فاروق وكبار رجال الدولة وجمهرة من الشعب دروسا في تفسير القرآن الكريم في عصور وأمسيات كل جمعة من رمضان مدة عشر سنوات بأسلوب مبتكر في التفسير أثار إعجاب العالم الإسلامي عامة والعلماء منهم خاصة . وقد طبعت تلك الدروس مسلسلة في مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥ وما بعدها ومستقلة في كتب خاصة . وقد حرص الشيخ على لفت رجال الأزهر إلى الجانب الأخلاقي في مكان رجل الدين . وكان بأفعاله وأقواله قدوة لهم في هذا الشأن . وله في الاحتفاظ بكرامته مواقف يتناقلها المعاصرون في إعجاب وتقدير . وقد شعر الأزهريون بهذه الروح وتحركت في نفوسهم بواعث العزة والكرامة وأحسوا بما كان للشيخ من أثر في مكانتهم الأدبية والاجتماعية .

وهنا حقيقة تاريخية هامة جديرة بالتنبيه والتنويه ، وهي أن تعيين الشيخ المراغي أولا وثانيا في مشيخة الأزهر . كان بدافع المصلحة العامة والرغبة من المسئولين في إنهاض الأزهر وإصلاح شئونه واستجابة لرغبات الأزهريين في تعيينه ولم يكن تعيينه لسبب سياسي وبتدخل عناصر أجنبية كانت على صلة بالشيخ وببعض أصدقائه السياسيين ، كما صوره خطأ بعض المؤرخين لغرض شخصي دنيء . ومن طرائف ما عمله الشيخ في عهده الأول أنه استبدل بجرايات الأزهريين — وهي مقادير من الخبز يأخذها العلماء والطلاب — نقودا يأخذونها احتفاظا بكراماتهم وصونا لهم عن هذا الوضع الذليل . وقد لاقى هذا العمل من أكثر الأزهريين ترحيبا وتأييدا ، فطالما تبرموا من هذا

الوضع وودوا لو يتقدم منه مصلح حتى كان ذلك هو الشيخ المراغى ، ويتصل بهذه الناحية ما عمله من إخراج الخزائن الخشبية من داخل الأزهر . وكانت تلك الخزائن بمثابة مخازن للطلاب يختزنون فيها كتبهم وبعض أمتعتهم الخفيفة من أكل وغيره وكانت مأوى لكثير من الحشرات كما كان منظرها وخصوصا البالية منها يؤذى نظر الأجانب ويعطيهم عن الأزهر فكرة غير لائقة . وقد آلم ذلك بعض الأزهريين ، حتى لقد قال بعضهم على سبيل الفكاهات : لقد خرجت البركة من الأزهر بخروج هذه الخزائن .

خطبة فى إصلاح الأزهر (١)

للشيخ المراغى

حضرات السادة الأعزاء :

أحمد الله جل شأنه على ماأولانيه من الكرامة بهذه المنزلة فى نفوسكم، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم وعاطفة الحب الفياض البادية فى قولهم وفعلهم ، فى شعرهم ونثرهم . ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذى أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم ويسهل على قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذنتم لى فى صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصى الضعيف واعتبارها كلها موجهة إلى الأزهر الشريف الذى تجلونه جميعا ، وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الإسلامية فى مصر وغيرها من البلاد . ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الأول على غرض التكريم فقد دل بالإشارة والتبع على معان أسمى من غرض التكريم ، دل على أن الأزهر خرج عن عزلته التى طال أمدها ، ونهض يشارك الأمة فى الحياة العامة وملابساتها ، وعزم على الاتصال بها ، ليفيد ويستفيد ، وهذه ظاهرة من ظواهر تغير الاتجاه الفكرى الذى نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن فى الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق للتعليم يجب أن تحتذى ويهتدى بها ، ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول تعليم الحساب والهندسة والتاريخ فى الأزهر وحول فائدة تعليمها

---

(١) ألقيت هذه الخطبة فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له عقب عودته إلى المشيخة للمرة الثانية سنة ١٩٣٥ م .

لعلماء الدين ، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية فى الفلسفة فى داره على شرط أن نكتم الأمر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة . والآن تدرس فى كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات وتعلم لغات أجنبية ، شرقية وغربية ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى فى هذه المناسبة ـ والحديث حديث الأزهر والأزهريين ــ ذلك الكوكب الذى انبثق منه النور الذى نهتدى به فى حياة الأزهر العامة ، ويهتدى به علماء الأقطار الإسلامية فى فهم روح الإسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذى نشر الحياة العلمية والنشاط الفكرى . ووضح المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ، ومكارم الأخلاق ، ذلك الرجل الذى لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن فى التاريخ ، ذلك هو الأستاذ الإمام محمد عبده ، قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملا ومن الوفاء بعد مضى هذه السنين ونحن نتحدث عن الأزهر أن نجعل لذكراه المكان الأول فى هذا الحفل ، فهو مشرق النور ، وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التى نلجأ إليها إذا اشتد الظمأ ، والدوحة المباركة التى نأوى إلى ظلها اذا قوى لفح الهجير ــ والأزهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التى يدرس فيها الدين الإسلامى الذى أوجد أمما من العدم وخلق تحت لوائه مدنية فاضلة . وكان له هذا الأثر الضخم فى الأرض ، فهو يوحى بطبعه إلى شيوخه وأبنائه واجبات إنسانية ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية يعدون مقصرين آثمين ، أمام الله وأمام الناس ، إذا هم تهاونوا فى أدائها وأنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم

إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته وفهموا روح الاجتماع واستعانوا بمعارف الماضين ، وبمعارف المحدثين فيما تمس الحاجة إليه مما هو متصل بالدين ، أصوله وفروعه . وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء والاستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة الإسلامية فى البلاد التى لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه ، وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم . ويحتاج إلى العزم والتصميم على طى مراحل السير فى هدوء ونظام . وجد وصدق نية ، وكمال توجه إلى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله ، وللمسلمين فى الأزهر آمال ، من الحق أن يتنبه أهله لها .

أولا : تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة فى المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامى وتاريخ الإسلام ورجاله . وقد كثر تطلع هذه الأمم إلى الأزهر فى هذه الأيام ، وزاد قاصدوه منها أفرادا وجماعات ، واشتد طلبها لعلماء الأزهر يرحلون إليها لأداء أمانة الدين ، وهى بيانه ونشره .

ثانيا : إثارة كنوز العلم التى خلفها علماء الإسلام فى العلوم الدينية والعربية والعقلية . وهى مجموعة مرتبط بعضها ببعض ، وتاريخها متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهودا مضنية ؛ وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة على أن بعضها متصل بالآخر كما هو الحال فى دراسة الأزهر ، فإذا وفق الله أهل الأزهر إلى التعمق فى دراسة هذه المجموعة دراسة وافية قديمة وحديثة ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضا صحيحا صادقا بلغة يفهمها

أهل العصر الحديث وإذ ذاك يكونون أداة اتصال جيدة بين الحاضر والماضى ويطلعون العالم على ما يبهر الأنظار من آثار الأقدمين ، وأعتقد أن التعليم الأزهرى على النحو الذى أشرت إليه هو الذى يرجى لتحقيق هذا الأمل ، وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله .

ثالثا — عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا فى ثوب نقى خال من الغواشى المشوهة لجماله وخال مما أدخل وزيد فيه ، ومن الفروض المتكلفة التى يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

رابعا : العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها فإن الأمة فى محنة من هذا التفرق ، ومن العصبية لهذه الفرق ، ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ، ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبى تهدى إلى الحق فى أكثر الأوقات ، وأن بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة فى القرون الماضية لمناصرتها ، فنشطت أهلها وخلقت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسى ثم انقرضت تلك المـــذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيـال وما افتراه أهلها ، وهـذه المذاهب فرقت الأمة التى وحدها القرآن وجعلتها شيعا فى الأصول والفروع . ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ونتج عنه سخف ، مثل ما يقال فى فروع الفقه الصحيح ، إن ولد الشافعى كفء لبنت الحنفى ، ومثل ما يرى فى المساجد من تعدد صلاة الجماعة ، وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف فى التوسل والوسيلة وعذبات العمائم ، وطول اللحى حتى إن بعض الطوائف لا تستحى اليـوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين والسعى لإنشاء مساجد خاصة .

من الخير والحق أن نتدارك هذا ، وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن

الـكريم والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقدير لما فيها من هداية ودعوة إلى الوحدة دراسة من شأنها أن تقوى الرابطة بين العبد وربه ، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشًّا باشًّا للحق مستعداً لقبوله ، عاطفا على إخوانه فى الانسانية كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين . قد اتهم بأنى تخيلت نخلت ولا أبالى بهذه التهمة فى سبيل رسم الحدود ولفت النظر إليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

الآن وقد أضحت بالتقريب آمال المسلمين فى الأزهر ترون أيهـا السادة أن العبء على عاتق الأزهر ليس هين الحمل فإنه فى حاجة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون إما بالمال أو بالعقل أو بالمعارف والتجارب ، وكل شىء يبذل فى طريق تحقيق هـذه الآمال هين إذا أتت الجهود بهـذه الثمرات الطيبة المباركة .

أيها السادة : أكرر لـكم شكرى ، وأبعث من هذا المكان ، وفى هذا الجمع المبارك تحية الأزهر إلى العالم الإسلامى ، وإلى دور العلم ومعاهده والسـلام عليكم ورحمة الله ؟

مذكرة الشيخ المراغى لإصلاح الأزهر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أوجب الدين الإسلامى على أهله أن يختص طائفة منهم بحمله وتبليغه إلى الناس (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وأوجب الله على نبيه – صلى الله تعالى عليه وسلم – أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة إليه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى إلى نشر الدين وإقناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزعات الإلحاد وشبه المضللين .

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع ، وقد لفت النظر إلى ما فى العالم الشمسى من جمال باهر وصنع محكم ، ولفت النظر إلى ما فى الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والأعمال التى لها غايات محدودة ، وأشار إلى سير الأولين وحث القرآن الشريف على العلم وفاضل بين العلماء والجهال ، وأعمال السلف الصالح وسير العلماء لا تدع شبهة فى أن الدين الإسلامى يطلب من أهله السعى إلى معرفة كل شىء فى الحياة .

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله فخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفا فى زمنهم . وكتبوا المقالات

---

(١) نشرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٥ ، ٧ أغسطس سنة ١٩٢٨ م

فى الرد على جميع الفرق . وكانت للعقل عندهم حرمته . وله حريته التامة فى البحث ، وكان الاجتهاد غاية يسعى إليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له .

ولكن العلمـــاء فى القرن الأخير استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا مطمع لهم فى الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم . وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة . وجهلهم الناس . وجهلوا طرق التفكير الحديثة ، وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ماوجد فى الحياة من علم . وما وجد فيها من مذاهب وآراء . فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له . وأصبح الإسلام بلا حملة . وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين .

فى الدين الإسلامى عبادات وعقائد وأخلاق وفقه فى نظم الأسرة وفقه فى المعاملات مثل البيع والرهن وفقـــه فى الجنايات . وقد عرض الدين الإسلامى لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان وأشار إلى بعض الأمور الكونية فى النظام الشمسى والمواليد الثـــلاثة من جماد ونبات وحيوان .

وقد هوجم الإسـلام أكثر من غيره من الديانات السابقة : هوجم من اتباع الأديان السابقة . وهوجم من ناحية العلم . وهوجم من أهل القانون .

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدا تتطلب معلومات كثيرة . تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ، ومعرفة ما فى الأديان السابقة ، ومعرفة ما يجد فى الحياة من معارف وآراء . ومعرفة طرق البحث النظرى ، وطرق الاقناع ، وتتطلب فهم الاسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهما صحيحا . وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها . وتتطلب معرفة التاريخ العام ، وتاريخ الأديان والمذاهب ، وتاريخ التشريع وأطواره . وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع .

والأمة المصرية أمة دينها الاسلام . فيجب عليها وهى تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ليرقى حملته ويكونوا حفاظا ومرشدين يدعون الناس ولا يوجد دواء أنجع من الدين لاصلاح أخلاق الجماهير . فإن العامة تتلقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لا تحتاج إلى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب . جذاب إلى الفضيلة بعمله وبحسن بصره فى تصريف القول فى مواضعه ولذلك كان الدعاة إلى الفضيلة قديما وحديثا يلجأون إلى الأديان ويتخذونها وسائل للإصلاح . بل إن كل دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بدأ من الرجوع إلى الأديان وصبغ دعواتهم بها . كل ذلك لأن حياة المجتمعات لا تدين لنوع من أنواع الاصلاح إلا إذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الايمان ، والأمة المصرية . بل والأمم الشرقية جمعاء تدهورت أخلاقها . فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقدام . والحزم وضبط النفس عن الشهوات وضعفت الروابط بين الجماعات . فلم يعد الفرد يشعر بآلام الآخرين ومصائبهم . وقد أثرت الحياة الفردية فى حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الامم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل .

وقد أرى أن الأمة المصرية وهى تريد النهوض والمجد ، وتتطلع إلى حياة سياسية راقية . يجب أن يكون عليها أن تتذكر دينها ، وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شأنهم ، وترقى تعليمهم وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتى يجب أن يكون عليها حملة الدين. أما إهمال هذه الناحية والسعى إلى ترقية النواحى الأخرى من حياة الأمة : فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المقصود فالخلق هو العمود الفقرى للأمم ، لا يمكنها أن تنهض بغيره ، وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه ، وهذب

دعاته وقد كان الأزهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها إلى البلاد الإسلامية . وقد أصابه ما أصاب غيره فى الشرق من خمول وضعة فيجب على الأمة المصرية وهى تحمل راية الأمم الإسلامية أن تنقى هذا المصباح ـ الأزهر ـ من الأكدار وأن توجد له جهازا قويا يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ما جد فى العالم من أطوار فى العلم وفى التفكير وفى الحوار والتخاطب وفى طرق الاستقلال والبحث . والدولة تنفق على الأزهر قدرا عظيما من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه : ولا تستطيع أيضا أن تلغى الأزهر وما يتبعه من معاهد لتوجد به لها معاهد أخرى : فالحاجة إلى إصلاح الأزهر واضحة لا تحتمل نزاعا ولا جدلا .

وإنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر فى إصلاح التعليم : وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه : وقد صار من المحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر أن يغير التعليم فى المعاهد وأن تكون الخطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصريخ . فقد قرنت كل الاصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة .

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة : وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعانى وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية .

يجب أن تهذب العقائد والعبادات ، وتنقى مما جد فيها وابتدع : وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة .

يجب أن يدرس الفقه الاسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عنها فى الكتاب والسنة : والأحكام المجمع عليها . والنظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة . كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

يجب أن تدرس الأديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الاسلامى ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره فى مواطن الاختلاف ، ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها ، وأسباب التفرق وتاريخ الفرق الاسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها .

يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن فى الآيات التى أشارت إلى ذلك .

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف . وأن يضاف إلى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث فى بحث اللغات وآدابها .

يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة ـ فى عصور الاسلام الزاهرة ـ والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية ، وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ما هو قطعى فيه محافظة تامة ، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد . بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل . وكل ما هو موافق لمصلحة العباد .

يجب أن يفعل هذا لاعـداد رجال الدين لأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة ، ودينـــه عام ، ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة ، والأمكنة المختلفة . وإن لم يفعل هـذا فإنه يـكون عرضة للنفور منـه والابتعاد عنه . كما فعلت بعض الأمم الاسلامية ، وكما حصل فى الأمـة المصرية نفسها . إذ تركت الفقه الاسلامى لأنها وجدته بحالته التى أوصله إليها العلماء غير ملائم ، ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والحرج لما تركته إلى غيره لأنه يرتـكن إلى الدين الذى هو عزيز عليها .

لست أنسى أن هذه الدراسة التى أسلفت بيانهـا دراسة شاقة تحتاج إلى مجهود عظيم ، وتحتاج إلى رجال قد لانجدهم فى طائفة العلماء ، وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون ، ولـكن سمو المطالب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه وتوجب علينا السخاء والبذل ، لأننا نريد إصلاح أعز شىء على نفوس الجماهير ، ونريد بهذا الإصلاح تقويم هذه الأمة ونهوضها .

وليس من السهل أن يكلف شخص واحد بهذه الدراسة على اختلاف أنواعها ، بل من الواجب أن يفكر فى طريقة التقسيم وجعل الدراسة أقساما وأنواعا متميزة .

وبعد هذا أستطيع أن أضع أسسا إجمالية للنظام الذى أبغى أن يكون عليه الأزهر والمعاهد الدينية .

يجب أن يقسم التعليم الدينى إلى قسمين : قسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه وتبين لهم حقوقهم والغايات التى تراد منهم والأعمال التى تسند إليهم من أعمال الدولة . وهذا هو القسم الذى سيكون موضع العناية ومكان الرجاء والأمل ، وقسم لايحدد عدده ولاترتب درجات التعليم فيه .

ولا يكون له شيء من الحقوق فى أعمال الدولة . وإنما الغاية من وجوده هى سد حاجة من يريد التفقه فى دينه ومعرفة اللغة العربية ليخرج من الجهالة إلى نور العلم . ويقنع بالعلم نفسه وتوضع لهذا القسم نظم لايقصد منها أكثر من مراقبة الأخلاق ومن تعليم أفراده تعليما صحيحا بعيدا عن العقائد الفاسدة، موصلا إلى روح الدين ، موصلا إلى خلق قويم . والقسم الأول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثا فيكون ثلاثة أقسام .

١ — القسم الأولى : مدته خمس سنوات .
٢ — القسم الثانوى : مدته خمس سنوات .
٣ — القسم العالى : مدته خمس سنوات .

والتعليم فى القسمين . الأولى والثانوى يكون عاما على مثال التعليم فى المدارس الأميرية ويعلم فيهما كل مايعلم فى المدارس الأميرية ماعدا اللغات وتعلم فيهما علوم الأزهر الأصلية بالقدر المؤهل لدخول الأقسام العالية : تعليما لا يكون قوامه حفظ الدروس ، وإنما يكون قوامه فهم العلم والمران على البحث والتدليل وتربية الملكات . وقد يلاحظ أن المدة لا تحتمل تعليم علوم الأزهر وتعليم مايدرس بالمدارس الأميرية ، ولكن هذه الملاحظة تزول إذا لوحظ أن الطالب فى المعاهد يؤخذ فى سن عالية عن سن التلميذ فى المدارس الأميرية ، ويغلب أن يكون ألم بكثير من المعلومات فى المدارس الأولية ، وأن يكون حافظا للقرآن فاستعداده وسنه يسمحان بأن يحتمل هذا المقدار الذى يراد أن يعلمه على أن الشروط التى توضع لقبول التلاميذ فى القسم الأولى كفيلة بإبعاد من لايقوى على احتمال هذه الدراسة ويقسم التعليم العالى إلى ثلاثة أقسام .

١ — قسم اللغة العربية .
٢ — قسم الفقه .

٣ — الإرشاد والدعوة .

ويجب أن يلاحظ أنى حيث أعرض لهذه الأقسام وحيث أبين مايدرس فيها فإنى أضع رسما إجماليا قابلا للتهذيب وأترك تفصيله إلى أن يحين وقت التفصيل فتؤلف له لجان فنية .

أما القسم الأول : فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع وعلوم البلاغة وأدب اللغة العربية وتاريخ الآداب وعلم النفس والتربية ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التي لها اتصال وثيق باللغة العربية ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما ، ومن حيث اتصالهما بآدابها .

وأما القسم الثانى : فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة وبخاصة من ناحية الأحكام الفقهية ويدرس أصول الفقه وتقارن المذاهب الإسلامية بعضها ببعض مع عرض الأدلة ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة ، وتقارن المذاهب الاسلامية بالقواعد العامة فى أصول القوانين ويدرس تاريخ التشريع الاسلامى ومايلزم للقاضى والمحامى من نظم القضاء والادارة وقوانين المرافعات .

وأما القسم الثالث : فيدرس فيه المنطق والتوحيد الاسلامى والأخلاق والفلسفة قديمها وحديثها وتاريخ الأديان والمذاهب مع مقارنتها بالدين الاسلامى . ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة وبخاصة من ناحية طرق الهداية والارشاد .

بعد ذلك أنتقل إلى الغاية من هذا التعليم النظامى وسأجد نفسى مضطراً إلى شىء من الاطالة فى القول .

عند مافكرت الحكومة المصرية فى إنشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية فى المدارس الأميرية . كان العلماء فى الأزهر لايعنون

إلا بدراسة القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق . وبدراسة الألفاظ وخدمة عبارات المؤلفين ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة فى تلك الأيام بعيد كل البعد عن اللغة ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ولاتزال منهم بقية إلى اليوم ، وكان العلماء أيضا لايدرسون شيئا من العلوم العامة . كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان وكانوا يحافظون على ماهم عليه أشد محافظة ولايرون الخير إلا فيماهم فيه . فلم تكن معلوماتهم العامة ولاطرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء فى المدارس الأميرية على النحو الحديث .

وعند مافكرت الحكومة فى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى . كان الأزهر على النحو الذى وصفته . وكان فيه علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب ويكتبون مقالات فى الجرائد ضد هذه العلوم . وكان ولاة الأمور يشكون من أن القضاة لايعرفون الأرقام ولايعرفون طرق التوثيق ولا يعرفون من العلوم العامة مايجب أن يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس . وقد بدل الله هذه الأحوال وأصبح قانون الأزهر مشتملا على ضعفى العلوم التى كانت تدرس من قبل ، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعى وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ويدرس فيه الجبر والهندسة . وقبل الأزهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى دروسا فى وظائف الأعضاء ودروسا فى التشريح . قبل الأزهريون كل جديد وأعدوا أنفسهم له . وزالت كل العقبات التى كانت من قبل ولم يبق إلا إصلاح طرق التعليم وإيجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعا صحيحا . وإذا كانت هناك بقية تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ماتستطيع معه أن تكون عقبة فى طريق الإصلاح .

فى الدولة الآن مدارس متعددة لنوع واحد من التعليم فيها دار العلوم لتعليم اللغة . وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة . فيها مدرسة القضاء الشرعى للفقه ونظم القضاء . وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء . وفيها تجهيزية دار العلوم وفى الأزهر أقسام تماثلها .

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ، ومن الممكن أن تقتصد فى هذه النفقات ، ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض وتوحد جهودها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة .

فى الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا فى مدارس مختلفة يحسد بعضهم بعضا وينقم بعضهم على بعض ، ولهذا أثره فى إفساد الأخلاق .

لم لا يحملنا هذا كله على التفكير فى توحيد الجهود وتوحيد النفقات ونجعل قسم اللغة منبع علماء اللغة العربية لجميع مدارس الدولة والأزهر وتخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء فتكون ينبوعا للقضاة والمحامين والمفتين وتلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء .

أول ما يعترضنا فى هذا أن مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة إليها . وقد حققت الآمال فيها فأخرجت للدولة علماء أحيوا اللغة العربية وآدابها بعد أن كادت تدرس وكانوا من أهم الأسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها إلى الناس بينما الأزهر ضعف التعليم فيه وأصبح محلا لشكوى الأمة وشكوى أهله أنفسهم وليس من الحكمة بناء على الآمال فى الأزهر أن نميت مدرسة محققة الفائدة .

وكذلك الحال فى مدرسة القضاء .

ولكن على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة ما يأتى :

قد كان الأزهر منفصلا عن الحكومة فى الماضى انفصالا تاما فلم يكن له بها علاقة إلا بمبلغ يسير فى الرزنامة كان حقا له عليها ، ولم يكن للحكومة إشراف عليه وقد تبدل الحال ، فصارت ميزانية الأزهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية . وبعضها من وزارة الأوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الإشراف عليه ، وصار مسئولا عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الأمة والحكومة أن تعرفا فيم تنفق الأموال وبأى شىء تشتغل المعاهد وعلى أى نحو تسير ؟ .

ثم إن اندماج دار العلوم والقضاء سيفضى حتما إلى إدخال أساتذة المدرستين فى الأزهر وإلى وجود الصلة التامة بينهم وبين العلماء ، فهذه الصلة التى من شأنها أن توجد تماس الأفكار ستنتج نتائجها الحسنة فى إحسان الدراسة ، وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم فى مجالس الادارة والمجلس الأعلى وفى التفتيش على المعاهد . وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التى تطمئن النفوس إلى أن المعاهد لا ترجع القهقرى .

هذا الذى قلته مضافا إلى توحيد التعليم وتوحيد النفقات وتجانس العلماء فى الدولة من شأنه أن يحملنا على المضى فى هذا الطريق .

وتختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لابد لى من التصريح بها لست أرجو للقضاء الشرعى خيرا من هذه المدرسة على نظامها الجديد . وقد كان نظامها منذ أنشئت إلى سنة ١٩٢٣ خيرا من هذا النظام الجديد .

ذلك أننا حتى اليوم ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المقررة فى القرون الماضية وهى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وإنما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها وعرف

اصطلاح مؤلفيها وأيضا . فان العلوم الشرعية التي يحتاج إليها القاضي مشتبكة يستمد بعضها من بعض ولا غنى للفقيه عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقه ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة . فالتلاميذ الذين يتخرجون فى التجهيزية وينقلون إلى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب وإلى هضم تلك المعلومات التي وضعت لهم فى البرنامج .

ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة بل وأرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها وإنما أدافع عن الموجود الذى قضت الضرورة بوجوده فنحن فى حاجة إلى رسل بين القديم والحديث وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثا جيدا لا بد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك فى أسلوب حديث : ولذلك فإنه يجب أن يراعى فى النظام الجديد للأزهر عدم إهمال طرقه الأصلية فى البحث وفهم الكتب .

أما المدرسة على نظامها منذ أنشئت إلى سنة ١٩٢٣ فإنها تستحق الثناء ولا أجد ما أعيبها به ولكن أستطيع القول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الإدارة يخرج للأمة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم .

وقد أشير فى تقرير لجنة إصلاح الأزهر سنة ١٩٢٤ إلى شيء من المقارنة بين القضاة خريجى الأزهر والقضاة خريجى المدرسة ويحسن الرجوع إليه لأنه يفيد فيما نحن بصدده .

وخلاصة ما أسلفته أن تندمج تجهيزية دار العلوم والقضاء ومدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم فى المعاهد على أن توضع قواعد وقتية بهذه

المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودين فيها الآن .

أما امتيازاتهم فهى كما سيأتى :

علماء اللغة العربية : يكونون أساتذة فى الأزهر والمعاهد الدينية وفى جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات .

علماء الفقه : يكونون أساتذة العلوم الشرعية فى الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة .

وعلماء فرقة القضاة : يكونون قضاة ومحامين ومفتشين وأساتذة أيضا .

وعلماء الإرشاد والدعوة يكونون أساتذة فى الأزهر والمعاهد ويكونون خطباء وأئمة ووعاظا ومرشدين .

أما شهادة القسم الأولى : فليس لها شىء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوى .

وأما شهادة القسم الثانوى : فتؤهل صاحبها للأقسام العالية وتؤهله لوظائف الكتابة فى المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية .

وقد ينظر بعد فى علاقة هذا القسم وبعض الأقسام العالية بالجامعة المصرية إذا أراد واحد من حاملى شهاداتها دخول الجامعة المصرية فى بعض أقسامها .

وقد يصح أن يقال لندع دار العلوم ومدرسة القضاء تمضيان فى طريقهما ولنصلح الأزهر على هذا النحو الذى أشير إليه . وليس هناك ضرر فى وجود مدارس متعددة صالحة غير أن ما أشرت إليه بالنسبة لمدرسة القضاء يحملنا على عدم السكوت على نظامها الحاضر وما أشرت إليه بالنسبة للغاية العظيمة التى ننشدها من توحيد التعليم وتجانس العلماء من الفائدة التى تعود على المعاهد

نفسها من إدخال العناصر القوية فى اللغة العربية وهم علماء دار العلوم إلى الأزهر تجعلنا نفضل طريق التوحيد على طريق التعدد .

وهناك أمر لا يصح الإغضاء عنه : ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العلوم مؤثر على الأزهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما لأن نتيجة الأزهر - إذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء باللغة العربية فى مدارس الحكومة - يقتصر على إخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد وهى نتيجة غير مرغبة ومن شأنها أن تجعل التعليم الدينى فى المعاهد قاصرا على بعض الطبقات التى ليس لها فى الحياة آمال سامية ، وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤمن على هذه الوديعة وديعة الخلق الدينى والثقافة الإسلامية . ومن الواجب أن لا يغيب عنا ونحن نتقدم لتهذيب التعليم الدينى وتقويم أخلاق الأمة أن تشجع الطبقة الراقية على الدخول فى هذه المعاهد لتقوم بما يطلب منها من العناية بالأخلاق .

وأمر آخر هو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الأقطار الأخرى على سمعة الأزهر والمعاهد . ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم وأن ترد إليه مجده . فإنه واسطة اتصال وثيق بين الأمة المصرية وغيرها من الأمم . وإذا أحسن استخدام هذه الواسطة عاد بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصرى .

ومتى تم تنظيم الأزهر وأخذ مكانته فستعود إليه ثقة الأمم الإسلامية وتطلب منه علماء ومرشدين خصوصا إذا علمت فيه اللغات التى يحتاج إليها المرشد إذا ذهب إلى بلد من البلاد الإسلامية .

هـذا هو مجمل رأيي في إصلاح المعاهد الدينية والتعليم أقدمه خاليا من التفاصيل حتى إذا ما صادف قبولا واتفق على النقط الأساسية فيه أمكن أن نشرع في تأليف اللجان الفنية التي تبحث أجزاء المشروع . وأمكن بعد ذلك أن نرجع إلى القوانين لإصلاحها .

وقبل أن أختم كلمتي هـذه أشير إلى أن من الممكن إيجاد كل الضمانات لحسن سير التعليم . وذلك بتأليف مجالس الإدارة ومجلس الأزهر الأعلى على وجه تمثل فيه وزارة المعارف تمثيلا قويا . وبأن يكون قسم التفتيش على اللغة العربية والعلوم الحديثة مشتملا على رجال يكون لوزارة المعارف رأي في اختيارهم ، بل ويمكن أيضا أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

ولابد أيضا من أن أصرح بأن الأزهر لاينبغي أن يعنى بإخراج معلمين للمدارس الأولية وسننظر في إنهاء هذه الدراسة الخاصة بالتعليم الأولى .

كما أنه لابد لي أيضا من الإشارة إلى وجوب إلغاء قانون التخصص فقد دلت التجارب على عقم نتائجه ، ولذلك أسباب كثيرة قد يحسن عـــدم الافضاء بها وأيضا . فإن النظام الذي أشرت إليه وهو نظام تقسيم الدراسة العالية سيضمن تخريج علماء لهم تفوق في علوم الأقسام التي يدخلونها .

وأسأل الله أن يهيء للأزهر والمعاهد طريق الفلاح والنجاح ؟

الشيخ المراغي والسياسة

لأبى الوفا المراغى

اشتغل الشيخ المراغي بالسياسة عملا بدينه . فالإسلام لا يفرق بين الدين والدنيا ، وإنما هو نظام شامل لهما جامع بينهما . وكثيرا ما كان الشيخ يصرح بذلك ليدفع عن الإسلام شبهة علقت بأذهان كثير من رجال الفكر والثقافة تلك الشبهة هى التفرقة بين السلطة الدينية والزمنية كما هو الشأن فى الأديان الأخرى ، ولقد أخذ عليه بعض الناس اشتغاله بالسياسة فقال لهم : إن الإسلام دين وسياسة ولا رهبانية فى الإسلام ، وأن عمله فى السياسة ليس عملا حزبيا ، بل عملا عاما بالمعنى الذى تؤديه كلمة السياسة عند رجال الاجتماع وهى تدبير شئون الأمة وشئون الدين . وقد اشتغل بالسياسة من وراء وراء حرصا على كرامة منصب مشيخة الأزهر ، بل مشيخة الإسلام كما يعتبرها البعض وهو اعتبار جدير بالنظر . وكان المراغى حريصا كل الحرص على جلال المنصب يخضع فى تصرفاته كلها لهذا الاعتبار ويهدف إلى هذه الغاية وما كان يغضب لشىء غضبه أن يمس ذلك المنصب . اشتغل بالسياسة من وراء حجاب لا تهيبا من نضال ولا فرارا من نزال . فلقد كان جريئا كل الجراءة شجاعا مقداما يعرف له ذلك أصدقاؤه وأعداؤه ولكن تساميا بمنصب المشيخة أن تلفحه ريح السياسة وقديما لفحت ريح السياسة الإمام الشيخ محمد عبده وعرضته لحملات عنيفة من التشهير والتجريح ، بل إلى النفى والتشريد وريح السياسة بمصر أحيانا — عقيم لا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم — وقد وقف فى مثل مواقف الشيخ محمد عبده . وكان جديرا أن يستهدف لنتائجها كما استهدف الشيخ عبده لولا حصانة من لباقة وسياسة وحسن تقدير واستعداد للدفاع عند الاقتضاء .

وله فى السياسة مواقف خالدة بمصر والسودان ، عرف بعضها وسمح الزمن بنشره وسيظل البعض فى ضمير الزمن حتى يسفر عنه وتتاح الفرصة لنشره ، ومما عرف له فى السودان أنه لما اشتعلت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ رأى الشيخ أن يقوم بنصيبه فيها كمواطن ، ولكن بما يسمح له منصبه عملا بمبدئه فى إحاطة المناصب الدينية بالوقار والإجلال فرأى أن ما يمكن الاشتراك به أن يجمع من المصريين ومن يرغب من السودانيين مبلغا من المال لينفقه فى بعض نواحى الثورة كإسعاف الجرحى ومواساة أسر المنكوبين ، وأثار ذلك ثائرة الإنجليز وأبرقوا وأرعدوا وهموا من الشيخ بما لم ينالوا وما نقموا منه إلا إيمانه بوطنه وتلبيته لداعى شعوره بحبه وحريته وسألوه ذلك فما أنكر وأنى له أن ينكر وهو الجرىء الصادق ودافع عما فعل دفاع السياسى الماهر حتى ألقمهم الحجر . وقال : إنما فعلت ذلك برا بوطنى وتوجيها لشعور المصريين بالسودان . وجهة الخير والمصلحة واتقيت بذلك شرورا كانت لابد واقعة لو لم أنح هـــذا النحو فقد التهب شعور المصريين هنا ، وكاد أن يبدو فى مظاهر من التدمير والتخريب وكان ما فعلت هو المتنفس السلمى الوحيد الذى أرضى شعور المصريين بعض الرضا فما فعلت جدير بالثناء والتقدير لا بالمؤاخذة والمعاتبة ، فاقتنع الانكليز ظاهرا ولكنهم أسروها له ، وكانت تلك الحادثة سببا من أهم الأسباب التى دعتهم إلى الاستغناء عن خدمته فى السودان بعد ذلك ، وظل الشيخ بالسودان أثناء الثورة يرقب تطورها ويوجه المصريين وجهة الخير ، وكان قطبهم الذى يدورون حوله ، ومن أشهر مواقفه : السياسة بمصر أثناء الحرب الأخيرة خطبته فى مسجد الرفاعى التى أعلن فيها موقف مصر منها وأنها لا مصلحة لها فى الاشتراك فى الحرب ولا ناقة لنا فيها ولا جمل ، ولقد أحدثت تلك الخطبة

ضجة هائلة وقامت لها الحكومة المصرية وقعدت واهتزت لها الحكومة الانكليزية هزاً عنيفا ، وطلبت إلى الحكومة المصرية بيان موقفها من هذه الفكرة واتصل به رئيس الوزراء وخاطبه فى لهجة يفوح منها رائحة التهديد فثارت ثائرته وقال له مثلك يهدد شيخ الأزهر وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة ؟ ولو شئت لصعدت منبر الحسين وأثرت عليك الرأى العام ولو فعلت لوجدت مكانك على الفور بين عامة الشعب . وكانت صـــداقته لنشأت باشا ، ولحسنين باشا ، ومحمد محمود باشا ، ولطفى السيد باشا ، ولغيرهم من كبار رجال السياسة فى جميع الأحزاب سببا فى اتهامه بالاشتغال بالسياسة أكثر من الواقع وتعتبر الفترة بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٤٥ من أهم الفترات فى تاريخه السياسى ولقد تعرض فى سنتى ١٩٤٤ و١٩٤٥ لحملة قوية من بعض الأحزاب وتمثلت فى مقالات طائشة فى بعض الصحف حررتها أقلام كبار الأدباء منهم قصد إحراجه للاستقالة وقد استقال فعلا واعتكف فى منزله وظلت استقالته معلقة تسعة شهور ثم ردت إليه وعاد ثانيا إلى الأزهر ، وقد استعدوا عليه السفير البريطانى فجرى فى تيارهم مخالفا بذلك التقاليد الانكليزية ، ومن التناقض الغريب أن يتهموه فى وطنيته ويستعدوا عليه السفير . ومما وقع له أثناء ذلك أنه التقى يوما بالسفير . فقال له السفير الانكليزى : السمكة تفسد من رأسها يشير بذلك إلى بعض الجهات . فقال الشيخ : لست حكيما أيها السفير إن السمكة تفسد من بطنها فقال السفير : هذا غير صحيح وأنا صياد أعرف السمك معرفة تامة . فقال له الشيخ : إنك قد تحسن الصيد فى نهر التيمس . ولكنك لا تحسن الصيد فى نهر النيل فأفحم السفير الانكليزى وانصرف وفى نفسه ما فيها وظل الشيخ يدافع عن نفسه فى هذه الفترة القاسية وقد تألبت عليه قوة الحكومة وقوة الانجليز حتى هدأت العاصفة وانتصر الشيخ وصان جلال المنصب من غبار هذه المعركة .

وقال الأستاذ فكرى أباظه فى مقال له بالمصور عقب وفاته : « وقيل الكثير عن أدوار سياسية لعبها فى أكثر من جيل ولست أعلم بالتفصيل كيف كان الفقيد ذا صلة وثيقة بالسياسة العليا ، وإنما الذى أعلمه أن أصدقاءه جميعا من زمن كانوا زعماء الأحزاب وأقطاب السياسة فى البلد . وكانت صلته الوثيقة بالقصر الملكى صلة ترتكز على ثقة متناهية وحب . ولعل تلك الصداقة وتلك الصلة بالقصر وبالسياسيين من زعماء وأقطاب هى التى جعلت كلمة الشيخ واتزانه وبعد نظره إلى مقربة من حاجة المسئولين إلى الرأى والفتوى فاستعانوا بها حينا بعد حين وأعلم جيداً أنه كان حريصا وشديداً فى أن يضع بينه وبين السياسة حداً فلم يكن يحبها لأنه لم يكبر من وسائلها واساليبها » .

الشيخ المراغى فى حياته العامة

لأبى الوفا المراغى

طبعت نفس المراغى على حب الخير والعزة والتواضع . وزاد هذه الفضائل تمكينا فى نفسه تشبعه بتعاليم الإسلام فيها . وعلى هذه الأصول كانت تدور علاقاته العامة بالناس فلو دعا إلى الشر داع لنازعته إلى الخير نفسه ، لايكاد يذكر خلطاؤه إساءة منه إلى أحد وعلى كثرة ماولى من المناصب الرفيعة وطول مدته فيها بالسودان حين كان قاضيا لقضاته وبمصر فى مثل هذا المنصب وفى منصب مشيخة الأزهر لم يؤثر عنه أنه قسا على موظف من الموظفين . وكانت المهابة والنظرة الصارمة أحيانا والعتاب اللين أحيانا أخرى تقوم مقام العقوبة :

أغنته عن حيل الضعيف عزيمة ... لا تلتوى أبدا ولا تتقهقر
يلقى العواصف وهو أظهر مايرى ... لا خائف حذر ولا متستر

كانت علاقته العامة صورة من نفسه الكريمة يغضى ويتسامح ويرى قادرا أن ذلك أدعى إلى كسب القلوب واجتذاب النفوس . وكان يعينه على ذلك اعتداده بنفسه واعتزازه بكرامته وإيمانه القوى بالله واعتماده على معونته ورعايته . فلم يعتمد على مخلوق فى حاجة . وقد أكرمه الله بالافتقار إليه والاستغناء عن غيره وكل ماوصل إليه من المناصب كان بفضل الله ورعايته ، وله فى عمل الخير حوادث يتناقلها المعاصرون . وقد رزقه الله مالا وجاها فأرضى الله فى ماله وجاهه . واستكثر من عمل الخير ابتغاء رضوانه . وقد طمع فى ماله وجاهه من عرفه ومن لم يعرفه ، عرف ذوو الحاجات أنه سخى اليد مقبول الشفاعة فتزاحموا على أبوابه ـ والمورد العذب كثير الزحام ـ فأعطى

وتشفع فشفع ففتح بيوتا وأقال عثرات وقد عملت فى مكتبه حين كان شيخا للأزهر . فكنت أرى أن كثيرا من رسائله فى شفاعات إلى أولى الأمر فى حاجات الناس وما كان يضيق صدره بذى حاجة . ولقد وجد بعد وفاته دفتر به أسماء من كان يجرى عليهم رواتب شهرية من خاص ماله وفيهم سروات قسا عليهم الدهر فأخذ بأيديهم ونفس من كربهم ولبس مرة حلة من نسيج فاخر ، فأبدى بعض الناس إعجابه بها فغاب قليلا ثم عاد ومعه تلك الحلة فأعطاها إلى من أعجب بها فاستغرب بعض الحاضرين وراجعه فيما فعل وقال : كيف تفعل ذلك يا مولاى وإنها لتروقك وتعجبك ؟ فقال : ربما لا يستطيع ذلك المعجب أن يقتنى مثلها . أما أنا فأملك ذلك وما على إذا حققت رغبته وأرضيت نفسه واستبدلت بها غيرها .

وكان عزيز النفس ماتسامح فى كرامته قط وما استبيح له حمى ولا نال من عزته نائل ، وكان يسترخص فى سبيلها كل غال ، خاصم فيها الملوك والوزراء وتخلى عن وظيفته مرارا حين رأى أن بقاءه فيها على حساب كرامته ، خاصم الملك فؤاد حين توقف فى إصدار قانون الأزهر سنة ١٩٢٩ وخاصم النحاس باشا وهو رئيس الوزراء وزعيم حزب الأغلبية وانتصر عليه ، وخاصم غير أولئك وانتصر عليهم وكان ينأى بخصومته عن الضعفاء ويطاول الأقوياء فإذا لم يكن من المخاصمة بد خاصم فكان قويا فى خصومته عفيفا فى أسلوبه لا يسف ولا يهاتر يصمد لخصمه حتى يظفر به. وكان يخفض جناحه للفقراء ويقبل عليهم ويؤانس من وحشتهم حين كان لا يبالى الأغنياء ولا ذوى النفوذ ، زاره يوما فى داره بالمراغة حاكم الأقليم فحياه التحية المناسبة ثم دخل عليه فى ذلك المجلس قارىء القرآن فحياه فى قوة وأقبل عليه بكليته فعجب القارىء من ذلك. ولما انصرف الحاكم قال له القارىء : رأيت فرقا

بين تحية مولانا للحاكم وتحيته إياى فقال له الشيخ : إن الحاكم أقبل وفى رأسه أنه حاكم ولم يزد . وزاره فى مكتبه أحد رؤساء الوزارة فلما انصرف ودعه الشيخ إلى باب الغرفة ثم تركه فقلت له : ألا ترى أن ترافقه إلى خارج المكتب؟ فقال : لا . وفى هذا كفاية وقلما يجرى ذكر الشيخ فى مجلس إلا ويحدثك فيه أحد الحاضرين أو كثير منهم بحادثة من حوادث بره أو عزته أو بعد نظره أو حسن تقديره أو حرصه على كرامة الأزهر وعلى مصلحة المسلمين . وكانت موازينه للناس دقيقة وقلما يخطىء فيها فقد كان صادق الفراسة لماح الذكاء يستكنه لأول النظر نفسية محدثه ثم يعامله بمقدار تقديره له .

وكان أنيس المجلس حلو الحديث تغمر مهابته الندى ويحرصون على سماع حديثه للإفادة من علمه وتجاربه وكان عفا ماشغل مجلسه بلغو الكلام ولا خاض فى شئون الناس .

شهد بحكم منصبه وبمكانته الشخصية كثيرا من الحفلات المصرية والأجنبية . فكان سلوكه فيها سلوك الخبير بقواعد السلوك الدقيقة فكان موضع التقدير والإعجاب من المصريين والأجانب .

قال بعض من اجتمع به يوما فى مأدبة طعام : إنى لأدهش كيف كان الشيخ يتناول طعامه على أدق مراسيم اللياقة فى المآدب .

وكان يحافظ على تقاليد الإسلام فى المجتمعات لم يؤخذ عليه أنه تنكبها مهما كانت الدواعى والضرورات إذ كان يرى أنه القدوة الإسلامية المثلى فتصرفاته سنة إسلامية له أجرها وعليه وزرها . وقد كان فى مقام من خشية الله لا يبالى أرضى عنه الناس أم غضبوا عليه .

ولى الشيخ المراغى منصب قاضى القضاة فى السودان وقاضى القضاة فى

مصر فكان فقيها ، صحيح الحكم له اجتهاد فى كثير من الأقضية . واتخذت بعض أحكامه مبادىء يرجع إليها القضاة إذا اشتبهت عليهم الأمور وعرف بالعدل واشتهر بالنزاهة وتعرض من جراء ذلك لحوادث كادت تودى بحياته فقد لوح له وهو رئيس للمحكمة الشرعية العليا من بعض ذوى النفوذ أن يحكم فى قضية لصالح طرف معين على أن تكون المكافأة على ذلك مبلغا موفورا تتحلب له الأفواه وتتطامن له النفوس فأبى فى أنفة واشمئزاز فعمل أصحاب الشأن فى هذه القضية على ألا يمكنوه من نظرها فاستأجروا له من يقتله . وفى صبيحة اليوم المحدد لنظرها تربص له المجرم المأجور وأخذ عليه الطريق وقذفه بماء النار الكاوى فلطف الله به وأصيب فى مواضع من جسمه ظل أثرها فى رقبته ميسم العدل والنزاهة طول حياته . وقد انتفع الشيخ من تجاربه القضائية فى مصر والسودان فعرف مواطن النقص فى قوانين المحاكم الشرعية. وكان ذلك تمهيدا لإصلاح تلك القوانين فيما بعد حين رأت وزارة العدل ذلك .

وولى مشيخة الأزهر بعد منصب قاضى القضاة فسما به إلى منزلة لم يبلغها من قبل واستطاع بكفايته ومواهبه أن يكون الدرة اليتيمة فى عقد شيوخه وامتد نفوذه الروحى إلى سائر العالم الإسلامى فولى المسلمون وجوههم شطره وألقوا بين يديه بقضاياهم وأحسوا بأن للإسلام شيخا بالفعل لا بالاسم وراسله زعماء المسلمين فى العالم يسترشدون برأيه ويستعينون بنفوذه فيما يكربهم من الخطوب ونبه شأن الأزهر فى عهده وتفتحت له عيون علماء الغرب وأحس ساسته بقوته الروحية وحاولوا أن ينتفعوا بجهوده فى قضية السلام بين الشعوب ودعوه إلى مؤتمر الأديان بلندن ليشارك فى هذه المهمة فبعث إليه رسالة فى الزمالة الإنسانية نالت تقدير المؤتمر واستروح

الأزهريون فى خلال نفوذه نسائم العزة والكرامة وأووا إلى ركن شديد من جاهه . وكان عند ظنونهم به وماسيم أحدهم ضيما إلا كان صريخه يدفع ويزود ، ويثأر ويظفر فتفاخروا به وازدهوا بمقامه وغبطت المعاهد الأخرى الأزهر على شيخه . وساس الأزهر سياسة حازمة اتسمت بالعدل والنزاهة وتنزهت عن التعصب والانتقام . عرض عليه مرة كشف بترقية بعض الموظفين فتوقف أحد المسئولين فى ترقية أحدهم بعلة أنه ينال من الشيخ بلسانه فأبى الشيخ أن يحرمه من حقه فى الترقية لهذا وقال : إن ما يبدر من هذا الشخص يتصل بى وأنا أنزل عنه ولا أحرم أولاده من خيرهم أهله وذوو حق فيه وأغرت سياسة الحلم والتسامح ضعاف النفوس من موظفى الأزهر فخرجوا عن حدود اللياقة أحياناً ولكنه أغضى عنهم فسلس قيادهم وثاب إليهم رشادهم ولم يطغ بسلطان الرياسة على ذوى الاختصاص فى اختصاصاتهم ، بل كان يدع لكل رئيس فى الإدارة حقه فى إدارته ويرى أن ذلك أدعى إلى تنظيم الأعمال وأعون على إنجاز الأمور . فإن كانت له رغبة تستدعيها مصلحة عليا ربما خفيت على رئيس منهم تقدم إليه فى لطف لتحقيقها ، وكان ذلك عاملا من عوامل الاحترام والتقدير المتبادل بينه وبينهم ، وكان يفرق بين عمل العامل وشخصه فكانت رقابته على عمل الموظف لا على سلوكه الشخصى قيل له مرة : إن أحد الموظفين ذو سلوك شخصى غير محمود وطلب إليه أن يؤاخذه لذلك فقال : إن حق المصلحة فى عمله لا فى سلوكه الشخصى ورفض أن يؤاخذه . وكان لمنصب مشيخة الأزهر عنده تقدير خاص لمكانها الإسلامى فى نفوس المسلمين خاصة ، وفى نفوس العالم عامة .

وكان من مراميه البعيدة أن ينسجم أبناء الأزهر مع جماهير الشعب ليظل الزمام فى أيديهم ، وليكون لهم من نفوذهم الشعبى قوة يستعينون بها فى خدمة

الأزهر وخدمة الإسلام ، وكان يدفعهم إلى ذلك بقوله وعمله . واستطاع الأزهر أن يمضى فى هذا الطريق شوطاً بعيداً . أحسّ الأزهريون بآثاره وجنوا من ثماره ، وكادوا أن يبلغوا منه الغاية .

وجملة ما يقال عن الشيخ المراغى فى حياته العامة وعلاقته بالناس : أن أقواله وأعماله كانت دستوراً للأدب النبيل والسلوك الاجتماعى الراقى حاول كثير من بعده أن ينهجوا على مثاله وينسجوا على منواله فكانوا منه مكان المقلد من ذى الطبع الأصيل .

الشيخ المراغى فى حياته الخاصـــة

لأبى الوفا المراغى

عرف الشيخ المراغى بالجود من ماله وجاهه . فكانت داره مثابة للناس ، يؤمها العلماء وذوو الحاجات على اختلاف طبقاتهم ، وقلما انقضت أمسية من أمسياته دون أن ينعقد فيها مجلس من العلية والعلماء ، يتذاكرون علوم الشريعة أو يتناقلون بالأدب ، وكثيراً ما كانت تقام فى داره المآدب ، ويشترك فيها كل من صادفها مهما تباينت مقاماتهم ، وكان الشيخ ذا إحساس رقيق يكره التمييز بين الناس جبراً لخاطر الفقير ، ولا يضيق صدره بزائر ، وكأنه المعنى بقول الشاعر :

فرضت على زكاة ما ملكت يدى وزكاة جاهى أن أعين وأشفعا

فإن لم يكن هناك زائر خلا بنفسه فى مكتبه بالمنزل أو حيث يكون، فيقرأ ما يروقه من الكتب ويستغرق فيما يستحسنه منها ويقبل عليه فى تدبر عميق ، وكان له من العلماء والأدباء والساسة خاصة يستروح بهم وترتفع بينه وبينهم الكلفة ويسمرون ويتندرون ويلعبون بالشطرنج أحياناً ، وكانت لعبته هوايته الوحيدة من المسليات .

وكانت إقامته الدائمة بمصر حيث يوجد عمله ، وكان يصطاف أحياناً بالإسكندرية ، وقليلا ما ذهب إلى مسقط رأسه بالمراغة رغم أنها كانت حبيبة إلى نفسه لملاءمتها صحته ومزاجه ولما اقتنى عزبته بالإسكندرية كان يستجم فيها أحياناً ، ولم يبارح مصر إلى غيرها من الأقطار إلا مرة واحدة

سافر فيها إلى الحجاز للاشتراك فى المؤتمر الإسلامى فى سبتمبر سنة ١٩٢٥ ممثلا لمصر ، وكان رئيس المحكمة العليا الشرعية حينذاك .

وتزوج بسيدة واحدة من أشراف جزيرة شندويل قرب بلدته المراغة ورزق منها أبناؤه جميعاً وهم سبعة ذكور وأربع أناث ، وقد ورث عن البيئة الريفية الحرص على التصون والاحتشام . فكانت أسرته مضرب الأمثال فى المحافظة على هذه الفضائل لم تخرج عن تقاليد البيئة ولا تقاليد الإسلام ، وكانت تحرص على سمعة الشيخ وكرامة منصبه الدينى فلم تدع لعدو ثلمة ينفذ إليها فى هذه الناحية .

وكانت علاقته بأسرته مبنية على العطف والاحترام المتبادل إلا أنه كان يكره أن يستغل أحد من أهله جاهه فى الترفع على الناس والإساءة إليهم أو أن يتدخل فيما لا يعنيه من شئونهم ، وكان له فى ذلك أسلوب يكاد لا يحس به إلا من كان دقيق الملاحظة قوى الإدراك ، وكان على معرفة بعادات أهل الريف وتقاليدهم يروقه الكثير منها ويحرص أن يظل حيا دائماً خصوصاً ما يتعلق منها بنواحى البر والعطف على الفقراء وما يتصل بالتعاليم الإسلامية ، وكان يسره أن يعتمد كل فرد من أسرته على نفسه ويستقل بشئونه ما أمكن ويرى أن ذلك من أمارات الرجولة والنجاح ، حتى ليظن قصير النظر منهم أنه ضنين بمعونته عليه .

وكان شديد العطف على أبنائه يهبهم قسطاً كبيراً من الحرية فى رقابة خفية ويسيئه جدا أن تزل قدم أحد منهم ويقترف ما لا يليق بتقاليد الأسرة ومنصب الوالد ، وقد تعلم أبناؤه جميعا تعليما مدنياً على غير ارتياح منه بوحى البيئة المصرية التى نشئوا فيها وبحكم أحوال العصر ولعل من أسباب

ذلك انفساح المجـــال فى المناصب للمتعلمين المدنيين لجميع ذوى النفوذ فى الدولة من أولئك الرجال .

وقد ولى أكبر أنجاله فى حياته كثيرا من المناصب الخطيرة فى الدولة . فولى منصب محافظ القنال ومدير مديرية قنا وناب الثـانى منهم عن دائرة المراغة فى مجلس النواب مرات متوالية وولى بعضهم بعد وفاته مناصب هامة فى وزارة الخارجية وفى وزارة العـــدل . وعرفوا فى جميع ما تولوه من المناصب بالنزاهة والكرامة ، وكان الشيخ أنيقا فى ملبسه وذا ذوق خاص فى اختيار ألوانه وضرب بأناقته المثل بين العلماء . وكان أنيقا فى منزله أيضا فعلى رغم بساطة الأثاث كان له طابع ينم عن الذوق وحسن التنسيق . وكان له ذوق فى اختيار الأطعمة . وقد تميزت موائده بنوع خاص منها عرفه خاصته وخلطاؤه ، وكان حسن المعاملة لخدمه قلما اتصل بعمله أحد ثم انصرف عنه فكانوا شديدى التعلق به . وقد رفض سائق سيارته الخاصة أن يلى مثل هذا العمل لأحد غيره بعد وفاته . وكان له فى رمضان حالات غريبة فقد كان يتعبه الصوم لمرضه فيلتمس التسلية بشىء من الطرائف فكان يزور قبر الإمام الدردير بجوار الأزهر . ويتحف خدمه ومن يصادفه من ذوى الحاجات بما يشاء الله وكان يقف فى الطريق عند بائع الفجل أحيانا فيشترى شيئا منه ويعطيه مقدارا كبيرا من النقود فى صورة الثمن إخفاء للصدقة .

وكان مقتصدا جدا فى زيارته لا يقوم بها إلا لنفر قليل توثقت بينه وبينهم أواصر المودة . وكان يكره من محدثه أن يرائى أو يخاتل فى حديثه ويؤثر منه الصراحة والشجاعة ويرتاح إليهما وينشرح لهما .

الشيخ المراغى

للسيد المجددى سفير الأفغان بالقاهرة (١)

الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ومصطفاه وعلى آله وصحبه أجمعين .

يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

يأيها المسجى فى الكفن لم يخطر ببالى أن أقف هذا الموقف وأعزى فى فقدانك ملكين من ملوك الإسلام وشعبين كريمين من الشعوب الإسلامية ولكن الله القادر قضى هذا ولا راد لقضائه ، فنيابة عن صاحب الجلالة مليكى العظيم ملك الأفغان أقدم التعزية إلى ملك مصر وبالنيابة عن الشعب المصرى أقدم التعزية إلى الشعب الأفغانى لأن الملكين والشعبين الشقيقين أصيبوا بفقدان حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله رحمة واسعة .

إن الشيخ المراغى كان خلاصة علوم وأفكار الشيخ محمد عبده والشيخ محمد عبده كان خلاصة علوم وأفكار السيد جمال الدين الأفغانى ، فالشيخ المراغى

---

(١) ألقيت على منبر الأزهر يوم وفاته بعد الصلاة عليه .

خلاصة علوم وأفكار السيد جمال الدين الأفغانى كنا نعتبره خليفته فى نشر أفكاره وتعاليمه ونعده وريثه الوحيد فى العصر الحاضر ، لهذا تكون الصدمة شديدة على الشعب الأفغانى بفقدان فقيد الإسلام محمد مصطفى المراغى .

أعجبنى فى الفقيد العظيم احتفاظه بكرامته الشخصية ، واستقلاله الذاتى فى السراء والضراء والشدة والرخاء ، قابلته رحمه الله وهو منزو فى بيته ، وقابلته وهو جالس على كرسى مشيخة الأزهر ، وقابلته وهو يلقى الدروس الدينية بين يدى الملك فألفيته فى كل هذه الأحوال محمد مصطفى المراغى هو هو لم يتغير ولم يتلون فأنا حين أؤبن الشيخ المراغى أؤبن فقد العلم مع العقل ، والوقار مع التواضع وفقد السياسة والصراحة والشجاعة والكياسة .

إخوانى المسلمين : لا أجد كلمة فى وصف الشيخ المراغى إلا أن أقول إن العالم الإسلامى فقد إنسانا كاملا ، وعالما ومسلما مكملا فى وقت كان فيه أحوج ما يكون إلى أفكاره وعلومه ، والأدهى والأنكى أن الفقيد رحل ولا يوجد خلف له تتعزى به ، ولكن ما الحيلة وقضاء الله مبرم لا يقبل التـــأخير .

فياأيها الراحل الكريم ، ويامن كنت مثالا للوفاء والرجولة ومثالا للأخلاق الكريمة . أسأل الله لى ولك العافية ، وأن يجمعنى وإياك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

قال سيدنا الصديق الأكبر اذكروا مصائب الرسول يذل عليكم مصائبكم فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الإمام المراغى(١)

للأستاذ أحمد حسن الباقورى
وزير الأوقاف

في مثل هذا اليوم منذ ست سنوات مضت دعا الله إلى جواره الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، وقد لبى شيخ الأزهر دعوة ربه الكريم صائم النهار قائم الليل عاكفا على كتاب الله يتلوه حق تلاوته ويتدبره حق تدبره وينظر فيه نظر من يرى أنه الأمل الذى تتعلق به شئون المسلمين وتتطلع إليه أمورهم فهو لا يفتأ يرتاد لهم صلاح أمرهم وسيادة دنياهم وسعادة آخرتهم .

ولقد ذكر المسلمون الإمام المراغى وبكوه طوال هذه السنوات الماضية ، ذكره أهل الأزهر كما ذكره غيرهم وبكاه هؤلاء كما بكاه أولئك ، بل إنى لأعلم أن بكاء غير الأزهريين كان أغزر دمعا وآلم لذعا من بكاء الأزهريين . فقد كان الرجل أكبر همة وأوسع أفقا من أن يكون لطائفة دون طائفة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، كما كان رحمه الله قادرا على أن يرى فى الأفق البعيد البلاء المتحفز ، وفى المستقر العميق الهوى المتربص ، وكان لا يرضى إلا بأن يعمل بعقل الألمعى ، وغيرة المؤمن ، حتى ينام الهوى ويندفع البلاء ، ويسلم الجميع من الخطر ، بل من الضرر إلا فى الحد الذى لامناص منه ، وبالقدر الذى لامحيص عنه فى كل شعب وفى كل أمة .

ولقد اطلع إلى الخلف فى غضون السنوات الست ، ثم أتصور بعض ماوقع فى وطننا العزيز مما تضيق به الصدور فلا أرى شيئا منه كان سيقع بهذه

---

(١) نشرت بالأهرام

الحدة لو أن الشيخ المراغي كان رابضا في كرسيه في إدارة الأزهر يرى الهوى المتربص في مستقر الأعماق ، ويبصر البلاء المتحفز في أبعد الآفاق ، ثم ينصح لله ولرسول الله ولكتاب الله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، في قوة المؤمن الذي لا يضعف ، ورجولة الرجل الذي لا يتهيب .

ولقد يستبد بي هذا التصور ثم يرمي إلى بهذه الكلمة العاجزة (لو كان لكان) حتى يمتلىء بها ذهني ويتكلم بها لساني فلا أجد مخلصا من سلطانها إلا أن أعود إلى الأدب النبوي الرفيع (لا تقولوا) (لو) فإن (لو) تفتح باب الشيطان ولكن قولوا (قدر فكان) .

لقد كان الشيخ المراغي شيئاً عظيماً أعظم كثيراً مما يقع في أذهان بعض الناس ، وأعظم كثيرا مما يجري على ألسنتهم ، وإذا كان ذكر الراحلين إلى ربهم على قدر ما فيهم من مزايا كريمة وخصائص شريفة ، فإن من حق الشيخ المراغي على المسلمين أن يذكروه ذكرا متصلا اتصال جوانب الانتفاع به في دنيا الأحياء ، من حقه عليهم أن يذكروه إذا تطاولت الأعناق إلى الرجل الذي يمثل الإسلام في عز لا يذل ، وفي حلم لا يطيش ، ووقار لا يستخف ، ومن حقه عليهم أن يذكروه إذا تطاولت الأعناق إلى العالم الذي لا يمل الاطلاع في فهم دقيق وفقه عميق وهضم عجيب وسعة أفق وشمول نظر ومن حقه عليهم أن يذكروه إذا تطاولت الأعناق إلى الوطني الذي يحرص أشد الحرص على أن تكون في الأمة مثل رفيعة وتقاليد كريمة لا بقاء لأمة إذا انفصلت عنها ولا سلام في شعب إذا تنكر لها ، وإذا كان على المسلمين أن يذكروا الشيخ المراغي فإنما يذكرونه لكي يسألوا الله سبحانه أن يجعل ثوابه عنده في سابغ ظلاله وواسع جناته كفاء ما كان وفيا لدينه باراً بوطنه وسلام عليه في الآخرين .

ذكرى الامام المراغى(١)

للأستاذ أحمد حسن الباقورى
وزير الأوقاف

ما أسرع ما تمر الأيام وتنطوى صحائف الحياة فى يد الزمن ، سابع أعوام سبعة ينحسر اليوم ظله عن الإمام المراغى ، نائيا عن الأهل والولد ، والصديق الراجى والعدو المشفق ، ثاويا فى آخر منزل من منازل الدنيا ، وأول منزل من منازل الآخرة ، حيث تقصر الآمال ، وتنقطع الأعمال إلا أن تكون صدقة جارية يستغيث بها محروم ، أو علما نافعا يهتدى به حيران ، أو ولدا صالحا يزجى إلى الله من أجل أبيه صالح الدعاء ، أو يحمل الناس على أن يفعلوا ذلك بما يجلب إليهم من الخير ويدفع عنهم من الشر . ولئن كانت هذه الأعوام السبعة فى حساب العادين أمداً متطاولا يستطيع أن يهاجم الذكرى بالنسيان ، والفجيعة بالسلوان ، لقد كانت فى حساب المشاعر أو الأحاسيس ذكريات متصلة الحلق ، عميقة المستقر ، كثيرة الجذور ، ويعجز الزمن عن أن يمحوها بالنسيان ، إلا أن تتبدل مقاييس الرجال ويطول اختلاف الليل والنهار .

إن فى الناس رجالا لا يبلى ذكرهم على الألسن ، ولا تنطمس ذكراهم فى الصدور ، لأنهم عاشوا حين عاشوا فى صميم الحياة ، ولاحوا فى جميع آفاقها وكانوا فى أيامهم كما تتخذ الآساد أمكنتها من العرين يتقيها اللص الحذر ، كما يتقيها الباطش المتربص ، وهؤلاء الناس من عباد الله يتغير معنى الموت إذا

---

(١) نشرت بالأهرام فى ٧ يونية سنة ١٩٥٢ .

قيس بهم ونسب إليهم فوت أحدهم معناه غيبة جسدهم عن العيون ، وتمثل ذكراه فى القلوب عاتية عاصفة كلما استيقظت فى الأمة فتنة ، أو تلبطت فيها مؤامرة ، واحتاج الناس إلى الحيلة الواسعة ، والرجولة الكاملة ، ينيمون الفتنة المستيقظة ويستدفعون المؤامرة المتلبطة .

والشيخ المراغى من أولئك الناس فى الرعيل الأول ولئن استطاع الموت أن يطوى قامتـه المديدة المهيبة ووجهه النبيل الوقور وصوته المتزن ، النغم الحلو ، وذوقه الرفيع فى تخير الموضوع والحديث عنه ، لئن استطاع الموت أن يطوى عنه كل هذا وأن يحجبه وراء أسوار سبعة أعوام ، فانه لم يستطع أن يطوى ذكراه عن القلوب التى تربطها به صلة من النسب ، أو صلة من العلم ، أو صلة من ذوق أدبى رفيع ، أو صلة من مذهب فى الإصلاح ، أو صلة من عناية بشئون الوطن وقضاياه العامة ، وإن الناس هؤلاء وغيرهم ليذكرون الشيخ المراغى كلما جرت أمور الدنيا والدين فى هذا البلد رخاء ، وكلما انتكست فى سيرها فتولدت عنها الزوابع والأعاصير وأنهم ليذكرونه كلما هاج سوء التصرف نفوس الشعب فاهتاجت أشد ما يكون الشعب حاجة إلى الهدوء والاطمئنان ، وأنهم ليذكرونه كلما استقام الحكم فى البلاد ، فرضى الساخط ، وأمل اليائس ، وكلما التوى الحكم بأهله ، والتوى أهله به فسخط الراضى ، ويئس الآمل وهمّ كل مواطن أن يعيش فى نفسه أمة وحـــده لا يعنيه مما يجرى حوله شىء إلا بمقدار ما فيه من نفع ذاتى أو مضرة ذاتية ، وأنهم ليذكرونه كلما أراد أمر ذو بال أن يواقع دنيا الأمة ، فلقد كان الشيخ رحمه الله يعيش مع كل أمر ذى بال فى تلك الدنيا . وكان الناس من حوله فيها رجلين ، محكوم يرجو به أمنا من خوف ، وعدلا من ظلم ، وعافية من بلاء ، وحاكم يخشى منه غضبة حق ، تزلزل من تحتـه أرض السلطان التى

يقف عليها ، وتنقض فى يده حبل الثقة الذى يتمسك به .

لقد لحق الشيخ بربه وستبقى ذكراه ماثلة فى النفوس ما أخذ الناس أنفسهم بأدب الله .

« ولا تنسوا الفضل بينكم » وما بقيت مناهجه فى الإصـــلاح قائمة فى النفس ، وإن أبناءه ومريديه يحبونه أشد الحب ، ويؤثرون مناهجه فى الإصلاح أشد الإيثار ، لأنها فى أنفسها خليقة بالإيثار ثم لأنها تراث الشيخ المراغى الأثير لدى العقول والقلوب جميعا ، ولا والله لن أنسى ما عشت مجلسى منه خاليا فى داره ، وهو يردد للإمام الجليل ابن تيمية رضى الله عنه قوله « إن الدولة الكافرة العادلة خير من الدولة المسلمة الظالمة » ثم يقرأ قول الله سبحانه وتعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ويقول ما معناه : إن الأمة التى يقوم فيها المحكوم بأداء الأمانة ، والحاكم بالتزام قواعد الحق ، أمة لا تفوتها غاية ولا يدركها انحلال رحم الله الشيخ المراغى بما قدم من خير وبما يقدم من صدقة جارية وعلم نافع وولد نرجو أن يسبغ الله به على الأمة الأمن والعدل والسكينة والسلامة .

المراغي في مرآة التاريخ

للأستاذ أحمد حسن الباقوري
وزير الأوقاف

الإنسان عقل مصرف وإرادة موجهة، وليس شيئا يأكل وينام. والناس حين يريدون التماس الفرق بين الإنسان والحيوان، لا يكادون يذكرون من خصائصه إلا هذه الخاصة، خاصة العقل المصرف والإرادة الموجهة، في حين أن الخاصة الجديرة بالذكر في هذا المقام، هي أن الإنسان مذكور مقدور بعد أن يدركه البلى ويحتويه التراب، ويصبح عاجزا كل العجز عن أن يدافع عن نفسه متطاولا، أو يثيب من جاهه أو ماله مثنيا مقدرا، والشيخ المراغي من أولئك الذين خلدوا على وجه الدهر وبقوا على مر الزمن. ولئن كان رحمه الله قد ألقى في دنيا الناس عصا التسيار، لقد بقي في رأي أصدقائه وخصومه معا مثالا يحتذى، وذكرى تحترم وحديثا يدار.

والناس حين يذكرون الشيخ المراغي كلما أقبل رمضان يتلقون هذه الذكرى وهم حيالها فريقان: فريق هم تلاميذه الخاصون، وأصدقاؤه المقربون، وفريق آخر هم المسلمون من أبناء العالم الإسلامي في مصر وغير مصر، وأولئك وهؤلاء جميعا يتلقون هذه الذكرى بالدعاء له والترحم عليه، والتقدير له أجمل التقدير، والثناء عليه أبلغ الثناء، فهو رحمة الله عليه من الذين أوتوا الإنسانية من أوسع أبوابها، بما وهبه الله من عقل مصرف وإرادة موجهة، ثم بما عرف هو أن يستخدم هذا العقل وهذه الإرادة

---

(١) نشرت بجريدة الأهرام في رمضان سنة ١٣٧٢هـ (الموافق أغسطس سنة ١٩٥٤ م)

استخداما جعله ملء الأسماع وملء الأبصار وقد خلت من صورته الأبصار وأقفرت من صوته الأسماع .

ولست أجانب الحق حين أقرر أن نباهة شأن الشيخ فى الناس إن كان من شأنها أن تسر وأن تسعد ، فإنها مع ذلك قد مسته بنفحة من الظلم للحق ، والغض للواقع ، فما أكثر ماتعرض الرجل لتهم باطلة ، وأحكام قاسية ، فى بعض تصرفاته ، ولئن كان رحمه الله لم يرد أو لم يستطع أن يدفع عن نفسه تطاول المتطولين ، وأرجاف المرجفين ، إن من الواجب على تلاميذه وأصدقائه أن يدفعوا عنه ميتا مالم يدفعه عن نفسه حيا ، ومالا يستطيع أن يدفعه عن نفسه وهو ثاو فى ظلام القبور .

لقد جنى علو ذكر الشيخ عليه فظنه الناس رجل سياسة لاصلة له بالعلم ، أوله به صلة لا تبلغ صلة أقرانه من سائر الأزهريين ، وهذه خيانة للحق وجناية على الواقع ، لقدكان الشيخ المراغى عالما علما لم يبلغه أقرانه من سائر الأزهريين ، وقد كانت خاصته البارزة فى هذا الميدان أنه كان يحسن عرض ما يعلم ، ويعرف ما يقال ومالا يقال ، ولم يزعم لنفسه قط ولم يزعم له أحد ممن يتعصب له أنه أتى أو يأتى بجديد ، لأن أحدا من المسلمين لا يملك أن يزعم أو يزعم له أنه يأتى بجديد .

ولقد جنت عليه صلته بالقصر وحاول الساسة القدامى بكل ما فى أنفسهم من حقد ، وما فى نفوسهم وعقولهم من تفاهة ، أن يسبغوا عليه أنه رجل من رجال القصر يؤمر فيطيع ويوجه فيتجه .

والتصديق بهذا الزعم خيانة على الحق وجناية على الواقع ، فقد أذكر

أن الشيخ المراغي كان من الذين يوجهون إلى سياسة رشيدة ، بكل ما يملك من عقل ونفوذ ، ولما لم يستجب له الخبثاء من رجال القصر كان يهاجم سياستهم مهاجمة الشجاع الذي يقدم حين يرى الاقدام عزما ، ويحجم حين يرى الاحجام حزما ، ولم تكن في يد الرجل قوة يستطيع أن يصنع بها أكثر من النصح والنقد ، وهو الذي كانت تضطرم من حوله نار الفتن عن طريق الدسائس الذي يحوكها له رجال القصر ورجال السياسة جميعا .

ألا رحم الله الشيخ المراغي وهيأ له من يكتب تاريخه في تلك الحقبة من تاريخ مصر في ضوء من البصر بما كانت تنطوي عليه نفسه من الهمة والغيرة والإمعان في البحث عن أول الطريق .

ذكرى الامام المراغى[1]

للأستاذ أحمد حسن الباقورى
وزير الأوقاف

فى هذا اليوم يذكر الناس الشيخ المراغى ، والشيخ المراغى خليق بالذكر كلما أظل يوم موته ، وكلما أدار الناس الحديث بينهم عن نسيج معين من الرجال ، فهم الدين والدنيا معا ، وعاش فى أفق العلم ودنيا الواقع جميعا ، فلقد كان الشيخ المراغى كذلك فى إقباله على العلم إقبالا شديدا ، واشتغالا به اشتغالا متصلا وبحثه بحثا دقيقا عن الأسرار والحكم والنظرات البعيدة ، وراء القواعد المقررة . وكما كان كذلك ، كان حديد البصر بتيارات السياسة ، شديد الفقه لخفايا النفوس ، سريع الإلمام بكل مايسيطر على دنيا الناس من نزوات وأغراض وغايات وشهوات ، وأشهد لقد رأيته واستمعت إليه وتحدثت معه ، وكان ذلك كثيرا لايبلغه حصر ، وأشهد لقد استفدت منه فى كل جلسة إليه ، وكل حديث معه ، كما كان يستفيد غيرى علما جديدا يتصل بشئون الدنيا أو شئون الدين وقد يكون فى الناس كثير قرأوا كما قرأ الشيخ المراغى ، وتتبعوا الانباء والاخبار فى كل شأن من شئون الحيـاة العامة أكثر مما كان يفعل الشيخ ، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يقفوا إلى جانبه يطاولونه إذا دارت مناقشات حول مسألة علمية أو اجتماعية أو سياسية وذلك أن الحفظ وإدمان المطالعة لاتبلغ بالرجل منزلة الإمامة أو العلماء ، حتى توازرها فى نفسه فطرة مستعدة وإدراك مهيأ لإدراك الحكم الدقيقة فى مسائل العلم والنزعات الخفية فى

---

(١) نشرت بالأهرام

مضطرب الحياة ، والذين يحفظون من غير استبصار ويروون فى غير موازنة إنما هم مكتبات متنقلة تحوى مختلف الكتب من مختلف الفنون ، ولكنها لاقيمة لها ولا خير فيها مالم يحطم إقفالها ويكشف أسرارها أمثال الشيخ المراغى، الذين يدرون أكثر مما يروون ، ويعقلون أشد مما يحفظون ، وقد اتسعت آماد تفكيرهم وانفسحت آفاق عقولهم ، فلاءموا بين النظرات التى مشى بها إليهم الزمن وبين الحياة التى يجدونها بين أسماعهم وأبصارهم وفى أعماق نفوسهم ، ومن هنا كانت الفجيعة فى الشيخ المراغى عظيمة ، فقد كان الرجل فى أخريات حياته يريد أن يخلص للعلم وأن يخلص له أمثاله من الأزهريين فى شبه عزلة من المسائل الإدارية ولو قدر لهذا التفكير أن يأخذ طريقه إلى الوجود لكان فى ميسور الناس أن يروا علما مدروسا ممحصا وأن يلمسوا اتجاها علميا قريبا ، وأن يجدوا الأزهر يتهيأ للصدارة والقيادة من جديد ، ولكن الشيخ عوجل عما يريد بما يريد الله فلحق بالرفيق الأعلى أشد ما كان المسلمون حاجة إليه وأملا فيه ، فرحمه الله ورحم به .

إمام يحيي ذكرى إمام[1]

للأستاذ الأكبر عبد المجيد سليم شيخ الأزهر

زرت أمس حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر فى منزله وأثرت بين يديه ذكرى سلفه العظيم الإمام الأكبر المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى مشيرا إلى عهدهما المشترك فى خدمة العلم والدين والأزهر منذ أصدر الملك فؤاد أمره باسناد المشيخة والإفتاء إليهما فى يوم واحد وماتقلب عليهما بعد ذلك من أحوال كثيرة مختلفة . وكأنى قد فتحت بذلك كتابا عامر الصفحات مليئا بالحديث عن هذه الذكريات . فقد انطلق فضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث عن صنوه وسلفه الأستاذ الأكبر الإمام المراغى وهكذا استطعت أن أسوق إلى القراء حديث الإمام عن الإمام .

قال فضيلة الأستاذ الأكبر :

رحم الله الشيخ المراغى وأحسن إليه لقد كان عظيما حقا ، وكانت له صفات كريمة ، وخلال شريفة هيأته لهذه العظمة ، وجعلته يقتعد فى التاريخ هذه المكانة الجليلة ، لقد كان رحمه الله ذا فطرة سليمة صافية ، يمدها ذكاء شديد واستعداد طيب . وكان مما أفاده وخرجه تخريجا قويا تلمذته على الرجلين العظيمين المغفور لهما الشيخ أحمد أبى خطوه والشيخ محمد عبده ، فعنهما اكتسب الاستقلال فى التفكير ، والميل إلى الحرية ، والقصد فى الاعتقاد بما يراه أهل التقليد ، وكان له مع هذا كله قدرة عظيمة على التعبير عن أفكاره فى لفظ

---

(١) نشرت بالأهرام

رائق ، وأسلوب قوى ، وبيان فصيح ، هذا هو السر فى أنه ظهر بين شيوخ الأزهر مبرزا قويا مجلجلا مدويا ، وإن لم يكن أكثر علما من الشيخ أبى الفضل ولا من الشيخ الشربينى ، إن العلم يابنى كسائر ماوهبه الله للناس ، منه مبارك فيه يحل به النفع ويسرى من صاحبه إلى غيره سهلا مفيدا ، ومنه ماليس كذلك ، وليست العبرة على كل حال بالقلة أو الكثرة ، وقد كان المغفور له الشيخ المراغى كالمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده كلاهما من أصحاب العلم النافع المبارك ، ثم قال لقد كنت أنا والشيخ المراغى صديقين حميمين كلانا يحب صاحبه ، ويقدر فيه مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة ، بل كانت أصيلة مرت بها عهود وأعمال مختلفة ، اشتركنا فيها ، ولكننا مع ذلك اختلفنا بعد لأى من مشيخته الثانية للأزهر . وكان خلافنا معروفا للخاصة والعامة من الأزهريين ، وغيرهم . وسببه الجوهرى ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك ، أنى أرى الخير كل الخير فى أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية وينأوا عن مكايد الجزبية ومتاعبها التى تفضى إلى ما لا يحمد من العواقب ، ولكن هذا الخلاف لم يخرج بى ولا به عن الجادة وما ينبغى أن يكون عليه أهل العلم من المودة والنصيحة ، فكنت أبدى له ودى وأنقد مع ذلك بعض تصرفاته التى أرى مبعثها غالبا هو ذاك ، وكان يتقبل ودى ويبادلنى إياه ويعتذر عن عدم مشاطرتى الرأى الذى أنقده فيه ، أو يبدى من المبررات ما يراه سببا لفعله ، وعلى كل حال لم يكن هذا الخلاف بالذى يقطع مابيننا من محبة وتعاون ، بل كان خلاف الشرفاء والحمد لله فقلت لفضيلته : ذكرتم أن خلافكما كان على عهد مشيخته الثانية . فهل كنتم على وفاق فى عهد مشيخته الأولى ؟ وما تفسير ذلك ؟ فأجاب قائلا : لقد كان رحمه الله فى عهد مشيخته الأولى مؤيدا تمام التأييد ،

وكنت معجبا بآرائه وأفكاره الإصلاحية وطريقته فى الادارة وتركيز قواه، وما أتاه الله من مواهب، فى الأزهر وإصلاح شأنه، والحق يابنى أن الأزهر رسالة بذاتها، وأنه كاف جدا لاستغراق جهود المصلح الذى يريد أن ينفع أمته ويرضى ربه، أليست رسالة الأزهر هى رسالة الاسلام؟ إن العالم يصطرع منذ الحرب الكبرى الأولى صراعا شديدا وناحية الخطورة فى هذا الصراع هى ناحية الفكر ناحية المبادىء، أو إن شئت فسمها ناحية النزعات، ومن واجب الأزهر - وهو أقوى حارس للفكرة الإسلامية - أن يقف من هذا الصراع موقف الحذر الناصح الأمين، كى لا تعشى الأبصار بالأضواء الكاذبة، ولا تخدع العقول بالأضاليل التى يحاولون أن يلبسوها ثياب الهدى، والحق أن الإسلام هو المنهاج الصالح للحياة الذى ارتضاه الله لعباده وهو العليم بما يصلحهم، الرؤوف الرحيم بهم، فويل للعالم ثم ويل إذا زال هذا الحاجز المانع من الأهواء ونزعات السوء والهدم، ونعوذ بالله أن يزول. وأطرق فضيلته إطراقة يسيرة قال على أثرها: أتحسب أن ما كان بيننا من خلاف حال بيننا وبين التعاون على خير الأزهر والمسلمين؟ كلا. لقد كنت أعاونه معاونة قوية. وقد ظللت أقوم على رياسة قسم التخصص وأنا فى منصب الافتاء مدة طويلة أشرفت فيها على تخريج مئات من العلماء الأقوياء الذين يحملون الآن على عواتقهم أهم أعباء الأزهر، وكنت أشترك معه فى كثير من اللجان العلمية كلجنة الأحوال الشخصية ولجنة مناقشة الرسائل العلمية التى كان يتقدم بها طلاب العالمية من درجة أستاذ، وقد كانت هذه اللجنة تعقد أحيانا فى الرواق العباسى ويشهدها (والمناقشات العلمية على أتم ماتكون قوة ودقة) علماء الأزهر وطلابه الراغبون فى العلم والبحث من غير الأزهريين، وكم كان يتجلى فى هـــذه المناقشات الحرة ذكاء الشيخ المراغى وعلمه، وقوة

تفكيره وإخلاصه للفكرة العلمية ، وحرصه على تبيين الحق وضرب المثل لأبناء الأزهر فى تقبله والنزول على حكمه ، ولقد كانت أيامه عظيمة حقا

رحم الله صاحبها رحمة واسعة وجعله من عباده المكرمين الذين يجزيهم أحسن ما كانوا يعملون .

واختتم فضيلته هذه الكلمات الجامعة بقوله : أسأل الله العلى القدير أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد ، وأن يهىء لنا من أمرنا رشدا ويثبت خطانا ويرفع من أقدارنا فى الدنيا والآخرة .

ذكرى المراغى[1]

لاتظلموه فى مثواه

للأستاذ عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

حق علينا للشيخ المراغى أن لا نجحد فضله أبدا ، وحق علينا أكثر من ذلك ألا نلصق بذكراه ما ليس حقا ، وقد نشرت الأهرام فى يوم ٦ — ٦ حديثا لأستاذنا شيخ الجامع الأزهر - بارك الله فيه - عرض فيه لما كان بينهما من صداقة قديمة وثيقة ولما طرأ على هذه الصداقة من خلاف أيام المشيخة الثانية للشيخ المراغى ، وعزا شيخنا هذا الخلاف فيما جاء بحديثه إلى « أن الشيخ المراغى كان يميل إلى السياسة الحزبية » وباعتبارى ممن تشرفوا قديما بالصلة بالشيخين وقت مودتهما ، ووقت خلافهما ، أستأذن مولاى من تصحيح هذا السبب استمدادا من الواقع الذى جرى على يدى ، وفاء بحق التاريخ وإبراء لذمتى من العهدة ، كنت تطوعت على ضآلة شأنى بسفارة كريمة بين الشيخين ، أذن لى فيها كل منهما ، وسمعت من كليهما كل ما يتعلق بموقفه من صديقه ، وما يتصل بهذا الخلاف من كل ناحية ونقلت ما عهد به إلى كلاهما فى حسن تصرف منى ، حتى انتهيت بعد تردد بينهما إلى تطييب نفسيهما فتصالحا أخيرا على يد شخصية غير أزهرية لها خطرها حتى اليوم ، ولم يكن فيما سمعته من شيخنا الأكبر يومئذ ميل الشيخ المراغى إلى السياسة الحزبية وما كان هذا ليقال مطلقا لما يعلمه مولانا ونعلمه نحن من بعد

---

(١) نشرت بالأهرام

الشيخ الراحل عن التبعية الحزبية فى أى شكل من أشكالها ، نعم كانت للشيخ حظوة عند المقامات العالية ، وكانت له صداقات شخصية بأفراد من رجال الأحزاب ، وشىء من هذا لا يسمى سياسة حزبية بالمعنى الذى يفيده حديث الأستاذ الأكبر ، وما أحسب مولانا الشيخ يقصد هذا الذى ذكرت ، ولم يكن يغيب عن الشيخ الراحل - أكرم مثواه - أن الحزبية تشين رجال الدين ، بل كان إلى جانب تقديره لهذا يؤمن بنفسه ويرى فى كبريائه أنه فوق التبعيات الحزبية التى يتهافت عليها غيره من الرجال ، وإيضاحاً للموقف مع الإجمال أذكر جيداً أن من أهم الأسباب التى برر الشيخ الأكبر بها خصومته لصديقه المراغى أنه يثق ببعض موظفى الإدارة أكثر مما ينبغى ، وأنه كان لا يشتد على الطلاب حتى لا يعبثوا بنظام الدراسة ، وهكذا من أمور لم تكن عند الشيخ الراحل كما يصورها صديقه ولو لم تكن تبعتها ولو صحت محسوبة على أحد غيره ، ولا كانت تقتضى تلك الخصومة التى كان من أثرها أن ينبش عنها اليوم من غير حق .

وأذكر إلى جانب ذلك أن الخصومة فى أشدها لم تكن تمنع الشيخ الراحل عن امتداح صديقه ، وتقدير علمه ، حتى كان يشهد له بيننا بأنه أعلم من شيخه أبى خطوة ، وأبو خطوة فى جيله كان موضع الإعجاب ، بل لم تمنعه يوما أن يقترح إعفاءه من المشيخة لأمر ما واختيار الشيخ الحالى بدلا منه ، وأرجح أن مولانا يذكر ذلك كله ويشكره ، وللتاريخ كذلك أذكر أن غضبة الشيخ الحالى جمعت حوله نفرا من أولئك وربطت به أمامهم فأخذوا عن غير توجيه من الشيخ يتعجلون الأمل ، ويثيرون فى الأزهر عجاج الفتنة ، ويحملون عرائض مذيلة بتوقيعات مخترعة ويذهبون بها إلى بعض الوزارات يطلبون تخلية المنصب من شاغله ، كما نشط بعضهم فى التهويش على الشيخ بما

تنشر لهم مجلة الرسالة من مقالات جافة ، ومع ذلك الشغب كان الشيخ في جانب الله وكان الله في جانبه إلى النهاية ، ثم أذن الله بالمشيخة بعد فترات من الوقت إلى فضيلة الشيخ الحالى فماذا كان ؟

كان من سياسة مولانا التى أوحت بها المصلحة لا غير أن احتضن من كان يوقظ الفتنة ويحمل مشعلها بين العلماء وأن يشغل الشيخ نفسه بهذا الشكل الملحوظ أكثر مما ينبغى ، حتى إذا لم يستطع الشيخ أن يتخطى به الصفوف خلق له وظيفة لا يعهدها الأزهر ولا يحتاجها ، وكان من سياسة الشيخ كذلك وهى سياسة الصداقة أن يدلل من يؤثرهم من أولئك على كبار الشيوخ فى غير توقير ، وأن يكره الموظفين القدامى على اخلاء غرفهم ليستريح المدللون .

وخير من ذلك وأمثاله : أن يبسط الشيخ كف الأزهر سخية بالعطاء لمجلة الرسالة حتى تقمصت مجلة الأزهر من كل وجه وطلعت علينا المجلة فى أول عدد منها بالعجب العجاب ففيها من يشتم الأزهر ويحاربه ، ويكافأ على من يكتب من خزانة الأزهر ، وفيها تعاد مقالات قديمة ، وفيها يكتب عن القرآن بأن آياته تقضى بدخول غير المسلمين الجنة . وهكذا مما هو جديد وتجديد نرجو أن تتسع له عقولنا وأفهامنا وأن يوفق الله أنصار الشيخ لأضعافه من الخير .

وبعد ....

فهذه نبذة وجيزة نصور بها نشاط الإصلاح الذى يجرى فى الأزهر بعض نواحيه ونكشف بها عن أمل كان الأزهر يتعجله وقد خان والحمد لله .

ذكرى الامام المراغى(١)

للأستاذ حسنين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية

فى مثل هـذا اليوم منذ عامين انتقل إلى الرفيق الأعلى شيخ الإسلام الإمام المراغى وهو يكتب بيده تفسيرا لسورة القدر. كان مقررا أن يتفضل بالاستماع إليه الملك فى الاحتفال الرسمى بإحياء ليلة القدر المباركة فكان آخر عمله فى الدنيا عبادة الله .

وكانت خاتمة سعيدة لأعمال صالحة تبشر بما أعـده الله له فى جناته من الرضوان والنعيم المقيم .

كان للشيخ المراغى قلب نقى يفيض حنانا وعطفا على الفقراء والمعوزين ويدان مبسوطتان للبر والعطاء للمحتاجين فى خفيـة عن أعين النـاس ابتغاء رضوان الله .

وأشهد أنى شرحت له فى إحدى زيارتى وهو فى حلوان بمنزله حالة أحد العلماء الغرباء . فما كدت أتم الحـديث حتى رق له وخرج من غرفة مكتبه ودعا فى يديه كسوة جـديدة من فاخر ثيابه وطلب منى أن أقدمها إلى ذلك الرجل على أن لا يعلم أنها من عنده . فكان ما أراد .

كان قوى النفس عالى الهمة كريم السجايا ، بعيد مناط الآمال ، أبت عليه خطرته إلا أن يكون فى الصدر من عظماء الرجال ، وأعلام الاسلام ، وشاء الله تعالى أن يكون عظيما حقا طوال حياته ، فكان فى القضاء فى السودان

---

(١) نشرت بالأهرام فى أغسطس سنة ١٩٤٧

ومصر المثل الأعلى فى النزاهة النفسية وسعة الأفق واستقلال الرأى وعدالة الحكم. وكان فى الأزهر الإمام القدوة والرئيس الحازم والمدبر الحكيم.

وكان له فى مجال الحياة العامة بصر نافذ، ورأى سديد، وسياسة رشيدة، سداها حب الدين والوطن ولحمتها الولاء والإخلاص لمليك البلاد.

ولقد سار فى الأزهر على هــــذا النهج فحفظ على عهده عزته وكرامته واستقلاله وسمعته كجامعة علمية إسلامية كبرى تؤدى رسالتها فى ظل الحياة الحرة المستقلة التى لا تخضع للمؤثرات الخارجية، والنزعات الحزبية فأرضى الله الذى حباه من رضـــاه ما هيأ له أسباب النجاح فى مهمته، وحبا الأزهر من سابغ فضله ما رفع به مكانة عليا.

هذه بضعة خطوط رئيسية فى سيرة الإمام المراغى، ولعلها تتخذ نواة لتاريخ حافل بمآثره، ونواحى عظمته وسر نجاحه فى حياته، وحسن الأحدوثة عنه بعد وفاته يعنى الأزهر بوضعه تمجيدا وتخليدا لمن ضحى فى سبيله بصحته ومهجته. وذلك أقل مظاهر الوفاء وعرفان الجميل.

المراغي[1]

للأستاذ فكري أباظه الكاتب المعروف

يستضيف الأزهر والإسلام اسما جديدا إلى جانب أسمائه الضخمة الكبيرة وهو اسم « المراغي » ويضعه بجوار « جمال الدين الأفغاني » و « محمد عبده » وأندادهما من أئمة الإسلام وأقطاب الأزهر .

اختار الله سبحانه وتعالى « الشيخ المراغي » إلى جواره فتوارت شخصية كبرى من عالم الأحياء وفقدت مصر صنفاً عاليا ممتازاً عديم النظائر والأشباه ، وسيؤرخ المؤرخون ويحلل المحللون ، ويؤبن المؤبنون ، وهم مهما اتجهوا ذات اليمين أو ذات اليسار ، فلن يغفلوا أن الفقيد كان شخصية فذة ممتازة قوية ، صمدت أمام كل سلطة في البلد حين شاء الاباء الشخصي أن تصمد ، وقاومت حين شاءت الكرامة الشخصية أن تقاوم ، ويروى لك ضابط الجيش في السودان سنة ١٩١٩ روايات مثيرة عن مناعته وقوته ووطنيته في ذلك العام ، حين كان يقود الثورة المصرية في السودان بخطبه الفوارة ، وحين كان شبح الارهاب للانكليز إذ ذاك ، ولكنهم مع أنهم خشوه فقد رهبوه واحترموه ، إلى أن استطاعت السياسة المحلية هناك أن تتخلص منه ، إنما بكل إجلال واحترام .

وارتطم الفقيد هنا ببعض الأزمات العليا ، ودس له الدساسون لدى الملك فؤاد الأول فآثر أن ينزوي وأن يحتجب حتى بدت وجهات نظره متألقة بقصد المصلحة والخير للأزهر والأزهريين ، فعاد السيف إلى قرابه وتربع على كرسي المشيخة واستطاع أن يحرر الأزهر تحريرا تاما من سيطرة القصور والدواوين ، ودعمه باستقلال جامعي لم يوفق إليه شيخ سابق .

---

(١) نشرت بالمصور في ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ ، الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

وكم اصطدم مع حكومات قوية كحكومة الوفد فى أكثر من عهد ، ولكن ظلت مكانته من نفوس الحاكمين مكانة الإجلال والاحترام ، فلم تخدشها الخصومة ، ولم يؤثر عليها كدر العلاقات ، وامتاز الشيخ المراغى على أنداده بأنه كان واسع دنيا المعارف من مختلف الحيثيات والجنسيات ، فهو من هذه الناحية لايجارى ، فما من شخصية أجنبية ذات مكانة لم تتصل بالشيخ الراحل اتصال ود وإجلال .

وقيل الشيء الكثير عن « أدوار سياسية » لعبها فى أكثر من ظرف وأكثر من جيل ، ولست أعلم بالتفصيل كيف كان الفقيد ذا صلة وثيقة بالسياسة العليا ، وإنما الذى أعلمه أن أصدقاءه جميعا من زمن كانوا من زعماء الأحزاب وأقطاب السياسة فى البلد ، وكانت صلته الوثيقة بالقصر الملكى ثقة ترتكز على ثقة متناهية وحب . . . ولعل تلك الصداقة وتلك الصلة بالقصر وبالسياسيين من زعماء وأقطاب هى التى جعلت حكمة الشيخ واتزانه وبعد نظره إلى مقربة من حاجة المسئولين إلى الرأى والفتوى ، فاستعانوا بها حينا بعد حين ، وأعلم جيدا أنه كان حريصا وشديدا فى أن يضع بينه وبين السياسة حدا فلم يكن يحبها لأنه لم يكبر من وسائلها وأساليبها .

بقى علم الشيخ وأدبه وخلاله ، والعارفون يقولون : إن ثقافته العصرية رفعت من شأن الأزهر ، وقربته إلى الجماهير ، وقد اختط الفقيد أسلوبا جديدا فى التهوين على السامعين بأسلوب رقيق يعتبرونه من نوع السهل الممتنع ، وستظل أحاديثه الدينية وخطبه أثرا من آثار الأزهر الخالد .

أما إحسانه الجم وخيراته التى كان يوزعها شهريا فأعلم عنها الكثير ولكنى أعلم أنى أغضبه إذا حاولت أن أزيد . . . . . .

رحمه الله رحمة واسعة وللأزهر والإسلام العزاء كل العزاء .

الامام المراغى[1]

للأستاذ كامل الشنـــاوى

أى رجل فقدناه أمس ، وأى عالم وأى مؤمن بالله ؟ أما المراغى الرجل فتتجلى قوته فى نضاله من أجل ما أعتقد أنه الحق . ويا له من نضال لقى فيه العسف والعنت والظلم . فلم يقف حيال مالقى ساكنا ولاصابرا ، ولكن غالب خصومه فغلبهم وحاربهم وانتصر . وأما المراغى العالم فتبدو كفاءته وقدرته فى هذه الأحاديث والدروس والبحوث التى وصل فيها الدين بالعلم وتبدو فى وقوفه من الظواهر العلمية موقف الدارس المتأمل ، وقد استطاع غير مرة أن يرد هذه الظواهر إلى مكانها من حكمة الدين وسر العقيدة ، وكان حديثه عن الطاقة الذرية منذ أيام — وأسفاه — حديث العالم الفاقة لما فى دينه وما فى دنياه .

بقى المراغى المؤمن بالله أن المؤمن لايخـــاف ، والخائف لايؤمن . ليس مؤمنا من يهاب القوة والسلطان مهما تهجد وتعبد وأذابت أصابعه المسابح ، وأكلت جبهته سجاجيد الصلاة . ولقد كان المراغى شجاعا لايخاف إلا ربه ، كان مؤمنا وسيرته الكريمة فى الحياة هى العلامة الظاهرة لإيمانه المتين من هذه الصفات الصحيحة تـكونت شخصية الامام المراغى وقد كانت شخصية ممتازة فرضت سلطانها الروحى على الناس . فى هذا العصر ـ عصر الحديد والنار والكهرباء ـ استطاع المراغى بشخصيته القوية أن يجعل صوت

---

(١) نشرت بالأهرام فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ .

الأزهر يدوى فى أرجاء العـــالم ، واستطاع أن يكسب لمصر مكانة دينية لانعرف لها نظيرا .

لقد انتهى المراغى أمس شخصا يروح ويغـــدو ولـكنه لم ينته ولن ينتهى شخصية مستقرة فى القلوب والأذهان .

ذهب المراغى . . . ذهب الوجه النبيل المشرق . خفت الصوت العذب الجذاب ، أغفت العينان النافذتان إلى خفايا النفس والرأس . أما المراغى الرجل العالم المؤمن فقد مات يوما واحدا ليعيش على الأيام .

وجوه أطمئنت(١)

للأستاذ الكبير عباس العقاد

إذا وجد بعد الشيخ محمد عبده من استحق لقب أستاذ فهو الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر أحسن الله إليه .

كان من أعلام هذه المدرسة الحرة ، وكانت له شجاعة الرأى فيما يخالف الرأى الشائع والعرف المصطلح عليه ، وكان من ذوى الحزم والأصالة فى إدارة الجامع الأزهر يوم اشتجرت حوله منازع السياسة وتشعبت فيه دسائس القصر ومراميه ، وكان صفا متقدما بين دعاة التجديد والنهضة الدينية ، ولكننا وجدناه المحافظة فى بعض الآراء منها رأى بعض المفسرين فى مفردات القرآن التى يقولون : إنها فارسية أوعجمية فإنه لم يكن يسبغ هذا الرأى ويرى خلافا له أن ماتحدث به العرب فهو عربى ولاعبرة بوروده على ألسنة المعاجم .

ومن المسائل التى كان فيها شديد المحافظة مسألة البحث فى اللغة العامية للوقوف على قواعدها . فإنه رحمه الله كان يرى فى هـــذا البحث تعقيدا للعامية وتمكينا لها ، وقد يؤدى ذلك إلى خلق لغة ذات قواعد وأصول إلى جانب اللغة الفصحى ، وكان وقورا ، ولكنه كان يضاعف وقاره ولا يكتفى بما عنده منه وأحسبه يخفى بهـــذا التزمت ميلا إلى الفكاهة قلما ينبسط فيه .

سمعت منه أبيات حافظ على لسان « شعرور » من المشايخ وأنشدها

---

(١) من مقال له فى أخبار اليوم بعنوان « وجوه أطفئت » نشر فى نوفمبر سنة ١٩٥٤م

الأستاذ الإمام فى مرضه ليسرى عنه وأولها :

الحمد لله طاب الشيخ مولانا　　　محمد عبده قد كان عيانا

وسمعت عنه قصة الحفاظ المنقطعين لإحسان رجل كريم من أهل السوذان يواليهم بعطاياه فألفاهم يدعون الله أن يرزقه ليحسن إليهم قال : ولم لا تدعون الله ليرزقكم أنتم بدلا من هذه اللغة ؟ فقالوا : ما عودنا الله ذلك ونحن نسأله ماجرت به عادته ، وقد كان حافظ يروى عنه حبه للفكاهة ويشبهه فى ذلك بالأستاذ الإمام . وأظن أن الشيخ المراغى على تمكنه من العلوم الدينية قد خلق للسياسة وتنظيم الإدارة فلو حولته الظروف إليهما لما كان له فيهما من ضريب .

مات الإمام المراغي[1]

في ليلة الأربعاء الماضي استعز الله بالإمام الأكبر الأستاذ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ، فكان نعيه المفاجيء حدثا بارزا في الأحداث العالمية هفت له القلوب جزعا ، والتاعت له النفوس حسرة ، والأسى على فقد الأستاذ المراغي عدل ما يعرفه العالم الإسلامي عنه من رسوخ القدم في العلم ، وعلو المكانة في الأدب ، وثقوب الفكر في الإصلاح ، ونفوذ الكلمة في الدولة ، والحق أن المراغي كان عالم جيله إذا أردنا من العالم الديني أن يكون عليما بأحوال العصر ، خبيراً بسير الزمن ، بصيراً بطبائع الناس ، يوفق بين الدين والعلم في قصد ، وجمع بين الشريعة والمدنية في حكمة ، وقد هيأه لهذه المزايا بعد الاستعداد الطبيعي فيه ، عوامل اجتماعية أهمها اتصاله المباشر بالموظفين الإنجليز في السودان أيام كان صاحب القضاء فيه ، والموظفون الانجليز في مصر والسودان كانوا الصورة الحقيقية للمدنية الغربية ، في سمو الخلق ، وحسن النظام ، وحرية الفكر وسداد المهج ، كما كانوا في الادارة والسياسة الكمال الذي يظهر لك النقص واضحا في شتى النواحي الاجتماعية المصرية ، فكان من الطبيعي أن يطمح إلى هذا الكمال من طريق الاصلاح الديني والاجتماعي بحكم منصبه ، كما فعل الامام محمد عبده ، حين اتصل بالفرنسيين في المنفى وبالانجليز بعد الاحتلال .

ولقد كان موقفه ـ في الأصلاح الديني من شيخه الإمام محمد عبده ـ موقف

---

(١) نشرت بمجلة الرسالة في ١٩ رمضان سنة ١٣٦٤ ه الموافق ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

المتبع من المبتدع ، والمقلد من المجتهد والحائر المتردد من الزميع المصمم .

وكان الظن بالفقيد الكريم وقد ورث أكثر خصائص الأستاذ الامام أن يؤدى رسالة الاصلاح على الوجه الذى يرتضيه العلم ويقتضيه العصر ، ويرتجيه الناس ، ولكن الأسباب المعوقة من مهاواة السياسة ومصانعه المعارضة ، ومماطلة الحزم ، واضطراب السلام فى الخارج ، وانقطاع الوئام فى الداخل ، حالت بين الشيخ وبين مايريد حتى أتاه اليقين وهو على شك من استعداد النفوس لفكرة الاصلاح .

تغمده الله برحمته ، وجزاه أحسن الجزاء على حسن نيته ، وأخلف بالخير على أسرته وأمته .

الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي[1]

للأستاذ محمد سعيد لطفي

روعتنا الصحف الصباحية بنبأ وفاة إمام من أئمة المسلمين علا قدره، وسمت مكانته، وأقبل الناس على الاستماع إلى دروسه الدينية إقبالهم على دروس الشيخ محمد عبده من أربعين عاما، ومما جعل النبأ يقع وقع الصاعقة أن الشيخ لم يكن مريضا مرضا شديدا، ولكنه كان متعبا ومع ذلك لم يمنعه التعب من إلقاء الدروس التي تعوّد أن يلقيها في شهر رمضان، وقد ألقى ثلاثة دروس خير إلقاء، واستمع العالم الإسلامي إلى تلك الدروس الدينية التي استن الملك حضورها، واستمع العالم إلى الشيخ الوقور ولم يكن أحد يعلم أن هذه الدروس هي آخر ما يسمع، فقد انتقل الشيخ إلى رحمة ربه قبل أن يلقي الدرس الرابع، وبذلك انطفأ سراج وهاج وسكت لسان فصيح طالما لفت الأنظار إلى الفضائل وحثها على المكارم التي تنفع في الدنيا والآخرة.

كان الشيخ محمد مصطفى المراغي من أنجب تلاميذ الأستاذ الإمام فاختاره بعد حصوله على إجازة العالمية قاضيا في السودان، وما هي إلا سنوات وأصبح الشيخ الشاب قاضي قضاة السودان، وهناك توثقت الصداقة بينه وبين السيد المهدي باشا والسيد الميرغني باشا وقد ذكرهما لي في هذا الشهر

---

(١) نشر بمجلة الراديو المصري في ١٧ رمضان سنة ١٣٦٤ ﻫ، الموافق ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ م.

وأثنى عليهما أطيب الثناء ، وكان يعتزم رحمه الله أن يزورهما فى الشتاء القادم . ولكن الأجل حال بينه وبين هذا الرجاء .

ولما عاد الشيخ إلى مصر عين رئيسا للمحكمة العليا الشرعية سنوات ، ثم عين شيخا للجامع الأزهر فأسدى إلى هذا المركز الرفيع خدمات جلى ، ونهض بالأزهر نهضة أستاذه الشيخ محمد عبده ، كان الشيخ المراغى فقيها صرف شبابه فى القضاء حتى بلغ أسمى المراتب ، وكان أديبا يحفظ أطايب الشعر ، ويحب الأدب وأهله وتفرغ فى السنوات العشر الأخيرة للتفسير ، ففسر جزء تبارك وأتمه ، كما أخبرنى من أسبوع ، وسيبقى للأجيال القادمة تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده وجزء تبارك للشيخ المراغى ، وقد استعان كلاهما بالعلوم الحديثة عند تفسير عجائب قدرة الله .

اجتمعت فى الأستاذ الأكبر الذى نشيعه اليوم بقلوب حزينة إلى مرقده الأخير صفات لم تجتمع فى رجل إلا وأحلته من قومه مكان الكرامة .

كان ذكيا ، وكان كريما ، وكان فصيحا ، وكان لبقا ، كما كان متواضعا مع الضعفاء ، معتزا بكرامته أمام الأقوياء . كان رحمه الله من طراز هو نسيج وحده ، لذلك كانت كرامته ومكانته عالية رفيعة ، وكان نجاحه فى إدارة الأمور نجاح الربان الماهر يبلغ السفينة الهدف دون أن ترتطم ، أو يعانى ركابها مشقة .

رحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنته ونفعنا بما ضرب من أمثال وترك من آثار .

إلى علماء الأزهر الشريف وطلابه وإلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها نقدم خالص العزاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أبي الأستاذ الأكبر(١)

للأستاذ أحمــد مرتضى المراغى

أى رجل وأى مؤمن وأى أب فقدناه ؟ ويا للفجيعة الدامية تحز القلب فى كل خفقة ونبضة ، وآه لولا التجمل بالصبر ولولا أن نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون !

وعزيز على أن أجرى القلم فى رثائه ، وهو الذى كان لنا ملء الدنيا ونور الحياة ، وهل أنت مستطيع أيها القلم أن تدرك ما يحفظه القلب ، وما يروح ويجيء به الخاطر من ذكراه ، هـذه الذكرى العـاطرة بالمفاخر من جلال الإيمان وشدة المراس ، وقوة النضال ، والاستهانة بالشدائد ، والترفع عن الدنيا ، وذكاء القلب ونفاذ البصيرة ؟ .

كان يناضل الحوادث والرجال ويجالدهم وجهـا لوجه ولم يسدد لأحد يوما ما خنجرا فى ظهره ، ولا هاجمه فى ظلام الليل ، وكان الإيمان سلاحه دائما ، ولم يك يجزع لما يصيبه ، وإنما جزعه لما يصيب الناس ، وكان لا يهدأ حتى يرد حقا مسلوبا ، أو يضع الأمر فى نصابه .

وفى كفاحه لخير الأزهر وأبنائه خير شاهد على ما أقول أولئك الذين كانت لهم فى ذمته حقوق الأبناء من صلة ، وكانوا من حـدبه ورعايته فى المكان الأفضل ، والمنزلة الأسمى ، حتى لوددنا نحن أولاده أن نكون أزهريين ، وكبرياؤه يعرفها جيدا أولئك الشامخون بأنوفهم ، المصعرون خدودهم . أما تواضعه فاسألوا عنه أبناءه فى العلم والفقراء والمساكين الذين

---

(١) نشرت بالمصور فى ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ ، الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

خفض لهم فى حياته جناح الذل من الرحمة ، وقد كان خبيرا بالرجال خبرة الصيرفى الحاذق ، يميز الصحيح من الزائف وبصيرا بالحوادث حتى لكأنه يراها بظهر القلب ولم تخب فراسته فى الرجال ؛ وتقديره للحوادث .

ولقد كانت وصيته لى دائما أن أكون صادقا ، ولا أفرط فى الكرامة ، وقد عاش ومات صادقا موفور الكرامة ، وكان نعم الأب برأ وحنانا ، لا ينام الليل إذا مرض أحد أولاده ، ولا يهدأ له بال حتى تشفى علته ، ولا تطيب له مائدة إلا إذا اجتمعوا حولها ، وألذ أحاديثه أن يذكر نوادر الصغار منهم وما كان أرقه من أب عظيم حين يلاعبهم ويلاطفهم ، وكان قوى الايمان بقضاء الله ؛ وبأن لكل أجل كتابا وكانت العلة تنتابه والداء يعاوده والقلب يرزح تحت أعباء جهاده ، وهو لا يعطى لنفسه حقها من الراحة ، وكان فى صراعه مع العلة مثلا رائعا للتضحية والتفانى فى أداء واجبه ، لأنه كان يخشى أنه إذا جزع من المرض وطلب السلامة بالهدوء وترك العمل ، فكأنما يفر من أداء الواجب فرار الجندى من الميدان ، فما زال يصارع الداء ويغالبه حتى سقط فى أشرف ساحة والقلم فى يده بعد أن انتهى من تفسير جزء تبارك وسورة القدر ، وبعد أن أدى واجبه لربه ووطنه .

رحمك الله أيها الأب الكريم وفى جنات الخلد وجوار الصديقين مثواك جزاء ما قدمت يداك لدنياك وآخرتك .

الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى[1]

ظل حيا بروحه

للأستاذ حسنين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية

لم يكن الإمام المراغى طوال هذا العام الذى انقضى من حين وفاته ثاويا فى أصحاب القبور كغيره ممن طواهم الردى ، وغيبتهم الرجام ، وإنما كان حيا بروحه بين أصدقائه ورواد مدرسته ومعترفى فضله يذكرون إذا حزب الأمر سداد رأيه ، ونفاذ بصيرته ، وسعة حيلته ، فيبصرهم ذلك بأعقاب الأمور .

ويذكرون علمه الغزير ، واطلاعه الكثير ، وشغفه بالقرآن ، وتفسيره وتبحره فى الدين وأحكامه وبصره بأسرار التشريع وحكمه ، فيغذون المسير تأسيا بفضله وأملا فى بلوغ شأوه ، ويذكرون أدبه الجم وأسلوبه الرائع إذا حدث أو كتب فيجدون فيه متعة النفس وغذاء الروح ، وعلم الهداية . تلهمهم روحه الطاهرة معانى العظمة فى الحياة ، والخلود بعد الوفاة ، فلقد عاش لقومه وأمته ودينه وضحى فى سبيل أو اشك مهجته فكان عظيما حقا .

وتألبت عليه الظروف فى إغفاءة الحق فلم ينهنهه وعيد ، ولم يعبأ بتهديد ، ومضى لسبيله قدما غير هياب ولا وجل فقهر الظروف بقوة نفسه ، ومتانة خلقه ، وكان فى ذلك مثلا عاليا يحتذيه كل أبى كريم .

---

(١) نشرت بالأهرام فى ١٤ رمضان سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٩٤٦ م بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته .

وكان إلى ذلك عيوفا كريما لا يبتغى المال إلا لينفقه فى مكْرمة ، أو سد خلة ، أو تربية أبنائه ولا يحرص على المناصب ، وقد تبوأ أعلاها إلا ليؤدى لربه رسالة راشدة لأمته .

أحب الأزهر والأزهريين وعرف مالهم من الكرامة والمكانة . فكان لهم فى ذلك خير وإسعاد ، وكان له فى أعناقهم فضل ، وإنه إذا احتجب عنا جثمانه فلم تزايلنا روحه وذكراه وإنه فى موته أقوى حياة من كثير من الأحياء .

رحمه الله ورضى عنه وأرضاه

صديق ورئيسى

للأستاذ محمود أبو العيون سكرتير الأزهر

وقالوا مات المراغى فتصدعت القلوب ، وهمت العيون وانطوت النفوس على جروح عميقة لا تندمل فهى منفورة سائلة أبدا .

كان المراغى علما من أعلام التاريخ قضى فينا جيلا ثم رحل رحلة لاأوبة بعدها ، فكان كلسان الشمعة أضاءت حينا من الدهر ثم انطفأت ، كان قبسا من النور الإلهى توهج فأضاء المشرقين ثم خبا بغتة فأظلمت المسالك ، وعميت الأبصار كان ثالث ثلاثة من عظماء الإسلام ، ورجال الدين المصلحين فى العهد الأخير ، التمعت أسماؤه كالأنجم الزهر ، تعاقبوا كالغضافرة واحدا بعد واحد . يصلحون ماأفسده الدهر من الحنيفية السمحة والوطنية الإسلامية ، وظلوا يكافحون فى سبيل الدين والوطن وينافحون عنهما مستهدفين من خصومهم كل سهم نافذ حتى خروا صرعى فى ميدان الجهاد والشرف .

كان المراغى عالما توفرت له الغايات الرحبة فى الشريعة والحكمة والفلسفة والأدب العربى .

وكان مصلحا إسلاميا ، وضحت آثار إصلاحه فى الأزهر والمحاكم الشرعية . وفى قوانين الوقوف والوصايا والإرث ، وهذه رسائله ودروسه الدينية يفتح فيها على الناس الفتح المبين الذى يمنحه الله لمن يشاء من أوليائه فى الكتاب والسنة ، وطرائق البحث والاجتهاد . وكان معتدا بكرامته ، فلو أن الأرض ملئت له ذهبا لاغرائه ودفعه عن كرامته ، أو لو أن العالم كله

---

(١) نشرت بالأهرام

وقف له موقف الخصومة واللدد فى ذلك ، أو لو أنه هدد بجدع الأنف وقصم الظهر فلا وربك لا يريم عن موقفه ولا يتحلل .

ثم كان صادقا فى القول ، جريئا فى الحق ، نزيها فى الغرض ؛ جوادا فى البذل ، حبيبا فى الخطاب ، عفيفا فى اللسان ، وفيا للأصدقاء ، كريما مع الأعداء ، وكان فى كل ذلك وفى غيره من الفضائل الإنسانية مهذبا جليلا .

كنت تجلس إليه فيغمرك بجوه المؤنس ، وحديثه الممتع الشهى فتختار أن تستمع على أن تقول ، وأنه ليروقك من سمره ظرافة الأدب وسلامة المنطق ، وطرافة الموضوعات المختارة فلا والله لا تمل سمره الساعات الطوال كأنك ترشف من سلاف عبيره مسكا وعنبرا . صاحبته ربع قرن من الزمان فكنت على إجلالى لشخصيته الكريمة الجارفة أختلف معه فى بعض الشئون الرسمية وأشتد معه فى الخلاف حتى ليرى بعض الحضور أن حبل المودة بيننا قد تصرم ، ومع هذا فقد كنت والله أحمل له فى نفسى أجمل الوفاء ، وأسمى الاجلال ، وكنت أحس أنه يحنو علىّ حنو الأخ على أخيه ، والصديق الوفى لصديقه ، ومحت الصداقة بيننا أثر التحفظ بين الرئيس والمرءوس .

اختلفت معه يوما ، وانقطعت عن زيارته وهو رئيسى فاحتال صديق عزيز لجمعنا فى مكتبه ـ أى الشيخ المراغى ـ فقال فى إطراقة وحياء : فلان هذا من أهلى وعترتى ، لا أوثر أحدا عليه وأشعر أنه يحمل لى ما أحمله له من الثقة والمودة العتيدة . فإذا غضب فإن غضبته رحيمة كريمة ، لا تؤذى ولا تضر فنحن معا فى الغضب والرضا صديقان حميمان ، وهو على رأى المثل العامى : مافيه تفريط ، ولا عليه تقريط .

وقد كان يسر المراغى رئيسى وصديقى الراحل العزيز أن أكتب عنه فى

حياته ما كتبته عنه بعد مماته وأن الكريم ليطربه الثناء ، ولكنى أقسم أنه لو كان أعطانى فى حياته أكبر منصب ما كتبت عنه بعض هذا مما يعده الناس فى زمننا ملقا .

أما الآن فالرجل قد رحل . وهو لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا . فلندع قلم التاريخ يكتب عنه .

والساعات العصيبة الرهيبة التى لا أنساها هى التى قضيتها وحدى بجانب جثمانه الموثق فى داخل سيارة الإسعاف من مستشفى المواساة بالأسكندرية إلى منزله بحلوان . هى ثمانى ساعات إلا ربعا قضيتها بجانبه وهو ممدود بثيابه الرفافة ، مسجى وهيئته الكاملة هى هى كما كانت فى حياته تزيدها رهبة الموت والصمت الأبدى هيبة وجلالا .

صاحبت جثمانه فى سيارة من سيارات المستشفى العسكرى ، تتبعها سيارتان أخريان لاسعافنا إذا تعطلت سيارتنا ، وظللت بجانب الفقيد أبكيه وأرثيه ، فلست أسمع منه ردا ولا مناجاة ولا خطابا .

أواه أهذا هو المراغى الذى كانت حياته كلها خفاقة نابضة ؟ أهذا هو المراغى الذى كنت بالأمس أمزح معه ونضحك ويضحك معنا الأستاذ المفتى الأكبر ، ووكيل الجامع الأزهر ، ومدير المعاهد الدينية بجامع سيدى أبى العباس المرسى ؟ .

كنت أقذف بالنكتة العابرة فيضحك ويغرق فى الضحك ويمسك بيده ظهريدى ويدوس عليها ويغمزها سرورا وجذلا .

مات المراغى وخلف لنا ثكلا لا يفنى ، وحزنا لا يبلى .

فلا تبعد فكل فتى سيأتى   عليه الموت يطرق أو يغادى

رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الأمة الإسلامية فيه خيرا .

أنشد الأستاذ محمد الأسمر هذه القصيدة فى الحفل الكبير الذى أقامه رجال الأزهر للأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى حين عودته مرة ثانية لتولى مشيخة الأزهر . وكان ذلك فى سنة ١٣٥٤هـ . الموافق سنة ١٩٣٥ م ، وقد نشرت هذه القصيدة فى ديوان الأسمر :

أين (المعز) الفاطمى و (جوهر)   يريان كيف اليوم صار الأزهر ؟!
من بعد ما طار النعاة بنعيه   لاحت علامات الحياة فبشروا
نهض المسجى طارحا أكفانه   عنه وقد صلوا عليه وكبروا
فاذا المـآتم وهى عرس قائم   الناس فيـه مبشر ومبشر
آمنت بالله العـلى وأنه   سبحانه يحيي الرفات وينشر

* * *

عادت إلى (المعمور) روعة مجده   عما أقام رجاله والأعصر
وتلألأت شمس الهدى فى أفقه   فجلت محاسنه التى لا تنكسر
من بعد ما خفيت معالمها بدت   حتى ليبصرها الذى لا يبصر
والليل يغشى الكائنات فلا ترى   وتلوح فى كنف الصباح وتظهر

* * *

ولى الظلام فأخلدت حشراته   وبدا النهار لطالبيه فشمروا
فالآن لا ذئب ولا متذئب   والآن لا نمر ولا متنمر
قل للوحوش من الأنام رويدكم   هل أمكم (حواء) كانت تزأر ؟!
أو كان آدم وهو أول مرسل   سبعا يراه من يراه فينفر
ردوا النفوس إلى حميد خصالها   فالناس خيرهم الكريم الخير

من قال إن الشوك أطيب موئلا ... أو مجتنى مما يظل ويثمر ؟!

* * *

(الأزهريون) الغداة تفيئوا ... لله نعمته التي لا تكفر
(أحمد) العقبي طلعت عليهم ... حلما يرى رأى العيان وينظر
فتدفقوا بحرا يعب عبابه ... من كل ناحية يجيش ويزخر
وظللت أسأل صاحبي متحيرا ... ومن الحقيقة مايرى فيحير
هل عاد (نابليون) عودة ظافرة ... أوعاد من غزواته (الإسكندر).
أو أنه (كسرى) وذا نيروزه ... أو أنه ملك الممالك (قيصر) ؟!
وسكت ثم سمعت أصوات المنى ... تدعو بأحسن ما سمعت وتجهر
وتقول : لا كسرى ولا أمثاله ... بل ذلكم شيخ الشيوخ الأكبر !
فشككت ثم نظرت نظرة فاحص ... فإذا القوام السمهرى الأسمر
وإذا الجلالة والمهابة منظر ... وإذا السماحة والوداعة مخبر
وإذا الهداية والرعاية كلها ... والمصلح المترقب المتنظر
فاغرورقت عيني وأسبل دمعها ... ومن السرور مدامع تتحدر
واها لها أمنية قد حققت ... ورؤى رأيناها فجئت تعبر
إجماع كل المسلمين ورغبة ... ظلت بها كل المدائن تجأر
فقدمت أكرم مقدم وأجله ... حتى لأصبح وهو ذكر يؤثر
وملأت غابك بعد ما غادرته ... غابا ذليلا ليس فيه غضنفر
لعبت به أيد لعين بجمرة ... شبت وظلت نارها تتسعر
كادت تجيء على البلاد جميعها ... لولا يد لك فاض منها الكوثر
فإذا بها هي والسلام جميعه ... وإذا بها وهي الربيع الأخضر
ورجعت دارك كرة أخرى وما ... أحلى مذاق الحلو وهو مكرر

ومشى بنوها فى ركابك كلهم ... متهـــلل متفائل مستبشر
وتدافعوا كى يحملوك وراءهم ... من موج فضلك ما رأوه فشمروا
هل جاءهم من قبل ذلك أنه ... حملت على بعض الكواهل أبحر
ما للكواهل والبحار رويدكم ... خلوا الطريق لموجها لا تغمروا
خلوا الطريق لمن سيحمل عنكم ... أعباءكم ويحوطكم ويدبر
ولمن سيجعلكم رجالا مثله ... والشبل يفتل ساعديه القسور
ولمن لديه قلوبكم وعقولكم ... يجلوهما كيما يشع الجوهر
ولمن يصوغكم نفوسا حرة ... تتغير الدنيـــا ولا تتغير
ولمن إذا بعض الحوادث أجلبت ... وافى يدافع عنكم ويزمجر
يلقى العواصف وهو أظهر ما يرى ... لا خائف حذر ولا متستر
أغنته عن حيل الضعيف عزيمة ... لا تلتوى أبداً ولا تتقهقر
والليث أبرز ما يكون مصاولا ... وبنات آوى والثعالب تمكر
(شيخ الشيوخ) ولا أزيدك بعدها ... لقبا ليهنك انه بك يكبر
وأرى صغير النفس إن يعثر به ... لقب كبير حط منه فيصغر
فانهض بعبئك يا محمد إنه ... مما يؤود الراسيات ويوقر

* * *

(شيخ الشيوخ) جرى القريض لغاية ... فيها المجلى فى السباق مقصر
فاعذر فلست بمن تفيه قصيدة ... حق الثناء ومدح مثلك يعذر
ماذا يقول الشعر فيك وما عسى ... يجرى به قلم البليغ ويسطر
أعمالك البيضاء أكبر شاعر ... يثنى عليك فما يقول (الأسمر)

تهنئة

أنشـــد الأستاذ محمد الأسمر هذه الأبيات للأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى بمناسبة شهر رمضان يهنئه فيها :

حلفت بحرمة (البيت الحرام) لبيتك بيت محمود المقام
تقى أنت محبوب نقى عظيم القدر ما بين الأنام
بعيد عن أذاة أو خصـــام رسول بالمحبة والسلام
على الخلق العظيم فلست ممن يتاجر بالحلال وبالحرام
إذا جئناك فى رمضان جئنا نزور العيد فى شهر الصيام
وزارتك القوافى صادقات فليس يشوبها زور الكلام
وليس لها مآرب فهى أدنى إلى المطبوع من سجع الحمام
تؤديها لوجه الله صرفا كسجع حمائم البيت الحرام
مناسك للمكارم ليس يدرى شعائرها سوى النفر الكرام
فعش للدين والدنيا جميعا وعش للشعر عاما بعد عام

تهنئة أخرى بشهر رمضـــان

أتى (رمضان) محموداً لجئنا تؤدى للعلا والحق فرضا
نهنىء بالصيام أجل شيخ براه الله للخيرات محضا
ترقبنا سناه هلال فطر وشهر الصوم باق ما تبقى
وبتنا نشرئب له اشتياقا ونلمح أفقه طولا وعرضا
نعد له الدقائق والثوانى وخفق قلوبنا نبضا فنبضا
فلما لاح كبر زائروه وهنأ بعضهم بالعيد بعضا

تهنئة بالشفاء بعد مرض

للأستاذ الأسمر

عشت معافى يا أبا (مرتضى) مؤتلقا كالصارم المنتضى
لما شفاك الله سبحانه أمات بعض الناس أو أمرضا
حاسدك الغضبان ما باله مازال غضبان وأنت الرضا ؟!
لما بدت شمسك فى أفقها والتفت الناس لها أعرضا
وهل يضير الشمس ماش مشى فى ضوئها ينكره مغمضا
فالبس من الصحة أثوابها إذا نضاها حسدا من نضا

فى رثاء الشيخ المراغى

للأستاذ الأسمر

نهاية الحى جوف قبر ولو بنى الحى ألف قصر
إلى الثرى من مشى عليه ولو مشى وهو روض زهر
قضى عظيم كفاك منه غرس يديه لكل خير
فكم لكفيه من أياد فاضت على الناس فيض بحر
من صان دمع العفاة باتت عليه كل الدموع تجرى
إن أبكه أبك أى شيخ رحيب صدر جليل قدر
فكم طوى معشرا بلفظ ومعشرا بابتسام ثغر !

* * *

يالهفة النفس أين شيخ عرفته معجبا بشعرى !
وأين من أن يصغ حديثا يصغه للناس عقد در
يا (مرتضى) يا (رشاد) صبرا فكلنا لائذ بصبر
من كان فخرا قضى فأمست ذكراه فخرا وأى فخر

أسرار لم تنشر :

الأزهر . . . وشيخ الأزهر[1]

لمناسبة وفاة الأستاذ المراغى

لعل وفاة فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فرصة مناسبة لإزاحة الستار عن بعض الأسرار التى اكتنفت حياته الحافلة بالأزمات ، فقد حدث بعد تخرجه فى الأزهر أن عين قاضيا للسودان ، ثم غضب عليه الإنجليز فعاد إلى مصر وعين مفتشا فى المساجد ، وبعد ذلك عرض عليه الإنجليز مرة أخرى منصب قاضى قضاة السودان وبذلك يقفز مرتبه من ٦ جنيهات إلى ٤٥ جنيها فقال : إنه يوافق على ذلك بشرط أن يعين بمرسوم مصرى — دكريتو — فاستدعاه اللورد كتشنر العميد البريطانى فى ذلك الحين وقال له : كيف تشترط هذا ونحن نرفع مرتبك إلى أكثر من سبعة أضعاف مرتبك الحالى ؟ فقال فضيلته : لن أقبل التعيين إلا إذا عينت بمرسوم مصرى .

وانصرف الإنجليز عن تعيين الشيخ المراغى — وراحوا يبحثون عن عالم آخر ليتولى منصب قاضى قضاة السودان فلم يجدوا ، وأخيرا عادوا إلى الشيخ المراغى وعينوه بمرسوم مصرى ، فكان أول قاضى قضاة فى السودان يعين بمرسوم مصرى .

أما القاضى الذى خلفه فقد تعين بأمر الحاكم العام الإنجليزى ، وبعد ذلك عاد المصريون يتمسكون بحقهم فى التعيين وكان أن عين بمرسوم ومازال تعيين قاضى القضاة بمرسوم ملكى مصرى إلى اليوم .

---

(١) نشرت بأخبار اليوم فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

أزمة مع الخديوى

وكان الخديوى عباس قبل ذلك غاضبا على الشيخ المراغى ، فقد حدث أن ذهب لتأدية الصلاة فى أحد المساجد التى يتولى الشيخ المراغى تفتيشها فوجد الخديوى أن إمام الجامع أعمى ، فغضب وقال للشيخ المراغى أمام كبار الموظفين : كيف يكون إمام الجامع الذى أصلى فيه أعمى ؟ فقال الشيخ المراغى : إن الإسلام لا يشترط أن يكون الإمام أعمى أو بصيرا وخرج الخديوى غاضبا فلما وافق الانجليز على تعيين الشيخ المراغى قاضيا لقضاة السودان ذهب المغفور له حسين رشدى باشا رئيس الوزراء يعرض اسمه على الخديوى . فقال الخديوى : أنا لا أحب هذا الرجل وقص على رشدى باشا قصة الإمام الأعمى . فقال رشدى باشا : ياافندينا هذا رجل يشترط أن يكون تعينه بمرسوم مصرى أى إنه يريد أن يحافظ على حقوق البلاد فقال الخديوى : مادام الأمر كذلك فإنى أوقع المرسوم .

وكان الشيخ المراغى صديقا حميا لمحمد محمود باشا . فى أثناء وزارته سنة ١٩٢٨ ، وكان الأحرار الدستوريين يقولون : إن الأمة معهم ، وكان الوفديون يقولون : إن الأمة معهم ، وذات يوم قابل سيربرسى لورين المندوب السامى الجديد ، فضيلة الأستاذ المراغى ، وسأله عن رأيه فيما إذا أجريت انتخابات جديدة من ينال الأغلبية ؟ الوفد ؟ أم الأحرار الدستوريين؟ فقال الشيخ المراغى سينال الوفد الأغلبية الساحقة ، فعجب السيربرسى لورين. وقال : إنى أعرف أنك أعز صديق لمحمد محمود ، فكيف تعطى هذه الشهادة ضد صديقك ؟ فقال الشيخ المراغى : إن شيخ الإسلام لا يكذب ، واستقال محمد محمود باشا ، وبعد ذلك بيومين استقال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى من منصبه ؟ وكان أصدقاؤه يقولون لفضيلته : هذه الشهادة .

أسقطت الوزارة ، فيقول فضيلته : هذه هى شهادة الحق ، ونظن أنه ليس بين المشتغلين بالمسائل العامة من يجهل ما كان بين رفعة النحاس ، وبين فضيلة الشيخ المراغى من خصومة وخلاف ، وخصومة رفعة النحاس للأزهر وشيخه الأكبر ، لم تبدأ فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة ، ولكن بدأت قبل ذلك بسنوات ، فقد كان النحاس يعد الأزهر مصدر خطر على زعامته المقدسة ، ولعل مبعث هذا الخطر هو أن رجال الأزهر رفضوا دائما أن يقوموا بدور الكهنة مع آلهة قدماء المصريين ! .

وليس سرا أن رفعة النحاس ، اعترض فى سنة ١٩٣٧ ، على إقامة حفلة دينية ، بمناسبة تولى الملك سلطته الدستورية . فقد اقترح رئيس مجلس الوصاية ، يومئذ أن تقام حفلة دينية ، يتقلد فيها الملك سيف جده مؤسس الأسرة محمد على الكبير ، وقال رفعة النحاس يومئذ : إن الحفلة الدينية تخالف الدستور ، ثم حدث أن أراد الملك أن يؤدى فريضة الصلاة يوم الجمعة ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٧ ، فى الأزهر الشريف وهو اليوم التالى لتولى الملك سلطته الدستورية ، وإذا برفعة النحاس يعترض على صلاة الملك فى المسجد المذكور ويقترح أن يصلى جلالته فى مسجد آخر .

وفى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة ، تحرجت الأمور بين النحاس وبين شيخ الأزهر والأزهر ، ولازم فضيلة الأستاذ المراغى داره ، وقدم خلال ذلك استقالته إلى رئيس الحكومة رجاء رفعها إلى الملك ، وبقيت الاستقالة معلقة ، الملك لا يريد أن يقبلها ، ورئيس الحكومة لا يستطيع أن يرفضها ، وقبيل حلول شهر رمضان الماضى ، أوعزت الوزارة إلى بعض العلماء أن يرفعوا عريضة إلى الملك يلتمسون فيها تعيين شيخ جديد للأزهر ، بدلا من الشيخ المراغى . وقدم العلماء هذه العريضة إلى رفعة النحاس ،

فأحالها بخطاب إلى الديوان وجاء فى الخطاب ، مامعناه : إن رفعته يؤيد مطالب العلماء ، وأخرج الديوان الملكى دوسيه مسألة شيخ الأزهر . فإذا به ملىء بعرائض الأغلبية العظمى للأزهريين يطالبون بعودة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر . وقيل لرفعة النحاس : إن مصلحة الأزهر وإجماع الأزهريين يستوجبان عودة الشيخ المراغى .

الخواجات على الحياد

وذهب بعضهم يستعدون (الخواجات) ويطلبون إليهم أن يتدخلوا ويضغطوا لاخراج الشيخ المراغى من منصبه ، فقيل لهم : إن هذه مسألة دينية : وأنهم يخشون التدخل فيثور العالم الإسلامى على تدخل الخواجة فى شئون الإسلام ، وذهب وزراء آخرون إلى كبير فى القصر يقولون له : ان الشيخ المراغى يعمل على إخراجه من منصبه ليفسح الطريق لصديقه الحميم نشأت باشا . وقال الكبير : إنه يرحب بأن يحل نشأت باشا مكانه ولا يرحب بإخراج الشيخ من منصبه . واكتفت الوزارة بأن أوعزت إلى الصحف أن تحذف اسم الشيخ المراغى من كل نبأ فلا ينشر إنه مرض ولا ينشر أنه شفى ولا يذاع أنه سافر ، ولا يعرف أنه عاد .

بلاغ كبير الأمناء

وأقبل شهر رمضان عام ١٣٦٣ (الموافق سبتمبر سنة ١٩٤٤) ، وكان الأستاذ المراغى قد تعود أن يقابل فى أول رمضان من كل عام الملك ليرفع إليه تهانيه بالشهر المبارك ، وفى أول يوم من رمضان أذاع ديوان كبير الأمناء « أن الأستاذ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر قابل الملك » .

وحار الرقباء ماذا يفعلون أنهم لا يستطيعون حذف عبارة من بلاغ كبير الأمناء .

وها هو ذا نص البلاغ يدل على أن الشيخ المراغى لا يزال هو شيخ الجامع الأزهر وزادت جريدة الأهرام الطين بلة فنشرت أول حديث عن الصيام للشيخ المراغى وعرف الناس أن الشيخ المراغى لا يزال شيخ الأزهر وثار النحاس ، وذهب بعضهم مرة أخرى إلى الخواجات يطلبون إليهم أن يتدخلوا واعتذر الخواجات بأنهم خواجات وأن مسائل الإسلام لا يحلها سوى الرجال المسلمين .

الدروس الدينية

ثم أمر الملك الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى أن يلقى ثلاثة دروس فى شهر رمضان . وكان المقرر أن يكون الدرس الأول : فى جامع السلطان أبو العلاء . والدرس الثانى : فى جامع الحسين . والدرس الثالث : فى مسجد السلطان حسن .

وطالب النحاس أن يلقى الدروس الدينية الشيخ مأمون الشناوى وكيل الأزهر أو الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية أو أى إنسان آخر ماعدا الشيخ المراغى .

وقيل لرفعته : إن الملك أمر أن يلقى الأستاذ المراغى الدروس الدينية كعادته كل عام .

وبدأ النحاس يقيم العراقيل فأوعز إلى الادارات المختصة أن لا تعد الجامع للصلاة وأن لا تطبع بطاقات الدعوى فأصدر الملك أمره بأن تلقى

الدروس الدينية فى المساجد التابعة للخاصة الملكية فألقى الدرس الأول فى جامع الرفاعى ، والدرس الثانى فى جامع الشيخ صالح أبو حديد ، والدرس الثالث فى جامع الحنفى .

الدرس من عنوانه

وكان إن امتنع النحاس عن حضور أى درس من هـذه الدروس وطلب من وزرائه أن لا يحضروها وقد أحسن رفعته والوزراء بهذا الامتناع لأن موضوع الدرس الأول كان تفسير آية «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» ، وكان موضوع الدرس الثانى عن قارون وكيف استبد بالناس وسلب أموالهم فانتقم الله منه ، والدرس الثالث عن النزاهة والمساواة .

أحاديث شيخ الأزهر

وقد أصدر رفعة النحاس أمراً إلى محطة الاذاعة بعدم إذاعة أحاديث شيخ الأزهر والاكتفاء باذاعة القرآن الكريم ، ولكن الملك أمر بأن تذاع الحفلة كلها وكان أن أذيع نص درس شيخ الأزهر ودوت فى أنحاء العالم آية الله (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) .

ذكرى الإمام المراغى[١]

أثر المراغى فى الإصلاح والتوجيه الدينى

قلائل من الرجال هم أولاء الذين كانت حياتهم ثورة على منهاج الحياة العادى فى سبيل التمسك بمنهاج أوسع وأشمل ، لإعطاء الناس أقصى ما تعطيه الحرية من فرص ، والحقوق من عطايا .

وأقل من القليل هم أولئك الذين كانوا من بين رجال الأزهر وثاروا على أوضاع ومناهج فى سبيل ربط رسالة الأزهر بحقيقة تعاليم الإسلام وبما يصبو إليه المسلمون من تطبيق لهذه التعاليم على حياتهم .

وإذا ذكر العلماء المصلحون المجددون الذين يرون فى تعاليم الإسلام السمحة ما يفى بحاجة الناس فى عصرنا المضطرب الذى تشاكلت فيه قوانين من الغرب بقوانين من الشرق ، لكان فى طليعتهم الإمام المراغى ، فقد كانت حياته سلسلة عطرة من الثورة العقلية على الجمود ويدا رحيمة تمحو آثاره .

ولد الإمام المراغى رحمه الله عام ١٨٨١ فى بيئة دينية قضائية مما كان له الأثر فى نشأته الأولى نشأة ذات اتجاه دينى قضائى . فقد كان المرحوم والده قاضى القرية .

وبعد أن حفظ القرآن بالقرية وشب عن الطوق ، بعث به والده إلى القاهرة ليتلقى علومه فى الأزهر إلى أن نال شهادة العالمية عام ١٩٠٤ وكانت سنه إذ ذاك أربعا وعشرين سنة ، وكان بذلك من أصغر الحاصلين على هذه الشهادة يومذاك .

---

(١) نشرت بجريدة المصرى فى إحدى ذكرياته .

ولم يكن الإمام ــ رحمه الله ــ من العاكفين على تناول علوم الأزهر وحدها ، وإنما كان يضيف إليها ما يشعر به هو نحو العلم من احتياجات ، شأن الشبان الفائقين ، فقد أخذ بنصيب وافر من دراساته الشخصية ، من بطون الكتب ومن منابعها الأصيلة فى المخطوطات والهوامش والمتون ، كما كان عاكفا على دراسة الأدب ، ودراسة الفلسفة وعلم الكلام . وماذلك إلا استجابة منه للوقوف على روح الثقافة . ولذلك فقد نشأ صاحب عقلية مرنة مبسوطة تمضى إلى الدقائق وما يخفى أمره على الكثيرين .

ولا جرم بعد ذلك أن يشيع اسمه بين الطلبة الذين أقبلوا حول حلقته بالجامع الأزهر ، وهو يلقى عليهم الدروس بعد تخرجه بطريقة جديدة ، كان هدفها البحث عن الحقيقة ووسيلتها التعرج بعقلية السامع إلى فنون الأدب وأشتات الفلسفة وأمشاج الكلام .

واعتلى الإمام أريكة السمعة الطيبة بين أقرانه ، مما رشحه إلى منصب كبير ، هو منصب القضاء لمديرية دنقلة فى السودان ، ذلك المنصب الذى ساعده على تسلق الحواجز السياسية وإعلاء شأن كلمة الدين والحق بين الشمال والجنوب ، فتتلمذ عليه الكثيرون من أبناء الجنوب ، بعد أن استساغوا لذة الوطنية الإسلامية من شروح الشيخ الجليل لقضايا الوطن بين خلصائه وصفوة تلاميذه فى السودان ، وكان يعنى بذلك المسلك أن رجل الدين إنما هو من رجال السياسة يدلى بدلوه فيها دون انغماس حتى يكون القائد إلى تحقيق الوطنية الإسلامية وفقا لتعاليم الدين ، لا انحيازا إلى المعتقدات السياسية .

لقد كان الإمام المراغى ــ رحمه الله ــ يعرف رسالة رجل الدين تماما ، وهى رسالة العالم الذى يعمل للحياة كلها ، وللوطن الإسلامى كله ، فلا يصدر رأيا إلا وكان الرأى لبنة فى بناء هذا الوطن الكبير ، ومن ذلك

أن سلاطين باشا يوم أن عرض عليه قبول منصب قاضي قضاة السودان قبل أن يتولى منصب رئيس المحكمة العليا الشرعية اشترط لقبول المنصب أن يكون تعيينه فيه بأمر يصدره خديو مصر لا رجال السلطة الإنجليزية في السودان .

وفي عام ١٩٢٣ عين رئيسا للمحكمة العليا الشرعية فواجه بمنصبه ذلك تلك الحوائل التي تمنى أن يقضي عليها بالمحاكم الشرعية .

وكانت المحاكم الشرعية في ذلك الوقت تحكم في قضايا الزواج والطلاق وسائر الأحوال الشخصية وفق القول الراجح من مذهب أبي حنيفة .

ولما كانت هناك أحكام أخرى تحقق التيسير على المتقاضين . فقد رأى أن يؤخذ بهذه الأحكام ، وأن يعدل قانون المحاكم الشرعية لإباحة الطلاق للضرار بالمرأة التي تشقى مع زوجها ولا تستطيع منه فكاكا ، وكان من رأيه الأخذ برأى ابن تيمية ، ومحمد بن القيم الجوزية في جعل الطلاق الثلاث في لفظ واحد طلقة واحدة ، وما كاد يجهر بهذا الرأي في مشروع أعده حتى استهدف لحملة عنيفة من بعض العلماء ورجال القضاء الشرعي .

ولكن تاريخه في العلم والدراسة وتشربه من روح الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده مكنته من الثبات بالمعركة والعمل على تيسير القضاء ، وتم له ما أراد .

ولعل ما كتبه في الرد على العلماء الذين تناقضوا معه في تيسير تعاليم الإسلام في المحاكم الشرعية مايشرح عقلية الرجل المبسوطة في ثقافة الإسلام المحدودة في بطون تاريخ المسلمين ، قال رحمه الله : « أثار مشروع قانون الزواج والطلاق حركة فكرية اجتماعية دينية فنشط العلماء للبحث والاستنباط والرجوع إلى كتب الشريعة المطهرة وتطبيقها على القانون ، ونشط غيرهم إلى بحثه من الوجهة الاجتماعية ، وما لنا لا نغتبط بهذا . وقد تستمر هذه

الحركة ويتجدد نشاط الفقه الإسلامى بعد ركوده فى المتون والشروح ، وتتجه إليه الأنظار وتتولد فكرة تهذيبه باختيار ماصح دليله وما قام البرهان على أن فيه مصلحة للناس من أقوال أئمة الهدى وفقهاء الإسلام . وقد يقضى على تلك الفكرة الخاطئة فكرة وجوب تقليد الأئمة الأربعة دون سواهم ، سواء أوافقت مذاهبهم مصلحة المجتمع أم خالفتها » .

أما جهوده فى إصلاح الأزهر والعناية بإعادة سالف مجده إليه كأقدم جامعة فى التاريخ والجامعة الكبرى التى قامت على حفظ التراث الإسلامى ولغة القرآن لحديث معاد ، لأن الخاص والعام يشهد بجلال مواقفه فى هذا الشأن .

ومما يذكر للمراغى بالفخار فى هذا الشأن ، أنه قوى فى ناشئة الأزهر حرية الرأى وحب البحث .

وأن ذكراه العطرة التى يحتفل اليوم بإحيائها أنجاله وأصدقاؤه وتلاميذه ومحبوه ستظل كتابا مقروءا وسجلا حافلا لهذا الجيل والأجيال المقبلة .

رحمه الله رحمة واسعة ونفع بذكراه .

محمد مصطفى المراغى (١)

للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد
شيخ كلية اللغة العربية

ستتحدث إلى ناشئتنا عن الأستاذ المراغى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس، والذى ترك فى الدنيا دَوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر، والذى شاد الزمان بذكره، وتزينت بحديثه الأسمار، إى والله، لقد ملأ الدنيا فما رقعة من رقاع هذه الأرض المسيحة - يُعنى أهلها بشئون العرب والإسلام - إلا وفيها عن بعض شأنه حديث، ومابيت من بيوت الشرق كله والعالم الإسلامى إلا كان فى سامر أهله منه ذكر ، وما لسان يتحدث عن العروبة أو شأن من شئون المسلمين إلا كان له فيه الشرَّدُ السائرات .

لقد خطا الأستاذ المراغى بالتعليم الدينى وأهله خطوات عملية جريئة موفقة وقف المصلحون من قبله متهيبين أن يذيعوها فى الناس على أنها آمال يحققها المستقبل الكفيل بتحقيق الآمال ، وما منهم إلا من استقصى الجهد وأفرغ الوسع فى الوصول بهذا المعهد العتيق إلى المنزلة التى يهيئه لها تاريخه المجيد .

نعم خطا الأستاذ المراغى بالتعليم الدينى خطوات عملية جريئة موفقة تهيبها المصلحون من قبله رغم مالكل منهم من المقام المحمود ، والنظرة العجلى إلى مناهج الدراسة التى كان الأزهريون يعكفون عليها فى مستهل القرن الحاضر (القرن الرابع عشر الهجرى) ثم إلى المناهج التى كان للأستاذ المراغى

---

(١) نشرت بمجلة الكاتب فى نوفمبر سنة ١٩٤٥

شرف اقتراحها واستصدار الأوامر الملكية بها والإشراف على تنفيذها عقداً كاملا والنظرة العجلى إلى كل أولئك كافية للشهادة على صحة ما يحمل هذا القول من الدعاوى .

وخطا بأهل التعليم الدينى أنفسهم خطوات عملية جريئة موفقة لم يتهيأ للمصلحين من قبله أن يسيروها ، فقد كان الجمهرة من الأزهريين شيوخا وطلابا يتعارفون أفكارا لم يكن ينبعث الأمل فى الإصلاح معها إلا بمقدار ماتنبعث أشعة الشمس إلى مظلمات السجون أو إلى بيوت الريف فى مصر . كانوا على أن فى جواز الاشتغال بعلم المنطق ثلاثة أقوال . أحدها : يحرم الاشتغال به بتة وكانوا على أن العالم الذى يقرأ لتلاميذه المنطق بله علوم الفلسفة زنديق ملحد ، وفى وقت ما ثار بعض كبار الأساتذة على الشيخ الإمام محمد عبده ، لأنه كان يقرر مذهب المعتزلة فى بعض مسائل الكلام ، ووجد الشيخ محمد عبده الجهـــد الجاهد حين أراد أن يعلم أبناء الأزهر الحساب والجبر والجغرافيا والتاريخ . وقد اختصم جماعة منهم لأن واحدا من طلبة العلم كان يحمل فى يده جزءاً من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وهو رجل يدعى الاجتهاد وينال من كرامة الأئمة وعلماء الدين ، وكان الشيخ سيد المرصفى إلى أن مات رجلا جاهلا مبغضا ، لأنه لا يحسن شيئا إلا قراءة الأدب وفهمه ، وكان شيخ من جلة شيوخى ينصحنى ألا أقرأ كتب الأدب علانية . فإن ذلك فى نظر كبار الشيوخ أمارة الجهل وعلامة على الانصراف عن العلوم النافعة ، ولست أنسى ذلك اليوم الذى اجتمع فيه لفيف من العلماء فى بيت عظيم من رجالات الأزهر وكلهم متألم صاخب ، أو مشفق راث ، أو ناصح مستتيب ، ذلك لأن ابن هذا العظيم الأزهرى كتب فى بعض المجلات مقالا علميا يحبذ فيه رأى ابن تيمية فى أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة تقع به طلقة واحدة ويلغو لفظ العدد .

فأين هذا مما عليه رجال الأزهر الآن ؟ من العجيب أن كثيرا منهم يفخر اليوم بأنه من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وكانت التلمذة للشيخ عند الأزهريين سبة لا يقوى على احتمالها إلا من عصم الله .

ومن العجيب أن كثيرا منهم يفخر اليوم بأنه قرأ كتب الفلسفة ، ودرس النحل كلها دراسة وافية ، وكان الظهور بذلك إلى عصر قريب من وسائل هجران الإخوان وقطيعتهم .

ومن العجيب أن كثيرا منهم يعلن رأيه فى التشريع الاسلامى غير مبال ألا يوافق فلانا وفلانا بل هو يعلن زيف قول فلان وفلان ، وكان ذلك إلى زمن أدركنا طلائعه سببا فى النفى والتشريد وأعجب من ذلك كله أن يبعث جماعة من شباب الأزهر إلى أوربا ليتعلموا فى جامعاتها ويخرج شيخ الأزهر بنفسه ليودعهم تحوطه الجمهرة من العلماء ويحدثهم أمام طلاب الأزهر وشيوخه عن آمال الأزهريين التى عقدوها عليهم ، ثم يعود بعض هؤلاء فيجازيه شيخ الأزهر على سعيه أوفى ما استطاع من الجزاء ، ويرضى الأزهريون عن ذلك كله ولا يرون فيه مروقا عن الدين ولا قطعا لما أمر الله به أن يوصل ، وقد كان حكمهم على ما دون ذلك إلى وقت قريب أفدح من هذه الأحكام ذلك بعض ما هيأت له عقول الأزهريين موجة الاصلاح التى بدأها شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية الشيخ محمد المهدى العباسى ، وكان موجهها وداعية الخير فيها الشيخ الامام محمد عبده ، ثم كان بطلها وفارس حلبتها شيخ الاسلام الأستاذ محمد مصطفى المراغى .

* * *

كان من بعض آثار الأستاذ المراغى أن هيأ الأزهر ورجاله للقيام برسالتهم التى ينتظرها الاسلام والمسلمون منهم ، وأن جلى لأعين الأزهريين

الطريق إلى بلوغ الغاية التي يرتقبونها ويرتقبها منهم الشرق والشرقيون .

لقد كان الأزهر إلى عهد غير بعيد يعيش بمعزل عن الناس لايشعر أهله بما يحيط بهم ولا يشعر الناس بهم ، فلم يكن من هم أحدهم إلا أن يتلقى درسه أو يلقيه على النمط الذى تلاحقت عليه القرون مكتفيا بما ينال من رزق ضئيل أو بما يرسل إليه قومه من عيشة الكفاف ، وكان يعتقد أن تغيير شيء مما جرى عليه سلفه من الشيوخ والطلاب أمر لاينبغى له أن يفكر فيه ، سواء أكان التغيير فى أسلوب الحياة أم كان فى أسلوب التعليم .

ولقد كان من شأن بعضهم أن يدخل فى أول العام الدراسى من باب الأزهر ثم لا يخرج منه إلا أن ينصرم العام كله وينصرف الأساتذة والطلاب إلى بلادهم ، بل لقد كان من شأن بعضهم أن يحبس نفسه على الدراسة والاستذكار فى داخل الأزهر فلا يبرحه حتى يصبح عالما ويؤذن له فى التدريس ، وشاهد الأستاذ المراغى بعض ذلك وهو طالب فى الأزهر وأدرك أن لهذا من الأثر فى طلاب الأزهر وعلمائه ما لا يمكن إصلاحه إلا بجهود الجبابرة وأى أثر أبلغ تأصلا فى نفس رجل يهيء نفسه لتهذيب الناس ودعوتهم إلى الله بالأسلوب الذى يفهمونه من حياة كل ما فيها يدعوه إلى العزلة عن الناس والابتعاد عنهم إن لم يكن يدعوه إلى تهجينهم والنيل منهم؟ بل كيف يتسنى لرجل يعد نفسه لتقويم الناس على الوجه الذى يفهمونه وهو لا يفهم أسلوبهم فى الحياة ولا يعرف طريقهم إلى التفكير ؟ ثم كيف تكون حال الأزهريين أنفسهم بين غيرهم من صنوف المتعلمين فى الأمة ؟ وهؤلاء يسيرون إلى الأمام بخطى واسعة وأولئك يقفون فى حياتهم عند ما بلغته الحياة منذ قرون ، أنهم لابد أن يعيشوا غرباء حتى عن أهليهم وذوى قرابتهم وذلك بعض العلة فى وجود الحواجز البعيدة الأثر بين الأزهر فى

عهده القديم وبين غيره من طوائف الناس . بذل الأستاذ المراغى إذن جهود الجبابرة التى لم يكن له بد من بذلها لكى يخرج الأزهريين عن مألوفهم وليقترب بهم من صنوف المتعلمين فى الامة ليتعارف بعضهم إلى بعض ، وسلك لذلك الطريق الذى امتلأت نفسه يقينا وقلبه عقيدة بأنه الطريق الذى يؤدى إلى الغرض المنشود . وهو الطريق الذى سيعلم من لم يكن يعلم من الأزهريين أنه النهج الواضح والسبيل الصحيح ، وبذل الأستاذ المراغى جهود الجبابرة ليقنع الطوائف المثقفة فى الأمة بأن الأزهر الذى حفظ التراث الإسلامى فى وقت كان العلم كله يهيم فى بيداوات الضلال لا يمنعه من مسايرة الحياة العلمية الجديدة ذلك الركود الذى أصابته به الأحداث وليقنع أولى الأمر فى مصر بأن الأسباب التى دعت أسلافهم إلى التفكير فى إنشاء معاهد تقوم بحراسة بعض ما كان الأزهر يقوم على حراسته من علوم الدين واللغة ، قد زالت الآن تماما وأن الجو فى الأزهر واستعداد أهله لتقبل النظام الحديث من حيث الجوهر والشكل معا ، لم يبق معهما بد من إسناد كل ما كان يسند إلى أهله قبـــل التفكير فى اقتطاع بعض ما هو من أخص شؤونه ، وبذل الأستاذ المراغى جهد الجبابرة ليقنع الأزهريين أنفسهم بأن صالح الجيل الحاضر منهم وصالح الأجيال الآتية يفرضان عليهم مسايرة النهضة العلمية الحديثة وألا يقفوا حيث يسير الموكب من حولهم ، وأن ذلك لا يخالف شيئا من قواعد الدين ، بل ولا يخالف شيئا من صحيح ماجرى عليه سلف المؤمنين الصالح . وما زال هو بهم حتى أقاموا الدليل على سلامة فطرتهم وكامل أهليتهم وأنهم بشىء من التوجيه الصحيح مستطيعون أن يكونوا أعضاء نافعين فى هذا المجتمع ، وليس على ولاة الأمر إلا أن يقبلوا عليهم بعض الإقبال فإذا هم سباقون إلى تلبية أطماع الأجيال الحاضرة والآتية ، فإن مما يقعد بالعامل المجد أن يجد عمله غير مقدور

وسعيه غير مشكور وأن يجد ميزان المكافأة لا يزنها بما يزلف الناس من أعمال وإنما يزنها بما يتقدمون به بين يدى رغباتهم من صيحات وبما يدلون به مما لا يتفق مع صفات المروءة وكرامة ذوى الكرامات .

ولد الشيخ محمــــد مصطفى المراغى فى اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٨١ الميلادى فى المراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر الأعلى وفى بيت أصدق ما يقال فيه : إنه لم يبلغ به المجد المادى أن يكون من بيوت السراة فى الصعيد ، ولم يقعد به المجد الأدبى عن أن يكون مثابة للناس يقصدونه من بعيد ، فيضيفهم صاحبه ويفصل فيما يرفعونه إليه من مشاكلهم ويشير على من يستشيره بالرأى الأسد ، وحساب الثروة فى ريف مصر وفى قرى الصعيد مما لا يلتفت إليه غير صراف القرية وأقلام الحسابات فى المديرية فكم بيت تراه نجعة الرائد ، ونزل القاصد ، ومن حوله بيوت تعج بالناطق والصامت فلا يرتادها أحد ولا يلقى عصاه فيها إنسان وكم بيت يكبر الناس أهله وينزلونهم منزلة الإجلال والاحترام ومن حوله بيوت فشت لأهلها فاشية من مال وهم يودون لو بسط لهم من المنزلة بعض ما أحاط بأهل ذلك البيت فلا يبلغون بعض ما يريدون ؟.

وتعلم الشيخ فى القرية ما كان يتعلمه أمثاله ونظراؤه فى هذا العهد فحفظ القرآن وقرأ وكتب ، ثم تلقى على أبيه بعض العلوم ، فلما آن الوقت الذى يرتحل فيه قرناؤه إلى القاهرة ليلتحقوا بالأزهر سافر فيمن يسافرون من أهل القرى المجاورة لهم وانتسب إلى الأزهر وتلقى العلم على شيوخه من طبقة الشيخ الامام محمد عبده ولم يقع لى على وجه التحديد ثبت بأسماء شيوخه وما تلقى عنهم من الفنون والكتب ، غير أنى أذكر حديثا له حدثنيه يستفاد منه أنه تلقى علوم العربية على المرحوم الشيخ على الصالحى ، وكان الشيخ

على يومئذ من شباب العلماء فى الأزهر الناضجين المحققين وعليه تخرج جمهرة من الأساتذة الفحول .

ولست أدرى على وجه التحديد متى بدأ اتصال المراغى « المجاور » بالشيخ الامام « محمد عبده » ولكن الذى لاشك فيه أنه حضر دروس التفسير التى كان الشيخ يلقيها فى « الرواق العباسى » وهى — فوق أنها تفسير للقرآن الكريم — دروس فى الاجتماع والتاريخ الإسلامى والتوجيه العام لشباب المسلمين عامة وشباب الأزهريين خاصة .

وعكف الشاب « المراغى » على دروسه يذاكرها ويبحثها بحث المستقصى الراغب فى الوصول إلى الغاية واكتناه الحقيقة ، حتى اشتهر بين إخوانه بالذكاء ووفرة التحصيل ، وكانت له رفقة من شباب الأزهر النابهين فكانوا يجتمعون على استذكار الدروس قبل تلقيها على الأساتذة كما جرت عادة الأزهريين ، كما كانوا يجتمعون على قراءة الكتب التى لم تكن تدرس فى الأزهر ، وتلك مزية ظاهرة من مزايا رفقة الأزهر يومئذ .

حدثنى الشيخ المرحوم عبد المجيد الشاذلى شيخ معهد طنطا الأسبق طيب الله ثراه — وكان الشيخ عبد المجيد رحمه الله أمة وحده ، كما كان مثلا للتصون والعفة ومكارم الأخلاق ، وكانت قد جرت الأحداث عليه فنعته ما كان يجب له من تقدم ومشت الوشايات به فاضطهد وأبعد ، وكان هذا الحديث فى أوائل مشيخة الأستاذ المراغى الأولى وكان الشيخ عبد المجيد مدرسا فى معهد طنطا ، قال :

دعانى الشيخ المراغى إلى زيارته بمكتبه ، فلما دخلت عليه بدأ الحديث بقوله : لقد هنأنى بمشيخة الأزهر من أعرف ومن لم أعرف من العلماء ولم

يتخلف عن ذلك إلا رجل واحد كان يسرني أن يكون هو المهنىء وإن تخلف أكثر المهنئين . فأجبته : إنى عرفت فى أيام طلب العلم شابا ذكيا متوقد الذهن وافر المحصول هو الطالب محمد مصطفى المراغى ، ثم عرفت فى أول العهد بالتدريس مدرسا عميق الفكرة واسع الأفق جيد العبارة هو العالم المدرس الشيخ محمد مصطفى المراغى ، ثم سمعت أن الشيخ المراغى يتولى فى السودان قضاء القضاة وأنه موفق إلى القيام بواجبات هذا العمل ، ثم علمت أن الشيخ محمد مصطفى المراغى قد صار شيخا للأزهر وللأزهريين كلهم ، ولما كنت أحب الخير كل الخير للأزهر والأزهريين انتظرت ما يجرى به القضاء على يدى شيخ الأزهر الجديد ، فإن رأيت خيرا جئت فهنأته بأنه قد جرى على ما كانت تدل عليه مخايل بدايته وإن كانت الأخرى لم أجشم نفسى ما يتجشمه الناس ولم أندم على شىء ، فقال له شيخ الأزهر : إنى أشكر لك هذا الشعور ولعل الله أن يوفقنى إلى عمل أستحق به تهنئتك .

وسألت الشيخ عبد المجيد بعد هذا الحديث أفكانت نعوتك التى أضفيتها على الطالب المراغى والمدرس المراغى حقيقة أم كنت تجامل بهذا القول بعض زملائك وقد صار أمر الأزهر بيده ؟ وكان الشيخ أستاذى ولى عليه دالة التلميذ الوفى ، وكان من خلصان أبى ولى عليه دالة ابن الأخ الحبيب، ولكنه لم يحتمل هذا الكلام ، ثم قال : أفتظن بى وأنت تعرف الكثير عنى أنى أتملق الشيخ أو أعتذر له ؟ الحق أنه كان طالبا ممتازا ، وأنه كان مدرسا ممتازا ، وأنه لو بقى فى الأزهر لم يقعد به ذلك الامتياز عما بلغه اليوم . هذا رأى إخوانه فيه ، وإذا وقرك كبيرا من عرفك صغيرا فأنت بمنزلة فوق منازل التوقير والإجلال .

* * *

وفى عام ١٣٢٢ من الهجرة (١٩٠٤ م) دخل شهادة العالمية وحصل على الدرجة الثانية ، وكانت سنه يومذاك أربعة وعشرين عاما ، ولعله أصغر علماء الأزهر سنا فى ذلك التاريخ من غير أبناء العلماء .

نعم لعله أصغر من حصل على شهادة العالمية فى ذلك التاريخ من غير أبناء العلماء ! فقد كان العمل فى ذلك الحين جاريا فى الأزهر على أنه لا يتقدم لطلب الامتحان إلا من تلقى العلوم كلها وحضر الكتب « المعتبرة » وآنس من نفسه الكفاية ونال بذلك شهادة من شيوخه ، على ألا تقل مدة انتسابه فى الأزهر عن اثنتى عشرة سنة ، ثم كان العمل جاريا فى ذلك الحين على أن تنعقد لجنة الامتحان فى الوقت الذى يختاره شيخ الأزهر فتمتحن من يسمح الوقت بامتحانه ثم تؤجل الامتحان إلى قابل ، فربما بقى الطالب سنوات ذوات العدد ينتظر الدعوة إلى الامتحان ولا يسمح الوقت بامتحانه ، وكان أقل ما ينال أبناء العلماء من الكرامة ألا يطول بهم انتظار الدعوة إلى الامتحان ! ! .

وليس عجيبا فى ذلك الحين أن يحصل الشيخ المراغى على الدرجة الثانية ، وهو الطالب الذكى المتوقد الذهن الوافر المحصول ، إذا علم أن الشيخ الإمام « محمد عبده » لم يحصل قبل ذلك على ما هو أوفر حظا منه ، على أن الدرجة الثانية نفسها لم يكن لينالها الطالب إلا بالجهد الجاهد والنصب العظيم .

وكان يكفى أن يكون فى لجنة الامتحان عضو واحد يرى أن يحرمه الدرجة الأولى لينزل التقدير به إلى الثانية إذ كان الشرط فى استحقاق الدرجة الأولى إجماع الآراء ، ومن لك بأن يجمع على تفوقك ستة من أساطين العلماء ؟ .

وكان الحصول على شهادة العالمية يتبعه لا محالة الإذن لحاملها بالتدريس

فى الجامع الأزهر، لأن عدد الخريجين لم يكن يزيد عن أصابع اليدين فى العام ، ولأن الدولة لم تكن تتكلف لعلماء الأزهر شيئا يستحق أن يمنع منه الراغب فيه ، وكانت للأحناف من الخريجين مزايا ولمن يحصل منهم على إحدى الدرجتين الأولى والثانية خاصة ، وبعض هذه المزايا أنهم يدرسون ريثما تدعوهم وظيفة القضاء الشرعى .

إذن لم يكن بد للشيخ الناشىء أن يتصدر حلقة من حلقات التدريس فى الأزهر ، وتبدأ هذه الفترة من حياته فى أول شهر أغسطس من عام ١٩٠٤ الميلادى ، وتنتهى فى ٣٠ من شهر أكتوبر من العام نفسه ، ويظهر أن أثره كان ظاهرا فى هذا العمل ، فقد بقى الشيخ عبد المجيد الشاذلى يحفظ للمدرس المراغى — على وجازة زمنه فى التدريس أنه كان مدرسا عميق الفكرة واسع الأفق جيد العبارة . ولم يكن نظام الأزهر يومئذ يقيد الطالب بحضور درس معين أو يقيد العالم بقراءة كتاب معين أو بالتزام وقت ، بل كان الطالب يتلقى الكتاب الذى يختاره أو يختاره له متولى أمره إن يكن فى بداية حياته ، وعلى الشيخ الذى يختاره أو يختار له ، وكان العالم يدرس الكتاب الذى يختاره أو يقترحه عليه أبناؤه ، ويختار الوقت الذى تسمح به ظروفه ، فكان أثر العالم الظاهر فى كثرة عدد طلابه وفى تزايدهم يوما بعد يوم ، ولذلك موضع من البحث لعلنا نوفق إلى إذاعته فى وقت قريب .

* * *

وفى أول نوفمبر من عام ١٩٠٤ الميلادى ، عين الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضيا لمديرية دنقلا بحكومة السودان ، وقاضى قضاة السودان يومئذ صديقه المرحوم الشيخ « محمد هارون عبد الرازق » ، وبعد قليل نقل الشيخ المراغى قاضيا لمديرية الخرطوم .

وفى عام ١٩٠٧ اختلف هو وقاضى القضاة والسكرتير القضائى فى وجهة النظر إلى اختيار المفتشين بالمحاكم الشرعية فى السودان فآثر أن يستقيل من منصبه وأن يعود إلى مصر فعاد فى أوائل سبتمبر من هذا العام .

وفى التاسع من شهر سبتمبر عام ١٩٠٧ م عين مفتشا للدروس الدينية بديوان عموم الأوقاف بمصر ، وفى هذا الوقت عاد للتدريس فى الجامع الأزهر مع تولى هذا العمل ، وقصد درسه كثير من الطلاب النابهين فى الأزهر .

* * *

وفى عام ١٩٠٨ زاره « سلاطين باشا » ، وكان وكيلا لحكومة السودان بمصر ، وعرض عليه أن يكون « قاضى القضاة » بحكومة السودان ، فقال له : إن حكومة السودان فى العام الماضى أبت على وظيفة « مفتش بالمحاكم الشرعية » فكيف ترضى اليوم أن أكون « قاضى القضاة » قال : إنها اقتنعت اليوم بما لم تكن تقتنع به ، وإننى أريد أن أعرف الشروط التى تجعلها أساسا لقبول هذا المنصب الخطير فشرط شروطا كان عقدة العقد فيها أن يكون تعيينه بأمر يصدره « خديو مصر » وكان « سلاطين باشا » مقتنعا بأنه لا يصلح لتقلد هذه الوظيفة غير ذلك الشيخ الذى أبت عليه حكومته فى العام الماضى وظيفة دونها بكثير ، فلم يزل « سلاطين باشا » يتلطف لحكومته حتى قبلت أن يعين الشيخ « محمد مصطفى المراغى » قاضيا لقضاة السودان ، وأن يكون تعيينه بأمر يصدره « خديو مصر » .

وفى أول أغسطس من عام ١٩٠٨ صدر الأمر من « خديو مصر » بتعيينه قاضيا لقضاة السودان .

* * *

ويبدأ تاريخ المجد الذى بناه لنفسه الشيخ المراغى من ذلك الحين ، فقد

كان فى قضاء قضاة السودان المثل المضروب للعالم الفذ ، وللسياسى الخطير ، وللوطنى العظيم ، وما زال إخواننا من أهل السودان يحفظون له أجمل الذكريات ، ولقد نسوا أو كادوا ينسون قاضيين توليا هـذا المنصب قبله — على جلالتهما وعظيم خطرهما — وإنما ظلوا يتناقلون ذكرياته لأن شيئا كثيرا من تاريخ السودان الحديث لا يزال يعرف بينهم على أنه بعض آثار الشيخ المراغى ، وأوجز ما نستطيع أن نذكره فى هذا المكان أن لك أن تضفى على الشيخ المراغى قاضى قضاة السودان ما شئت من صفات الرجال ، دون أن تتلبث أو تتحرج ، لأنك لن تنسب إليه صفة إلا وجدت لها الشواهد من جلائل الأعمال .

أرادات حكومة السودان أن تغير لائحة المحاكم الشرعية فى السودان وهى فى جملتها تشبه لائحة المحاكم الشرعية فى مصر ، ولكنها تعطى قاضى القضاة سلطة واسعة المدى ، وأدنى هذه السلطة أن له وحده أن يختار للقضاة الآراء الفقهية التى يحكمون بها ، وتوقف السكرتير القضائى « السير بونهام كارتر » فى إقرار هذه السلطة ، وتمسك قاضى القضـاة المراغى بها ولم يقبل أن يحور فى صيغتها تحويراً ما ، وبذل السكرتير القضائى ما استطاع من وسائل الإقناع ، وعارضه قاضى القضاة بوسائل من مثلها ، ولم يكن ذلك ليقرب ما بينهما من مسافة الخلف ، وأخيراً قال الشيخ : لقد اختلفنا فى وجهة النظر . ولم يستطع أحدنا أن يقنع الآخر . فلم يبق بد من أن نختصم . وأنا لا ألجئك إلى الاختصام إلى علماء الشريعة فى مصر ، ولكنى أقبل الاختصام إلى الحاكم العام على شريطة ألا تلقاه منذ الآن إلا معى . ونمى خبر اختلافهما إلى الحاكم العام ونمى خبر هذه المخاصمة بشرطها إليه ، فلم يجد بدا من أن يرسل إلى السكرتير القضائى أنه قضى للشيخ المراغى عليه من غير أن يستمع إلى حجج الفريقين ويقابل السكرتير

القضائى الشيخ المراغى فيعلنه أنه نزل عن رأيه له ، على أن يستأنف مجهوده متى تغير قاضى القضاة .

أى دلالة تدل عليها هذه الحادثة ؟ أكانت منزلة قاضى القضاة من نفس الحاكم العام هى التى طوعت له أن يقضى له بالفلج على خصمه ؟ أم كانت معرفته بأن قاضى القضاة إنما يستمسك بما هو حق ؟ أم كانت ثقته بأن الشيخ المراغى قوى الاحتجاج لما يذهب إليه من الآراء ؟ أم كان يخشى أن تفهم مصر وأن يفهم السودان معها أن الإنجليز يتدخلون فيما هو من شئون الإسلام والمسلمين ؟ أم كان كل أولئك مجتمعا ؟ أم كان شىء غير كل أولئك ؟

وفى الوقت الذى اعتزمت فيه حكومة « انجلترا » أن تحتفى فى الهند بتنصيب الملك « جورج الخامس » امبراطورا على الهند صدرت الأوامر إلى كبار موظفى حكومة السودان وكبار الأعيان أن يسافروا إلى مرفأ البلاد لأن الباخرة التى تقل « جلالة الملك » إلى الهند ستمر بهم وسيكونون فى استقبال جلالته .

وعلم الشيخ المراغى أنه مدعو فى طليعة هؤلاء ، وأن النظام الذى وضعته وزارة الخارجية البريطانية يقضى بألا يصعد إلى الباخرة سوى الحاكم العام ، وأن كل من عداه سيمرون فى محاذاة الباخرة وجلالة الملك مطل عليهم فذهب إلى الحاكم العام يخبره بأنه إذا أصرت وزارة الخارجية الإنجليزية على هذا النظام فإنه لن يسافر إلى الميناء ويبرق الحاكم العام بذلك إلى حكومته ، فتبرق هى إليه بأن النظام قد عدل ، وأنه سيصعد إلى الباخرة رجلان أحدهما قاضى قضاة السودان وأنه قد اتخذت الإجراءات لإخبار حاشية الملك بهذا التعديل ، إذ كانت الباخرة فى عرض البحر حينذاك .

اى دلالة تدل عليها هـذه الحـادثة ؟ وهل فى سجل الاعتزاز بالـكرامة ماهو أنصع إشراقا من موقف الشيخ ؟.

* * *

وفى أوائل عام ١٩١٩ م اندلع لهيب الثورة فى مصر ، وقام المصريون جميعاً يطـالبون بحقوقهم فى الاستقلال وحملت أسلاك البرق خبر هـذه الثورة ، وامتلأت الجرائد المصرية وغير المصرية بحوادث الاعتقـال التى جرت بها أوامر السلطة الإنجليزية ، فلم يـكن بد لأهل السودان من أن يشاركوا إخوانهم الذين يقطنون مصب نيلهم ذلك الشعور ، ولم يـكن بد من أن يكون لهم زعيم يتولى قيادة هذه الحركة وتجمع آراء أهل السودان وآراء كبار المصريين هناك — وهم إذ ذاك كثيرون — على قاضى القضاة المراغى ويلبى الشيخ النداء فيخرج معهم فى طليعة «المظاهرات» ويجمع التوقيعات لسعد زعيم مصر ولأصحاب سعد بأنهم وكلاء الأمـة الذين يطالبون بحقوقهـا . وتغلى مراجل غيظ الإنجليز على الشيخ ، ويقترح بعضهم اعتقاله أو إيداعه السجن ، ويرى السكرتير القضائى ذلك من أفدح الأخطاء ويشير بمنح الشيخ إجازة عاجلة غير محـــدودة الآخر ، ويعود الشيخ إلى مصر ، وينتهى عمله فى السودان .

* * *

وفى يوم ٩ أكتوبر من عام ١٩١٩ م يعين رئيسا للتفتيش فى المحـاكم الشرعية بمصر ، ثم يعين رئيسا لمحكمة مصر الكلية فى ٢١ يوليه عام ١٩٢٠ م ، وفى السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٩٢١ يعين عضوا فى المحكمة الشرعية ، وفى ١١ من ديسمبر عام ١٩٢٣ يعين رئيسا للمحكمة العليا .

وفى المحكمة العليـا بدأ اتصاله بشئون الأزهر ، فقد كانت للأزهريين

ضجة وصيحات متلاحقة تطلب إصلاح هذا المعهد الخالد ، وكانت هذه الصيحات ما تزال تقلق الحكومات وتقض عليها مضاجعها ، فلم يكن للحكومة مناص من أن تشكل لجنة تهدىء بها ثائرة هؤلاء على الأقل ، وتخيرت أعضاء هذه اللجنة من نخبة أهل الرأى من رجال الأزهر ومن رجال الحكومة معاً ، وكان الشيخ المراغى واحداً من أعضاء هذه اللجنة ولكنه ـ كما علمت ـ كان أكثر أعضاء اللجنة إشفاقا على الأزهر والأزهريين وكان أكثرهم تدقيقا فى البحث عن حقيقة ما وصل إليه هؤلاء القوم الذين درج بينهم ، وكان منهم إلى أن خرج إلى الحياة العامة فبلغ فيها أرقى ما تطمح إليه الأنظار ، ويظهر أن هذا الاستقصاء فى البحث لم يرق جماعة الأزهريين من بين أعضاء اللجنة فانطلقوا يفسرون اتجاهه تفسيراً يوغر عليه صدور أهل الأزهر ، ثم تعرض له أحدهم يكابره — أويناوئه — وحين ولى الشيخ المراغى مشيخة الأزهر للمرة الأولى أسر ذلك المجادل إلى بعض أصدقائه أنه ينتظر أن يبطش به لموقفه معه فى لجنة إصلاح الأزهر ، ولكننا لم ننتظر طويلا حتى رأينا الشيخ يقفز بهذا المجادل فى سلم الارتقاء قفزات سريعة .

* * *

وفى الثانى والعشرين من شهر مايو عام ١٩٢٨ الميلادى عين الشيخ « محمد مصطفى المراغى » شيخا للجامع الأزهر ، فلم يلبث أن أخذ أهبته لينقل الأزهر فى أقصر مدى من معهد وقف عن التجديد منذ سبعة قرون تقريبا إلى معهد يسامى أرقى الجامعات الحديثة . وكان الذى يؤخذ عليه فى هذا الحين أنه لم يحسب حساب الطفرة التى كان يود لو استطاع أن يطفرها ، وعذره فى ذلك أنه فهم حقيقة الأمر وعرف أن العالم كله يصير بخطوات سريعة ، وأن الأزهر

— إذا لم يساير القافلة — سيتخلف إلى الحد الذى لا يستطيع معه أن ينتعش مرة أخرى .

كان سن الشيخ يوم تولى مشيخة الأزهر فى عام ١٩٢٨ لا تزيد عن ثمانية وأربعين عاما ، وهذه أول مرة فى تاريخ الأزهر — فيما نعلم — يتولى مشيخته شيخ فى هذه السن ، فلم يرض له نشاطه ولا رغبته الملحة فى أن يبلغ بالأزهر المنزلة التى يؤهله لها تطاول السنين أن يقنع بما كان يقنع به شيوخ بالأزهر من قبله ، فواصل ليله بنهاره فى دراسة قوانين الأزهر ومناهج الدراسة فيه ، وفى تغيير هذه القوانين وهذه المناهج ، وبعث الحياة من جديد فى علماء الأزهر وموظفيه ، فكانت اللجان تجتمع عامة النهار وأكثر الليل فى الإدارة العامة برآسته وكان المدرسون يقضون عامة النهار وأكثر الليل فى مراجعة دروسهم وتحقيقها . ولم يكتمل العام على توليه مشيخة الأزهر حتى خرج بقانون جديد للأزهر ينشىء فيه لونا من النظام لم تتجه الأنظار إليه من قبل ، وفيه يقسم الدراسة العالية إلى ثلاثة أقسام ، يسمى كل قسم منها « كلية » فكلية لعلوم الشريعة ، وكلية لعلوم اللغة العربية ، وكلية لعلوم أصول الدين ، وينشىء أقساما عـــديدة للتخصص وينوع التخصص نفسه إلى نوعين رئيسيين : فنوع للتخصص فى المهنة ، ونوع للتخصص فى المادة وكل واحد من هذين النوعين له ضروب لا مجال لتفصيلها الآن .

وتشاء الأقدار ألا يتحقق للأزهر مايريد الشيخ ، وأن تقف فى سبيله العقبات فيستقيل من منصبه فى العاشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٩ م .

ويعود الشيخ إلى مشيخة الأزهر فى السابع والعشرين من ابريل سنة ١٩٣٥ بعـــد أن قامت فى الأزهر ثورة عنيفة جامحة تنادى به وتعلن أنها لا ترضى بديلا منه ، ويقضى فى هذه المشيخة ما بقى من حياته الحافلة بجلائل الأعمال .

إلى أن يختاره الله تعالى وينتقل لجوار ربه فى ليلة الأربعاء ١٤ من شهر رمضان سنة ١٣٦٤ ه الموافق ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٤٥ م فسح الله له فى رضوانه وجزاه خير ما يجزى عباده الصالحين .

* * *

فى كل فترة من الفـــترات التى ألممنا بها من حياة الأستاذ المراغى مواقف تسترعى نظر الباحثين وما بنا شىء من التقصير ، ولكن لتفصيل هذه المواقف وبيان وجه العبرة منها مكانا غير هذا المكان ، ولو كانت حياة الأستاذ المراغى مما يسطر فى صحائف معدودات لكان الخطب به هينا ، ولكنها الحياة التى تزيدك إعجابا كلما زدتها نظراً . وبحسبى أننى دللت على سر العظمة فى هذه الحياة لمن يريد أن يستضىء بحياة السلف . وإننى بدأت بكتابة المقدمة لتاريخ هذه الحياة .

الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى (١)

للأستاذ عبد الجواد رمضان

كان فضيلة الأستاذ قد أعد هذه القصيدة لتلقى فى الأزهر يوم وفاة المغفور له الإمام المراغى ، فأبت ذلك الظروف ، وما أقرب الشبه بين يوم النعى ويوم الذكرى .

قفوا ودعوا الإسلام خف قطينه ... وطاح بميدان الجهاد أمينه
وإن شئتموا أن تشتفوا بيكاته ... فهذى مغانيه وهذا عرينه
حليف المراغى الإمام وهمه ... وعدته فى دهره وخدينه
تولاه فاهتزت دعائم عرشه ... فلما نأى عنه تداعت حصونه
سلوا الأزهر الموفى على خير غاية ... غداة نواه : كيف جن جنونه
طغى رزؤه فيه ، فخف وقاره ... ومادت رواسيه ورن أذينه
وجاوبه من كل صوب مفجع ... مرن ، كأن الحشر قد حان حينه
إذا صاح شجوا . ردد الشجو مجده ... وإن ناح وجدا رجع النوح دينه
فوا لهفتا للشرق ، والشرق ناعم ... بآماله ، كيف استثيرت شجونه
هوى قطبه الداهى وصخرة سره ... وخريته فى سعيه ومعينه
كأن لم يكن بدرا من الفضل باهرا ... تألقه فى كل أفق يزينه
كأن لم يكن شمسا ، بها الشرق يزدهى ... إذا طالعت خطبا تجلت دجونه
كأن لم يكن سيفا ، إذا الحق هددت ... نواحيه ، يحمى حوضه ويصونه

---

(١) نشرت بالأهرام فى ١٤ رمضان سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٩٤٦ م .

كأن لم يكن لينا إذا سيم خطة عنا — فى إباء — صولة الليث لينه
لقد ودع القرآن منه مترجما يكشف من أسراره وبينه
لقد ودعت منه الشريعة مذهبا اماما ، له شراحه ومتونه
لقد ودع الفن الرفيع مهذبا رقيقا حواشيه بديعا فنونه
فيارب ! هذا المشهد الفخم تغتلى مهابته قهارة . من يكونه
ويارب ! هذا السحر يصبى ويستبى نهى شاهديه . هل لحى فتونه
ويارب ! هذا المنطق الجزل تنتمى إليه الدرارى ، كيف غاض معينه
شمائل غر . قد مضى بفياضها من الدهر سهم كل حى رهينه
أصيب صميم المجد لما أصابه وفوجىء لما فاجأته منونه
فواضيعتا للنبل أصبح هينا وقد كان قبل اليوم تعيى حزونه
فمن شاء ناصاه ومن شاء فاته ومن شاء جلت فى المعالى شؤونه
خطا فى سبيل الصالحات تقاربت ومرعى تدانى غثه وسمينه
وقد أعوز الفذ الفريد ، وأقفرت مغانى الحى منه ، وألوى ضمينه
فيا أمة فى واحد ، كيف رعتنا وخليت عرش المجد تدمى جفونه
لقد فجع الإسلام أن قام جمعه وأنت — إمام المسلمين — دفينه
فمن لمقام كنت تملأ أفقه جلالا وتعشى من سناك عيونه
لئن قام فيه بعد منعاك « مصطفى » لقد قام بالإسلام من لا يخونه

العلامة الشيخ المراغى شيخ الأزهر (١)

للعلامة محمد كرد على

كتب الأستاذ الجليل النابه محمد كرد على بك كلمة قيمة فى تاريخ الأستاذ الأكبر السابق الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله رأيناها جديرة بأن تخلد بين صفحات مجلة الأزهر لما حوت عن الإمام الراحل من تفصيل قل من يعرفه دون خاصته وهو تفصيل حافل بما يشهد بفضل الأستاذ فى فهم الدين والإلمام بحاجات المسلمين ، فوجدنا من الواجب نشر مايهم الناس منها فهاهى منقولة عن مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق « العدد السابع والثامن من المجلد الحادى والعشرين » .

كان العلم فى العصور الماضية يصدر عن العواصم الكبرى يهرع إليها أرباب الكفايات لما يجدونه فيها من استعداد لسماع أقوالهم والانتفاع بمواهبهم ، وكانت المدن الذاهبة بهذا الفضل بادى بدء البصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والفسطاط والرى وشيراز وأصفهان ونيسابور ثم النجف والموصل وصنعاء وصعده وفاس والقيروان وتونس (إفريقية) والقاهرة ، ولما تحيف الخراب معظم هذه العواصم وانحطت فى مدنيتها بقيت القاهرة وتونس وفاس والنجف تخرج علماء للأمة فعدت لذلك مراكز العلم ، وكان الجامع الأزهر أشهرها وأعظمها لتوسط مصر بين مدن الإسلام فى إفريقية وآسيا .

---

(١) نشرت بمجلة الأزهر فى رمضان سنة ١٣٦٥ هـ .

وظل الأزهر يخرج رجال الدين منذ أقام صلاح الدين يوسف بن أيوب دولة السنة ، وقضى فى مصر على دولة الشيعة الفاطمية ، وكان أصحاب الفضل الواسع المتخرجون فى تلك الدار أقل من القليل والمتوسطون كثرة على ما هم فى كل زمان ومكان والمتوسط فى العادة ينسى والمبرز هو الذى يفاخر به تاريخ الأمة .

وممن نبغ فى مصر من المتأخرين شيخ الأزهر العلامة الشيخ محمد مصطفى المراغى . اشتهر لا لأنه تولى أعظم منصب فى الإسلام فقد يتولى المتوسطون بعلمهم أسمى الرتب وهم لا يعدون حفظ ما جرت العادة بحفظه ولا تمثلوا ما قرءوه ، اشتهر لأنه كان حريا بالشهرة جمع إلى الفقه والأصول ما تعوز العالم معرفته من أصناف العلم فما أتقن علوم الدين وقال قطنى بل تعلقت همته بمطالب أخرى فشارك مشاركة لا بأس بها فى المعارف التى كان رجال الأزهر ينفرون منها .

ومن أهم ما ساعد المراغى على تفوقه على أقرانه أن امتاز بذاكرة قوية يذكر ما مر به من خمسين سنة لا يخرم منه معنى وقد جمع إلى ذكائه الفطرى استقلال الفكر وحب الاطلاع فما سد أذنيه وعينيه عن سماع الجديد والنظر فيه . وكان على مثل اليقين أن مجد الإسلام لن يكتب له الظهور إن لم يقرن بالعلم الجديد . استظهر القرآن وتدبره تدبرا قل إن كان فى الفقهاء المتأخرين من داناه فيه وحفظ وهو فى القضاء بضعة دواوين لشعراء معروفين من أهل الجاهلية والإسلام .

وحظه الحظ فتخلص من القيود التى وضعها أهل كل مذهب وقضوا أن تؤخذ أقوال صاحبه قضايا مقررة يحظر على العقل أن يجول فيها فهو مجتهد استوفى كل شروط الاجتهاد ومجتهد ممتاز بمشاورة العقل .

نعم عزم الشيخ منذ تمت أدوات ثقافته أن يستقى من ينابيع الشريعة الصافية ، ولم يغفل ما تعب أهل المذاهب الجماعية به من الآراء والأحكام وما تشدد فيما رخص به الشرع أو أقرته المذاهب الأخرى ودعا للعمل بجوهر الدين من دون ما تزمت ولا تضييق وحرص على أن يبعده عما لايتفق مع منازع التجدد .

فصديقنا المراغى خلق عالما امتاز بمرونته وما كان فيه جمود من أخملتهم التقية ، وما اتسعت صدورهم إلا لما رووه عن مشايخهم أو وقفوا عند حد ماقرأوه فى الكتب وما عبأوا بسواه . نظر وهو فى سن الطلب فى علوم لم تدخل برنامج الأزهر وشعر بفساد طريقة المشايخ فى تدريسهم وشارك فى الشكوى من الشروح والحواشى والهوامش ، ولطالما كانت تربك ذهن الطالب وتقصيه عن معرفة اللغة وعن روح الشريعة فيخرج كالببغاء يحفظ مايلقنه دون أن يفهم معناه ، وكان بقدر مايعنى بالأخذ عن شيوخه يعتمد على درسه الخاص وبمقدار ما كان يدأب على تحصيل دروس الأزهر يسمو به الشوق إلى الاطلاع على مافى علوم الغربيين من متاع للروح والعقل ، وقد قيل لى إنه تعلم اللغة الإنجليزية أيام كان فى السودان قاضياً ، نعم لم يقيد الشيخ نفسه باعتبارات الأزهريين كثيرا ، شأن بعض النوابغ يشذون أحياناً عن مصطلح قومهم ويكون الخير فى هذا الشذوذ .

استطال الشيخ أعوام الدراسة على مايظهر ، وهمته تحفزه إلى الإسراع بالخروج إلى ميدان العمل فتقدم لامتحان العالمية وجاز السنتين الأخيرتين فى سنة واحدة كما قال لى عن نفسه ، وبهذا أثبت أن الطالب قد يتعلم فى بيته أكثر مما يتعلم من حضور الدروس فى أوقات مخصوصة على معلمين بعينهم ، أما هو فقد جمع بين الفضيلتين ما زهد فى التلقى ولا اقتصر عليه ، وروى

العارفون أنه حضر على المشايخ قراءة الكتب المطولة المعروفة عند الأزهريين إلا أنه مما أتم قراءة كتاب منها ، ذلك أنه كان يرى أن من العبث صرف الوقت فى حل معميات هذه الأسفار .

دخل الأستاذ فى الحياة العملية فى سن مبكرة ، فتولى القضاء قبل أن ينتصف العقد الثالث من عمره ، وأبان عن مقدرة على معاناته ، وظهر أنه عارف بسياسة العلم وسياسة الخلق ، فكأن والده وهو رجل شرع مثله أورثه خير صفات من يعدلون بين الناس ، وكانت داره فى الصعيد الأعلى مفتوحة الأبواب لحل مشاكل قومه وفض خصوماتهم . وقد أخذ القاضى الشاب من بيته من الأخلاق عدل ما تعلمه فى الأزهر من علم ، فسعد أبوه به وبأخوته وهم بضعة علماء وقضاة على رأسهم ابنه الأكبر شيخ الأزهر الذى تولى هذه الرياسة العظيمة فى حياة أبيه . أما بنوه فقــــد ربوا تربية مدنية ليس فيهم من لاث العمامة على رأسه .

أصبح الشيخ المراغى شيخـــاً للأزهر فى الثامنة والأربعين من عمره ، وندر من تولى هذه المشيخة وهو فى هذه السن ، فأتى بنشاط الشباب وحنكة الشيوخ ، فاهتم الاهتمام كله لإصلاح الأزهر الذى كان واضع أساس الإصلاح فيه شيخه وشيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . ولما شعر بأن لائحته فى إصلاح الأزهر لن تقبل استقال ولزم بيته محتفظاً باستقلال فكره وعزة نفسه ، وخلفه فى الرياسة الشيخ الظواهرى .

وعاد الشيخ المراغى إلى الأزهر ثانية يشمر عن ساعد الجد فى إصلاحه ، وأتم وضع أساس كليات التخصص ، ككلية علوم اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ، وكلية العلوم الشرعية . وكان يعتقد أن الأزهر يحتضر منذ طلبت

وزارة الأوقاف وهو من مفتشيها خطبا منبرية جاءها خمسمائة خطبة لم تصلح واحدة منها لأن تلق على المصلين يعتقد ذلك وهو يرى أن دار العلوم تنازع الأزهر أفضليته فى تعليم العربية ، ومدرسة القضاء الشرعى الملغاة تنازعه بتدريس الشريعة . وبإصلاح المناهج قضى الأزهر الحديث على فوضى التدريس فيه ، وبالرجوع عن البرامج العتيقة صُبغ الأزهر بما يلائم الزمن ويقرب الأزهرى من الحياة العملية ، وصارت دروسه القديمة بمثابة دروس ثانوية تهيء الطالب للتخصص ، وهذا بمثابة الدراسات العالية أو التعلم العالى .

تم له كل هذا بعد أن صرح فى مذكرته الإصلاحية : وإنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة فى نهضة التعليم ، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه ، وقد صار من المحتم لحماية الدين - لا لحماية الأزهر - أن يغير التعليم فى المعاهد ، وأن تكون الخطوة إلى ذلك جريئة ، ويقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، وقد قرنت كل الإصلاحات فى العالم بمثل تلك الضجة .

وإلى هذا شجع للشيخ أيضاً البعثات الأزهرية ، ومتى كان الأزهر يقول بأكثر العلوم الحديثة حتى يذهب نوابغ طلابه يستزيدون من العلم فى جامعات الغرب[١] .

وفى أى عهد قرئت الفلسفة فى هذا الجامع وشرحت قضاياها بحرية كما كان فى زمن المراغى ؟ إلى غير ذلك من الأمور التى كان يريد بها إطلاق عقول الأزهريين من عقالها ، وإدخالهم فى طور جديد ينفع .

(١) سبقت وزارة المعارف فى عهد وزيرها العالم معالى محمد حلمى عيسى باشا إلى إرسال أول بعثة أزهرية إلى الغرب تألفت من أزهريين وغيرهم من طلاب الجامعة ودار العلوم كتب فيها التفوق لطلاب الأزهر أولا وآخرا .

حاول الشيخ النهوض بالأزهر بتثقيف خريجيه ثقافة جديدة ، وكان يحز في قلبه تخلف أهله في علمهم وعملهم ، وهو القائل في وصفهم : « إنهم استكانوا في القرون الأخيرة إلى الراحة وظنوا أن لا مطمع لهم في الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث .

وجهلوا ما جد في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الإسلام بلا حملة ولا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين » .

في إحدى جلساتنا في دار الشيخ المراغي في حلوان أيام كونه معتزلا الأزهر — وكثيرا ما كانت تدوم الجلسة ثماني ساعات — تفضل وقرأ عليّ بعض تقاريره الدينية ، ومنها تقريره في الأحوال الشخصية الذي صدر القانون المصري عليه ، وهو التقرير الذي لم يتقيد فيه بالمذاهب الأربعة وأخذ من أكثر المذاهب المعتمدة ، وكتبه ببيان يقل نظيره في الكتابات الرسمية ، فرجوته أن يطبع ما كتب فما رأيت منه ميلا إلى النشر ، وكان عمله في هذا الباب لا يقل نفعا عن فتواه في الحد من الطلاق وقبله كان باب الطلاق مفتوحا على مصراعيه .

ومما دل على علو كعبه في حرية البحث فتواه في جواز ترجمة القرآن وله في هذه المسألة الشائكة بحث ممتع نشر في مجلة الأزهر . وفي هذه المجلة طائفة من تفسيره بعض سور الكتاب العزيز وبعض خطبه وآرائه وفيها فتواه في المعضلات وهي تدور على تقريب الناس من الشرع والتوفيق بين الدين والمدنية ويبدو فيها نور العقل والتجدد .

وقد حملت تقاريره وتفاسيره من أساليب البلاغة مايستكثر ، وفى الرسائل القليلة التى دارت بيننا نموذج من فصاحته وبلاغته ، وكان يكتب بدون تكلف بألفاظ عذبة رقيقة لاسجع فيها ولا ازدواج ، وعبارته رشيقة موجزة تشبه عبارات المؤلفين فى القرن الرابع والخامس وتقلب عليه ألفاظ القرآن وتحس أن كاتبها مشبع إلى الغاية بألفاظه ومعانيه .

أما طلاقة لسانه فكانت كبلاغة قلمه ، وربما ظن السامع وهو يتلو درسه أو عظته أو خطبته أنه يقرأ من كتاب أو من حفظه لأنه يشاهده وقد نسق كل فكر إلى جانب أخيه ، ووضع ما يروى وما يريد أن يعلق عليه فى مواضعه .

كان الشيخ حنفى المذهب ، ويأخذ من المذاهب الأخرى ما يناسب العصر والمصلحة ، وكان فى اطلاعه على المذاهب الأخرى آية ، وكثيراً ما قال للجنة الأحوال الشخصية عند البحث والهبة والوصية والوقف : ضعوا من المواد مايبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان ، وأنا لايعوزنى بعدذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ماوضعتم .

ومن رأيه توحيد المذاهب ، وقال فى إحدى مذكراته : « يجب العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينهما . فإن الأمة فى محنة من هذا التفرق ، ومن العصبية لهذه الفرق » ، « ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبى يهدى إلى الحق فى أكثر الأوقات ، وأن بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة فى القرون الماضية لمناصرتها ونشطت أهلها وخلفت فيهم تعصباً يساير التعصب السياسى ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لاترتكز إلا على مايصوغه الخيال ، وماافتراه أهلها . وهذه

المذاهب فرقت الأمة التي وحدها القرآن الكريم وجعلتها شيعاً فى الأصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف مثل ما يقال فى فروع الفقه : إن ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ، ومثل مايرى فى المساجد من تعدد صلاة الجماعة ، وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف فى التوسل والوسيلة ، وعذبات العمائم وطول اللحى ، حتى أن بعض الطوائف لا يستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين ويسعى لإنشاء مساجد خاصة » .

وقال : يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها ، والنظر فى الأحكام الاجتهادية بجعلها ملائمة للعصور والأمكنة ، والعرف ، وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

وقال بشأن دراسة التفسير والحديث : يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما ظهر للعلم بطلانه ، وعن كل مالا يتفق مع قواعد اللغة العربية .

وصرح أن الكتب الأزهرية معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وإنما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وقال : كان أكثر العلماء يطرقون الاحتمالات المتعددة فى عبارات الكتب ، وكان هذا هو كل شيء اشتهروا به فى العلم ، وما كان يوجد فيهم من يستطيع أن يحاضر فى موضوع علمى ولا أن يلخص

مسألة من المسائل بعبارة يمكن أن تفهم ، وما كانوا يعنون بالموضوعات العلمية من جهة الأدلة ومقارنة المذاهب ونقدها ، بل كانوا يعنون بالألفاظ فلم تكن الدراسة شهية مثمرة .

نعم : هو يرى أن الشريعة جاءت لخير البشر ، وما دسه فيها بعض المتأخرين بجهلهم أو تساهلهم يجب أن ينقى منها كما ينقى الزؤان من صوابة[١] الحنطة ، ويعتقد اعتقادا جازما أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه .

وإليكم ما قاله من مقالة أخيرة (جريدة الأهرام غرة رمضان سنة ١٣٦٣) تحت عنوان (مرحلة من الحياة تقضت) ، وفيها كلام جليل لا يقول مثله إلا رجل اتسع أفقه وعقله واستبطن أسرار مجتمعه ، وكان من عيار الشيخ المراغي في العلم، قال :

هناك أمور ينبغي أن يترفق فيها الفقراء بالناس ، وأن يراعوا قواعد اليسر التي هي أخص صفات الإسلام يراعونها في العمال والمرضى ومن يخدم المرضى ومن يشابههم ، فيقربون الناس من الإسلام ولا يوقعونهم في الحرج . وعندي أن من يفطر بعذر ويصرح بذلك أطهر ممن يفطر بغير عذر أو بعذر ويظهر أمام الناس بالتقوى . يرائي الناس ولا يخشى الله ، والترخص في المرض أو الترخص للمشقة في العمل يقدره أصحابها ، ويفتون أنفسهم فيها ، والرقيب هو الله ، والعلماء يبينون الحكم وهو إباحة الفطر للمريض ، ومن لا يقدر على الصوم ، أما تقدير القدرة فهو خاص بالعبد ، ولا شأن للعالم فيه . ثم استشهد بحديث « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

---

(١) الزؤان : ما يخلط بالحنطة . والصوابة - بضم الصاد وتشديد الواو - اللباب .

ما كان الشيخ ممن يرضيهم الأمر الواقع ، بل كان ممن يجهدون بتغيير الحاضر بما ينفع المستقبل ويدعو إلى الاعتبار بالماضى . استمعوا إلى هذه الصفحة البديعة يصف فيها العصر الذى نشأ فيه شيخه الإمام محمد عبده ، قال وأبدع :

« نشأ الشيخ فى عصر من العصور القاتمة كل شىء فيه بمض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة ، الأمم الإسلامية تنحدر علميا وسياسيا واجتماعيا إلى أحط الدركات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى إلى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى إلى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة .

ذهبت ريح المسلمين ، وتفلت من أيديهم زمام الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع ، وليسوا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغثاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد فى مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على إجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة ، وحاجة الحكومات والدول فى التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة إلى الاستدلال الصحيح الذى يطمئن إليه العقل ويقنع الخصم . المتحدث فى الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ، ولتلائم أحوال الامم وأحوال الأزمنة مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعى إلى سيرة السلف الصالح داع إلى مخالفة سيرة العلماء

المبرزين ، والداعى إلى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين والمنادى بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة ، وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الإسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها » ، قال : « عاش الشيخ فى هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء ، وأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للأمم كلها ، وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس إماماً يهتدون بهديه ، ويشفى أمراض المجتمع فى علمه وخلقه ونظامه ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة » ؟ .

إلى أن قال : « عاملان من أقوى العوامل وقفا فى طريق (الشيخ محمد عبده) عامل الحسد وعامل البيئة ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ فى صفاته وعلمه لا يحسد ، ولو أنه لم يحسد ، ولو أنه لم يرم بالكفر والضلال ، ولو أنه لم يشتد حساده ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ولما كان رجلا من رجال التاريخ » وقال : وسبب ثالث له خطره « وهو أن جهة ذات نفوذ أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومته ، وأن جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره فظن القوم أنه رجل يريد إفساد الدين وإفساد العلم » ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك أن عالما من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات فى جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ فى الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم فى الأزهر ، وكاد العناد يكون كفرا .

قال : « ترك بذور إصلاح التعليم الدينى ، وتعليم علوم العربية ، وبذور إصلاح القضاء الشرعى ، وبذور إصلاح المجتمع الإسلامى والأمم

الإسلامية ، وليس فى رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه فى تطبيق آى القرآن على سنن الاجتماع ، وفى تصوير هدى القرآن وفى فهم أغراض الدين عامة » .

وختم الكلام عنه بقوله « ودّعته ليلة سفرى إلى السودان لتولى قضاء مديرية دنقلة فى نوفمبر سنة ١٩٠٤ فما قال لى : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضيا . وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم ، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح » وداعبنى مرة أثر خروجى من امتحان شهادة العالمية قائلا : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له نعم ، وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع منى تعريفاً مفيداً : العلم هو ما ينفعك وينفع الناس ، ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : إذاً أنت لست بعالم فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً » .

هـــذا ما قاله الشيخ فى شيخه ، وما قال إلا الحق ، والغالب أنه تقبل نصيحته بقبول حسن ، وأزمع أن يكون من ذلك اليوم عالما كما يريد إمامه ينفع الناس بعلمه ، فجرى على هذه الخطة فى القضاء ، ثم فى مشيخة الأزهر ، وما انفك يدرس ويعظ ويكتب ويفسر القرآن ويدعو إلى الأخذ بالكتاب والسنة ، ويسهل على قاصديه وسامعيه فهم الشريعة السمحة ، ويطبق أحكامها على العصر أو يطبق أحكام العصر عليها ، واعترف مرة أننا لم نوجد جديداً نافعاً فى علم من العلوم حتى الآن ، وما أصدق ما قاله عنه صديقى الأستاذ الشيخ محمد شلتوت من كبار جماعة العلماء « إن الشيخ المراغى ماخرج بروحه وعلمه وعقله وتفكيره عن أن يكون تلميذ الأستاذ الإمام محمد عبده » .

وقال مرة « ولدى الأمة الإسلامية قضايا كثيرة معقدة : قضية الرجوع بالدين إلى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين ، وقضية التعليم الدينى على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب فى الحياة وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة ، وقضية حماية الدين من العدوان والدعوة إليه كما أمر الله بالحكمة ، وقضية نظام الأمم الإسلامية وارتباطها بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر ، وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين ، وتدبير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحياة وينتفع المجتمع بهم .

وهناك قضية هى أهم القضايا ، وهى مقومات الأمم الإسلامية التى يجب أن يحافظ عليها ويبنى المجد على أساسها ، وهى قضية دقيقة يثور من أجلها عن قصد أو غير قصد خلاف بين المتعلمين وغير المتعلمين والمتمدنين وغير المتمدنين ، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه ونظام التقاليد والعادات .

ولدى الأمم الإسلامية ماض يجرر أثواب الفخر والشرف فى كل ميادين الحياة : فى ميدان العلم ، وفى ميدان الفنون ، وفى ميدان السلطان والعز ، وميدان التشريع والقانون ، لكن بعض الناس يحاولون طمس أعلام هذا الماضى والتخلص منه والزراية عليه والحط من شأنه ويحاولون بناء مجد جديد على أرض بيضاء بحيث لا يكون بين الحاضر والماضى صلة » .

وليس أدعى إلى الدهشة ولا أبعث على اللوم من هذه المحاولات التى فيها حقوق الأبناء للآباء ونكران الجميل وإنكار التاريخ ، وفيها لؤم الطباع وسفه الجاهل وطيش المغرور .

وهل يستطيع عاقل أن ينكر أن لنا أسساً صحيحة قويمة من دين وعلم وتقاليد ومقومات من حقها أن نحافظ عليها وأن نعتبرها تراثاً عزيزاً لا يليق أن نبدده كما يفعل الوارث السفيه ؟ .

يحاول بعض الناس هذا مع الأمم التى ليس لها ماض، تحاول أن تخلق لها نسباً بماض مجيد. وبعض الأفراد الذين لهم ذكر نابه بأعمالهم وليس لهم نسب معروف بالمجد يحاولون أن يخلقوا لهم أنساباً معروفة بالمجد والشرف. ليحدثوا فى نفوس الأبناء شعوراً بعظمة من حقها أن يحافظ عليها » اه

وصف ماحمله القرآن من التعاليم، ورد دعوى بعضهم أن فيه علوم الأولين والآخرين بقوله: « إنه كلما حدثت فى العالم فكرة طريفة اجتهدوا فى تلمسها فى القرآن وفرحوا إن استطاعوا الاهتداء إلى إشارة بعيدة إليها، يفعلون هذه فى جميع النظريات المرتبطة بالكون وأسراره وقواعد الاجتماع والسياسة، ولكن من حقهم أن يفهموا أن المعارف البشرية غير مستقرة، وأنها تتغير ويتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها، وأنه ليس من الحكمة أن نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن الخير أن ندع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع ويهدم الوثنية ويجتثها من أصولها، ويرفع العقل البشرى إلى المستوى اللائق به، ويأخذ بيد الإنسان إلى المقام الأسمى اللائق بخلافته فى الأرض ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين، ويغرس فى نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة والرضا والشجاعة، ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار إليه من وجوب النظر فيما صنعه الله. خير لنا أن نفعل ذلك وندع العلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها ويحملون نتيجة خطئهم إذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها. قال: نعم إن فى الكتاب الكريم آيات لاتفهم حق الفهم إلا بمعارف فلكية وطبيعية، ولكن تلك لم تسق لتقرر تلك المعارف وإنما نزلت للهداية والعبرة. فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة، وإنما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الإنسان بربه

وعلاقة أفراد الناس بعضهم ببعض » .

أجمع أنصار السيد المراغي وخصومه على أنه كان من خير من تولى رياسة الأزهر، لصفات كثيرة اجتمعت له وقل أن تجتمع لغيره، ذلك لأنه كان يعرف ما هنا وما هنالك، ويعد من العلماء العارفين بأزمانهم معرفة ثاقبة.

كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه، وتفعل فى نفوسهم نبراته اللطيفة وإن كانوا ممن لا يوافقونه على آرائه كلها . تأدب بأدب الدنيا وأدب الدين، إذا عاشرته تتحقق أنه بلغ الغاية فى التهذيب الحديث مضافا إلى ما تحلت به نفسه من فضائل الإسلام، ولا تلبث أن تقول إن الشيخ يصلح لإمامة الدين كما يصلح لإمامة الدنيا، أى أن يكون شيخ الإسلام يدعو إلى عقيدة وإيمان، وأن يكون رئيس وزارة يعانى من أحداث الزمان مايعانى.

ولا نكون إلى الغلو إذا ادعينا أنه قل فى أمثاله من استجمعوا صفات العظمة الحقيقية. وله فى باب الأريحية أشياء عرفت عنه بالعرض تدل على صفاء روحه وفضل نجدته. كان يتصدق فى السر وهو ليس بغنى، ويأخذ العهد على من يعطيه أن يكتم ما وصل إليه منه.

ولقد انتخبه المجمع العلمى العربى عضوا مراسلا فيه فاعتذر بكثرة أشغاله قائلا : إنه استقال من المجمع اللغوى فى مصر للسبب ذاته.

أخذت الأعمال الادارية والسياسية والقضائية من وقت الشيخ الأكبر، فكان شأنه شأن أستاذه الشيخ محمد عبده لم يخلف مؤلفات كبيرة يودعها لباب علمه وزبدة تحقيقه، وما خطته يمينه دعت إلى تسطيره الدواعى، وقام به الأمور اقتضتها حالة عمله. وعنـــدى أن تقاريره ومذكراته ومقالاته كافية فى الحكم عليه فى تخليد اسمه إذا تيسر لها من يجمعها ويطبعها.

أهم ظاهرة بارزة فى أخلاق الأستاذ المراغى تجرده من المطامع التى قد يتلوث بها بعض أهل صناعته ، فما أتى مايشين سمعة العالم.. وعلى طول تقلبه فى درجات القضاء وآخرها رياسة المحكمة الشرعية العليا ما أحصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه ، وكانت أحكامه مثال العدل يتحدث المتحدثون بها لايصانع فى الحق ولا يداجى . وفى قضية الإرث الكبير الذى كان يقدر بملايين من الجنيهات وما أبداه الشيخ من المتانة فى إحقاق الحق مثال من تقواه ، حتى لقد قذف بماء الفضة فى عنقه يوم صدور الحكم وهو فى طريقه إلى المحكمة فى القاهرة ليتعذر عليه الحضور ، فأصر على الذهاب وأصدر حكمه ، ولو كان حب الدنيا مستحكما فيه أكثر من حب الدين لجوز لنفسه تناول مايغنيه من المال يدفعه المدعى راضيا ، ولكن شيخنا كان يحسب حساب يوم الحساب .

ولما استقال من قضاء الخرطوم وعاد إلى القاهرة أخذ يتبلغ بوظيفة مفتش مساجد فى الأوقاف ، وصلى الخديوى الجمعة فى مسجد من مساجدها فلاحظ على المفتش أن الإمام أعمى ، فأجاب أن الإمام وهو العلامة الدجوى من جماعة كبار العلماء استوفى شروط الإمامة ، والعمى لايمنعه من القيام بما يطلب منه ، فغضب عزيز مصر . ولما عرضت عليه حكومة السودان منصب قاضى القضاة اشترط أن يكون تعيينه بمرسوم خديو ، فقيل له : إن مشاهرتك ستزيد بضعة راتبك الحالى وأنت تشترط مثل هذا الشرط ، فكان له ما أراد . أما الخديو فرجع عن رأيه فى المراغى وأدرك أنه قوال للحق يهتم لدينه ولا يعبأ بالظواهر كثيرا .

ولما ثارت مصر وانتقلت أخبار الثورة إلى السودان كان قاضى قضاتها السيد المراغى فى مقدمة المتظاهرين ، فلم يسع حكومة ذاك القطر إلا أن تمنحه

إجازة طويلة ، فأضاع منصبه ليخدم وطنيته . وجرى فى مجلسه ذكر هلاك من لم يسلموا من الافرنج ، فأورد أسماء عظماء خدموا الإنسانية منهم وقال : إنهم ناجون ، لأن الدعوة إلى الإسلام لم تصلهم ونحن قصرنا فى هدايتهم ، فلو كنا عرضنا عليهم الدين وما استجابوا له ربما ساغ لنا أن نقول : إنهم هالكون .

ولما مر ملك انكلترا بسواكن ، وكان قاضى قضاة السودان ، استقبله مع الحاكم العام وصافحه كما يتصافح المتماثلون ، فقال بعض الإنكليز : كان يصح له أن ينحنى للملك كما انحنى المستقبلون ، قال : ليس فى ديننا سجود لغير الله .

وفى أيامه انقسم الأزهر قسمين بتأثيرات الحزبية ، فاضطر شيخه إلى أن يقف إلى جانب الفريق الذى اعتقده على الحق . فسبب له ذلك اضطرابات نفسية ماحمدت مغبتها على صحته . ولو سئل عن سلوكه هذا ماعدم حجة يبرىء بها نفسه من الونى المشهود فى إنهاض الأزهر على عهده الأخير . والداخل يعرف مالا يعرفه من وقف وقفة المتفرج فى الخارج .

المراغى كان على أوفر نصيب من العلم والعمل ، فهو شخصية نادرة بين أهل جيله رحمه الله رحمة واسعة .

فى رثاء ساكن الجنة الإمام المراغى (١)

للأستاذ عبد الله حمزه
المدرس بمعهـــد القاهرة

دهى عالم الإسلام خطب مروع ... فذابت قلوب واستهلت مدامع
بكت مصر من هول المصاب ووقعه ... وسودانها ، لا ، بل بكى الشرق أجمع
هوى علم الإسلام والدين والتقى ... وكانت له الدنيـــا جميعا تطلع
أمولاى إن الأزهر الشـامخ الذرى ... عزيز عليه أن يراك تشيع
وأنت الذى أنقـذته وانتشلته ... وأضحت يد الاصلاح تبنى وترفع
بنيت له فوق السماكين منزلا ... فصارت له الدنيا تحج وترجع
ولولاك لاندكت مبانيه كلهـــا ... وراحت يد الإفساد فى الهدم تسرع
مآذنه مالت عليك تأسفـــا ... وجدرانه كادت من الأرض تقلع
سيبكيك من والى ومن كان حانقا ... ومن كان مخدوعا ومن كان يطمع
أمولاى ان الخطب عز احتماله ... دهانا وما كنا له نتوقع
وتأويلك القرآن ما زال جرسه ... جديدا بآذان إليك تسمع
فن لكتاب الله يشرح آيه ... وبالسنة الغراء يقضى ويشرع
درست كتاب الله علما وحكمة ... وفى السنة الغراء كنت تضلع
أمولاى إن القوم ضلت حلومهم ... فهاموا بكرسى الإمام وأولعوا
وما فيهمو إلا ربيبك نعمـــة ... وعلما فأنت الغيث تسقى وتمرع
وليس الذى يسعى له المجد طائعا ... كمثل الذى يمشى له وهو يظلع

---

(١) أنشدت على منبر الأزهر يوم وفاته فى ١٤ رمضان سنة ١٣٦٤ ه .

عهدناك تعطى الناس فوق حقوقهم … وكنت لنا المعطى الذى ليس يمنع
سننظر والدنيا ستنظر مثلنا … الى خلف فيه إلى الخير منزع
فإن كان فلتهدأ قلوب جريحة … وإلا ففينا من يضر وينفع
بدار المواساة(١) انقضى العمر سيدى … وما حان فيها للمواساة مطمع
طلبت بها لو أنصف الدهر راحة … فديتك يامولاى إذ أنت موجع
تبارك ربى هل سوى الله خالد … وقد جاور الله الشفيع المشفع
هناك قصور الخلد أكمل راحة … بها الحور والولدان والفوز أجمع
ففى ذمة الرحمن يا خير مرشد … ويا خير من يولى الجميل ويصنع

---

(١) مستشفى المواساة بالأسكندرية .

المراغى المصلح نبوءة الامام محمد عبده[1]

للأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى
شيخ كلية اللغة العربية

فى يوم ١٢ يوليو من سنة ١٩٣٥ ، أقيمت حفلة ذكرى لوفاة المرحوم الامام الشيخ محمد عبده ، وكان من خطبائها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق .

فكان مما قاله :

« سأل الإمام الشيخ محمد عبده ، صحفيا عقب خروجه من الأزهر بأيام : هل رأيت ما تنشره جرائد خصومى من صور تمثل الأزهر بعد خروجى منه ؟ فأجاب الصحفى : كلا . فقال : هم يصورون الأزهر وقد تفتحت من بعدى أبوابه ومنافذه فخلص إليه الهواء ، وسرى فيه الضياء ، وانجابت عنه الظلماء ، وملأت رحابه ملائكة السماء ، كأنما يحسب أولئك القوم أن استقالتى من الأزهر محت كل أثر لى فيه ، ولقد أخطأوا ، فقد ألقيت فى الأزهر قبسا إن لم يشتعل الآن فإنه سيشتعل بعد عشرين أو ثلاثين عاما » قال الأستاذ الإمام تلك الكلمات بقوة لا تخلص من شوب الألم ولا أنسى ما حييت ما راعنى من مشهد قوته يوم أن احتفل الأزهر بتكريم الأستاذ المراغى فى المعرض الزراعى بأرض الجزيرة ، ذلك الاحتفال الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ الأزهر من يوم خلقه الله ، فقد خيل إلى أنى أرى ذلك القبس الذى ألقاه الشيخ محمد عبده فى الأزهر منذ ثلاثين عاما ، قد أخذ

---

(١) نشرت بجريدة المصرى فى إحدى ذكرياته .

يشتعل اشتعالا لينشر فى العالم نورا » .

نعم لو جاء المراغى فى جو صاف ووسط خال من غبـــار الجهالة وشوائب التخريف لكانت سرعة قفزاته تفوق سرعة الضوء ، لكنه بدأ إصلاحه والجو ما زال يشوبه كثير من عوائق الجمود على القديم والنفور من كل جديد مهما كان صالحا . فأثقلت تلك العوائق كاهله وبطأت من قوة سيره ، ذكر إمامه يوما حال العرب والمسلمين وماصاروا إليه . وهل يمكن أن يجمع شملهم ؟ فقال رحمه الله :

« ومع كل هذا فإنى لا أيأس ، فقد يلقى الإنسان فى البحر عودا فيؤلف جزيرة بما يجتمع حوله من الأعواد ، وأنا سألقى فى اليم هذا العود .

ولا يهمنى بعد أن تجتمع الجزيرة فى يومى أو يوم غيرى ، فلا يسود الشرق والإسلام إلا حين تتكر أنفسنا ونعرف الله وحده » وفعلا ألقى فى اليم أعوادا وأشجارا ، وتمكن من وضع الأسس وأرساها ، ثم دفع عجلة الإصلاح بقوة ، وها هى ذى سائرة إلى الأمام ، وإن أبطأت قليلا فإنها لن تقف أبدا ، وليس فى استطاعة مخلوق بعد اليوم أن يقف فى طريقها إن شاء الله .

رأى رحمه الله أن قد ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس . وارتفعت الأصوات بالشكوى . وبرز فى الميدان كثير من دعاة الإصلاح ، فمن موشك . ومن مبعد . وكل له أجر جهده ، وحمد بلائه ، برز رحمه الله فى الميدان ، وصاح صيحته المدوية . فحذر من جرائيم التكالب على المادة الجامحة . والانصياع للأطماع ، والشهوات الجامحة ، ووصف الدواء فى كلمة صغيرة كثيرا ما كان يرددها (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) تجمل فى الطلب ، وتعفف عما فى أيدى الناس ، ورضى بالحلال من الرزق ،

واعتصام بالحلم ، وتغليب للتأنى على الغرور والطيش ، وتفضيل للايثار على الأثرة ، وتطلع للمثل الأعلى من السعادة الدائمة التى لاتعدها شهور ولا تقطعها دهور ، وهذا ميدان فسيح يتسع جميع المتزاحمين ، فلا نفاق ولا تباغض . ولاحسد ولاتشاحن . جمع ـ رحمه الله ـ كل ذلك فى حكمته الخالدة حيث قال : (الحياة المادية ليس فى استطاعتها أن تسع الناس جميعهم ، لكن الحياة الروحية السعيدة تقدر على جمعهم) هذه هى روح الفقيد فى الإصلاح . وهذه هى اتجاهاته . لقد كان المراغى رجلا بكل ماتحمل هذه الكلمة من معان ، لا يعرف الدجل ، ولا الغش ولا الكذب ، ولا مجاملة الأقوياء لأنهم أقوياء .

كان المراغى مصلحا جريئا فى الإصلاح ، وكان قاضيا فذا فى القضاء . وكان مشرعا حكيما فى التشريع . خبيرا بروح الشرع ومراميه ، وكان أديبا ضليعا فى الأدب رفيع الديباجة ، وكان خبيرا بشئون الحياة محيطا بالتطورات العالمية نافذ البصيرة فى أسبابها ومسبباتها ، وكان عف اللسان لا تكاد تسمع منه الكلمة النابية . حليما لا يكاد يغضب إلا إذا شعر بأن أحدا يدنو من ساحة كرامته أوكرامة أزهره . فعند ذلك يكون الأسد الهصور . لكن بلا طيش ولا رعونة ، وكان خيرا رحيما مرهف الحس . دقيق الوجدان ، لكل هذا ستبقى فى الدنيا ذكراه ما بقى فيها رجولة وستبقى ما بقى فيها فقه وفهم فى الدين وستبقى ما بقى شرع ومشرعون وستبقى ما بقى أدب وحسن ديباجة وستبقى ما بقى خيرون رحماء ، فقد كان المراغى سجل عبقريات الك هذه النواحى .

عليه من الله رحمته ورضوانه ، وجزاه خير ماجازى العاملين المصلحين إنه سميع مجيب ؟

الامام المراغي[1]

للأستاذ محمد عرفه عضو جماعة كبار العلماء

أهكذا تزلزل الجبال الراسيات ، وتدك الحصون الشامخات ، وتبدله الأرض غير الأرض والسموات .

هذا الشيخ المراغي كان ملء الأسماع والقلوب ، وملء المشرق والمغرب .

لقد سكت ذلك الصوت الذى كان رفيعا ، وهوى ذلك الجبل الذى كان منيعا ، وذهب ذلك الإمام الذى كان بحرا مليء علما ، وقاموسا مليء حكمة وفهما ، وهكذا يقبض الله العلم لا ينتزعه انتزاعا من صدور الرجال ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ويرفع الحكمة برفع الحكماء .

كان الإمام المراغي رجلا ، والرجال قليل ، كان فيه كل فضائل الرجل ، فكان ينزل به من حوادث الدهر والرجال مايستطير الحليم ، ويهد الشم الرواسي ، فلا يهن ولا يضعف ، وكان يرى وسط العاصفه باسم الثغر ، واضح المحيا ، لم يزل عنه حلمه ، ولم تفارقه أناته .

كان الشيخ المراغي يترسم خطى الشيخ محمد عبده ويسير على طريقته فى الإصلاح ، وكان يحمل له من الإجلال والإكبار مالا يحمل مثله إلا العارفون بفضله ، المؤمنون بعلمه (وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه) .

كان الشيخ المراغي فقيها أصوليا تجد فيه المشرع الذى وعى حاجات عصره وأخذ يستنبط لها من الكتاب والسنة مايسد هذه الحاج ، لقد أثر فى الأسرة

---

(١) نشرت بالأهرام فى ١٨ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ ، الموافق ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

المصرية بالتشريع لها تأثيرا سيبقى له على مر الدهور .

فقد كانت الأسرة فى مصر فى مهب الرياح وملتقى السيول يقوضها الريح إذا هب ، ويذهب بها السيل إذا جرى ، وكان ذلك يفتح باب الطلاق على مصراعيه فحــد منه وضيقه بعض الضيق ، فصار بناء الأسرة أقوى بنيانا وأعظم تماسكا .

لقد كان يعين الشيخ المراغي على ما يريد من إصلاح شجاعة أدبية تجعله يقدم إذا هاب الرجال ، ويمضى إذا تأخر الأبطال ، ويصدع بما يرى ولو تشعبت فيه الظنون .

أيها الأستاذ الإمام : لقد كان الناس يستمعون إلى دروسك العلمية ، فما كانوا يستمعون إلى حديث ينشر ، وإنما يستمعون إلى بلابل تغرد ، وطيور تشدو .

أشهد لقد كان للفظك فى الأسماع رنة العيدان وإيقاع النغم ، ولقد كان أحلى فى القلوب من رنات الأوتار ، ومن أصوات المثالث والمثانى ، وما كان كلامك حروفا تلفظ ، بل كان دررا تنحدر ، ولآلىء تتساقط فتنتثر .

لقد سمعت الخطباء والمحدثين فما سمعت صوتا أحلى ولا أسلس من صوتك كان لا أجش ولا هزيما ، بل كان سهلا سائغا ، كالماء المنساب والنسيم الوانى .

لقد سمعتك ليلة ألقيت حديثك الأول بين يدى الملك من هذا الشهر ، فسمعت صوتك يتهدج وأصواتك وأنفاسك تتلاحق ، وأبصرتك بعد ماانتهيت من حديثك جئت إلى مجلسك عن يمين الملك ، تتوكأ على ابنك وما كنت تتوكأ عليه ، وإنما كنت تحمل عليه حملا ، فقلت هذا رجل يحتضر وبيده علم الجهاد ، ووالله ماتركت واجبك وفيك بقية ، وما تركت الجهاد لحظة وفى النفس ذماء .

حياك الله من متحامل على نفسه ، قلما استراح إلى الدعة وآثر المركب الوطىء ، فأنت الذى لايختار إلا ما يفرضه العزم ، ويوجبه الحزم ، حتى سقطت فى حومة الوغى .

اللهم إن كنت تعلم أنه لم يعش لنفسه وإنما عاش لدينك يرعاه ، ولمصر يخدمها ولهذه الأمة يرقيها فأمطر عليه شآبيب رحمتك واجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

الشيخ المراغى[1]

لفضيلة الشيخ منصور رجب
الأستاذ بكلية أصول الدين

فى مثل هذا اليوم من سنوات ست مضت انتقل الى جوار ربه راضياً مرضيا علم من أعلام الإسلام ، وإمام من أئمة الحكمة فى الشرق ، شيخ شيوخ الأزهر ، المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، أسكنه الله فسيح جناته ، وألبسه حلل الرضوان ، إنه سميع مجيب الدعاء .

كان رحمه الله يؤمن بأن قيمة الكرامة أغلى من قيمة الحياة ، ولقد تأثر بأستاذه الإمام الشيخ محمد عبده ، فلقد كان يقول : الإيمان الذى يجتمع معه أدنى خوف من المخلوقات ليس بإيمان . ومن كان عنده من الثقة بالله مالا يخشى معه أحداً فهو المؤمن . وهذا الإيمان هو الذى يضع رجل صاحبه فى عتبة الجنة ولا غرو ، فقد كان مؤسس المدرسة التى تخرج فيها الإثنان السيد جمال الدين الأفغانى يقول : لا يجتمع الذل والإسلام فى قلب واحد . وكان هذا الإيمان هو سر عظمة الأستاذ الإمام الشيخ المراغى كما كان سر عظمة الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغانى من قبل ، ولقد أشرقت نفسه بهذا الإيمان فجعلت له نوراً يفرض عليك أن تحترمه فرضاً ، لذلك كانت تهابه وتجله وتحترمه جميع الأوساط ، وأصدق وصف له عليه الرضوان سمعته من صديقه الحميم أستاذ الجيلين أحمد لطفى السيد وسمعته منه يوم شيعنا جنازة الشيخ قال : كان رحمه الله منسجماً فى كل شىء ،

---

(١) نشرت بالأخبار فى ١٧ يونية سنة ١٩٥١ م .

عقله يوازى علمه وجسمه وهندامه . والإمام المراغى . كان يؤمن كما يؤمن أستاذه الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين بأن إصلاح حال المسلمين لا يكون إلا بإصلاح حال الأزهر فهو معقل الدين ، وحصن اللغة ومنه ينبغى أن تخرج المثل العليا للناس ، أما أن يبقى من غير إصلاح فذلك بما يضر ولا ينفع ، فلما سلمت إليه مقاليد الأمور فيه وضع أساس القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ ووصل الثقافة الإسلامية بالثقافات الغربية بوساطة بعوث أرسلها من أبناء الأزهر إلى بعض جامعات أوروبا . ونرجو مخلصين أن يرضى الأزهر روح الإمام المراغى بأن يؤمن بقدسية العلم ، وبأن يقيس الأمور دائماً بمقياس الحق والعدل ، وأكبر عزاء لنا عن فقيدنا أن نرى أبناءه وأخوته على ما تحب روحك يا إمام أن تراهم عليه .

الامام المراغى فى يوم ذكراه[1]

للأستاذ على عبد الهادى

كان الإمام المراغى مثالا عاليا من الإنسانية والرجولة . بدأ بنفسه فحررها من كل مايشين الرجل الكامل أو يعاب عليه ، ثم حصن أعصابه بطاقة إيمان . هى قوة الدفع لتحقيق كل عمل عظيم . وكل دعوة جديدة وجريئة ، فهم السياسة على معناها الواسع . إنها خدمة عامة تستهدف تبصير القوى إذا ظلم . وتوجيه الحاكم إذا انحرف ، ثم الدعوة للحق ، حين يغترب ، وكذلك مارس الإمام المراغى السياسة ، فاشتغل بها ، وكان أنظف رجل دين . وأنظف رجل سياسة . يحترم الفكر ويقدر الرأى ويعفو عن كثير .

دفاعه عن الإسلام لايقدر عليه من بعده أحد ، ودعوته لترجمة القرآن تأكيدا لعالميته لم يجرؤ عليها أحد . حرر الفقه الإسلامى من أوشاب كثيرة أنزلها به الاستعمار ليخدم ذاته ويضمن وجوده فى جو دينى مفكك . وحياته فى الأزهر لا تملؤها جمهرة من العلماء ، فهو الذى أخرج الأزهر من العزلة الخالدة وجعله ينهض ويساير التطور برغم أنف القرون العشرة التى عاشها بين القاع والهامش نادى فى لندن يوم ٣ يوليو سنة ١٩٣٦ ، بتحقيق زمالة عالمية بين الشعوب ويومياته السياسية تعتبر مرجعا نظيفا للمؤرخين . ودعوته للوحدة الإسلامية صداها لايزال يملأ سمع الزمن .

وكان الإنجليز يحكمون بلادنا فهزهم بعنف . وثارت عليه صحافة بريطانيا

---

(١) نشرت فى أخبار اليوم فى إحدى ذكرياته .

خلال ثورة سنة ١٩١٩ وخلال الحرب العالمية الثانية. وقالت صحيفة التيمس فى ذلك الحين « أبعدوا هذا الرجل فإنه أخطر على بلادنا وحياتنا من ويلات الحرب » .

لم يستطع الاستعمار أن يتسلل إلى قلبه فيفسد له العقيدة ويقطع عليه طريق الكفاح . فكانت حياته مثل قامته فارعة مستقيمة ليس فيها ثغرة واحدة يتسلل منها خصم لمصلح .

إن الإمام المراغى طراز جديد من الخلق فهو صاحب عقل وقلب كلاهما وفى رشيد ، وهو صاحب القيم الرفيعة فى حياة اصطرعت فيها الماديات . وهو دائما الإنسان المهذب المؤمن . عرف كيف يكافح . وكيف ينتصر . وعرف كيف يدخل التاريخ النظيف من أوسع الأبواب .

فتحية صادقة وعاطرة فى يوم ذكراه؟

من المرأة المصرية[1]

إلى روح الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى

بقلم السيدة منيرة ثابت

أى أستاذنا الأكبر :

ما كنت أود فى هذا الشهر المبارك شهر أحاديثك القيمات التى كنت تفيض علينا فيها بدررك الغاليات .

ما كنت أود فى هـذه الفترة من تاريخ البشرية التى نحن أحوج فيها إليك من أى وقت آخر .

ما كنت أود فى هذه الساعات العصيبة أن أسمع الناعى ينعيك فى جميع أنحاء البلاد .

وما كنت أود أن أعيش إلى هـذا اليوم الحزين الذى أمسك فيه القلم ، لأرثيك أى أستاذى الأكبر وأحيي ذكراك .

أجل ، ما كنت أود أن أعيش هـــذا اليوم الذى حجب الظلام فيه سماء البلاد فقد شاءت أنانيتى الدنيوية أن تمنيت أن أبقى دائما مستظلة برعاية علمك وفضلك وإرشادك ، لأنك كنت أبا لنا جميعا ، وكنت رائدنا ، بل وقائدنا الدينى الذى نلجأ إليه فى الملمات ، بل وفى الصغيرات .

أى أستاذنا الأكبر .

أحقا قد هجرتنا إلى دار البقاء ؟ إنه لمصاب مفجع مفاجىء لم يك فى الحسبان ، وقد ارتجت له قلوبنا ، وجمد إزاءه تفكيرنا ، تعود الناس فى

---

(١) نشرت بالأهرام فى أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

مثل هذه المناسبات المفجعة أن يلتمسوا العزاء فى تذكر فضائل الراحلين ومحاسنهم ، ولكنى تعودت ـ كلما اشتد بى الحزن والألم على فقد عزيز كريم رحل ـ أن أتلمس العزاء فى البحث عن سيئة أو خطأ فى حياة الراحل العزيز لأخفف بذكرها من حزنى ولوعتى .

وهأنذه وقد مضى أيها الأستاذ الأكبر أسبوع على رحيلك إلى جنة الخلد وقد اشتد بى الحزن عليك ، هأنذه مازلت أبحث فى صفحة حياتك فلا أجد فيها إلا طيبات وحسنات ، وفضائل خالدات ، تتزاحم بعضها إثر بعض وتملأ صفحات حياتك العظيمة التى ختمها ، اليوم القدر ، إنها لصفحات مجيدة ستظل من بعدك مفتوحة ومبسوطة أمام أعيننا كأعظم ذكريات خالدات .

أى أستاذنا الأكبر !!

ليتنى ماسعدت بتلك الأحاديث وتلك التصريحات التى شرفتنى بها ، لقد كان هـــذا منذ ست سنوات مضت ، فلما كانت صبيحة يوم الأربعاء الماضى ولما أن نعاك الناعون فى المشرق والمغرب ، كنت أنا عاكفة على إعداد صفحات كتاب أهم بطبعه ، وكنت خلال ذلك أتصفح تصريحاتك وأحاديثك ، بل دررك الغالية كنت أراجعها ، وأعلق عليها تمهيدا لضمها إلى ذلك الكتاب باعتبارها من أقوى الأسانيد فى تشريع الإصلاح الدينى والنسوى والاجتماعى الذى أطالب به .

أى . . . والله فى هذه اللحظة التى كنت أراجع فيها أقوالك وآراءك والتى كنت أشعر فيها كأنى أجلس إليك وأستنير برأيك الناصح وأستمتع بالإصغاء إلى نصحك وإرشادك ، فى نفس هذه اللحظة التى غمرنى فيها بحر هذا الخيال الجميل ، نعتك إلى صحف الصباح ! فيا لقسوة الأقدار !!

أى أستاذنا الأكبر!

لست أريد هنا أن أتحدث إلى الأزهر وما ناله من رفعة شأن فى عهدك، ولا أريد أن أتحدث عن مركز مصر من الزعامة الدينية فى عهدك. فقد اعترف العالم أن موتك كان مصابا فادحا وخسارة جسيمة لمصر والشرق. وللعالم الإسلامى أجمع.

وإنما أريد هنا أن أسجل موقفك النبيل من المرأة المصرية، ومن الإصلاح الاجتماعى والنسوى، لأقرر أن لجمعية المرأة المصرية فيك لايجدى فيها العزاء، كان بين الأزهر والمرأة المصرية نزاع وخصومة استمرا عدة سنوات بسبب الحركة النسوية التى كنت أقودها، والمطالب التى كنت أنادى بها، هذه المطالب التى عدها رجال الدين ـ فى ذلك الوقت ـ متطرفة فحملوا على من أجلها حملة شعواء.

ثم جئت أنت أيها الأستاذ الأكبر، فاضطلعت بشئون الأزهر ورفعت من شأنه فسموت به إلى هذا المستوى الرفيع الذى نفخر به الآن ثم . . . . ثم فتحت أبوابه على مصراعيه للمرأة المصرية مرحبا بها مشجعا لها عاطفا على أمانيها.

فكان هـذا صلحا بين الأزهر والمرأة، أعقبه تحالف كان لك أيها الأستاذ الأكبر الفضل الأول والأخير فى وضعه وتوطيد دعائمه، وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٣٩.

أى أستاذنا الأكبر:

سأظل أذكر مدى الحياة تلك الساعات التى قضيتها فى مكتبك بالأزهر وكنت أستمع خلالها إلى آياتك البينات وأصغى فيها إليك ـ مرهفة السمع

والحس والفكر ـ وأسجل فيها أحاديثك وإرشاداتك فى شئون الإصلاح الاجتماعى والنسوى ، هذه الأحاديث التى خصصت بها المرأة المصرية فى شخصى الضعيف .

إن الدموع لتغمر محاجرى وتفيض منهـــا كلما تذكرت تلك الساعات التاريخية التى كنت أجلس فيها لأستمع إليك فتتحفنى بدررك ، هذه الساعات التى تم فيها التحالف بين الزعامة الدينية فى الشرق والحركة النسوية فى مصر .

لهذا كله كان رحيلك المبكر فى هذه الأوقات العصيبة نكبة كبيرة للمرأة المصرية ، كما كان خسارة فادحة للزعامة الدينية .

أى أستاذنا الأكبر :

نم مستريحا وليطب ثراك فقد أديت واجبك على أحسن وأكمل وجه نحو الله والوطن ، ولتستقر روحك الطاهرة فى جنة الخلد ، كما استقرت ذكراك العزيزة الخالدة فى أعماق القلوب .

وإنى باسم المرأة المصرية أعزى فيـــك مصر الخالدة والشرق والعالم الإسلامى أجمع .

ثم . . . ثم أحنى الرأس حزنا عليك وتحية لروحك وإجلالا لذكراك .

الشيخ المراغي[1]

للسيد . ر . ع السادات

كتب كثيرون في ذكرى الإمام المراغي ، فأشادوا بما فتح للأزهر من مسالك ، وما جدد فيه من مناهج ، واشترع من إصلاح . ولم يحاول كاتب أن ينفذ من وراء ذلك كله إلى حقيقة نراها من ألصق نزعات الإمام به ، وآثرها عنده ، وأحبها إليه ، وهي الحرية : الحرية التي تعتمد على الإيمان بأن (الله أكبر) . . أكبر من كل شيء ، وأكبر من كل قوة في الوجود ، والتي تجعله طليقا إلا من عبوديته المطلقة لربه .

نظر الإمام المراغي إلى الدين ، وكيف أنه مصدر الحرية للناس جميعا ، وكيف أنه طلب إلى كل منهم أن يجاهد للخير ، فليس للإنسان إلا ماسعى ، وكيف أنه أعاد بذلك للإنسان ثقته بنفسه ، وأضفى عليه الكرامة الإنسانية التي لاتكتمل الديمقراطية إلا بها .

كان الاسلام حربا على العبودية ، ورمزاً للحق والسلام في الأرض ، بل كان تطورا تاريخيا آمن به الناس ، ولم ينكره العالم فقد تعاقب الرسل والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وماكان تعاقبهم إلا تطورا جاء إثر تطور .

وهنا نخلص بحقيقة نستوحيها من تاريخ الإمام المراغي ، هي أن الحرية أساس الإصلاح ، وأن مردها الى الأديان لا إلى القوانين ، وأن

---

(١) نشرت بالأخبار سنة ١٩٥٢ .

خير ما ينادى به المصلحون ، هو المحافظة على الضوابط الانسانية ، التى هى مظاهر الأديان فينا . ثم إدخال الواجبات الاجتماعية فى هذه الضوابط لربطها بالعصر وحضارته .

لقد نجح الامام فيما جدد للأزهر من مناهج ، لأنه كان مؤمنا بالحرية فعرف كيف يستخدمها ولم يفقدها لقدرته على تسخيرها لخير الأزهر ، بل لخير الإسلام والمسلمين .

من الذاكرة(١)

محمد مصطفى المراغى

بقلم الأستاذ أحمد عبد المنعم البهى

اليوم تحتفل أسرة المغفور له المرحوم الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى بذكراه بدارها بحلوان .

ونحن أبناء المراغى وتلاميذه إذا ذكرناه ـ فى ذكراه وغير ذكراه ـ نذكر معه مما نذكر جانبا هاما فى حياة المسلمين ، ونذكر معه حتما تحولا ظاهرا ملموسا فى حياة الأزهر الشريف ، ونذكر معه بلاشك أثرا واضحا ذا قيمة فعالة فى حياة مصر الاجتماعية ، ونذكر معه رئيسا رحيما لم يكن كغيره من العلماء والرؤساء فى معاملة المرءوسين .

تفصيل ذلك كله أو بعضه أنه لما تولى مشيخة الأزهر للمرة الأولى فى سنة ١٩٢٨ لاحظ أن هناك جفوة وقطيعة أوما يشبه القطيعة بين أبناء البلاد الإسلامية وخاصة أهل العلم منهم بسبب الخلافات المذهبية وهذه الخلافات وإن كانت حدتها قد تلاشت إلا أن أثرها كان باقيا وهو الجفوة والقطيعة كما قلنا .

ووجد أن مهمته كشيخ للإسلام والمسلمين تقتضيه أن يزيل هذه القطيعة وأن يقرب ما بين أبناء المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكعادته فى حل المشاكل من أيسر الطرق وأقربها جعل سبيل التقارب بينها عن طريق ثقافة الإسلام نفسه لأن الأفكار إذا اتحدت تقابلت المبادىء وتلاقت الغايات

(١) نشرت بالمصرى

فسارع إلى تعديل مناهج الأزهر وأساليبه العتيقة ، ويسر سبيل الانتساب إليه أمام أبناء المسلمين من كل لون ومن كل جنس حتى أصبح عددهم يعد بالآلاف بعد أن كان يعد بالعشرات والمئات ، ومضى ينشر ثقافة الإسلام فيهم واضحة المعالم محددة الغايات والأهداف ، ويعين على استقدامهم للأزهر متى أمكن الاستقدام ويوفد من الأزهر مبعوثين عندما لا يتيسر الاستقدام ، وإلى جوار هذا كانت رسائله وكتبه بين زعماء المسلمين لا تنقطع واتصالاته بهم مستمرة ، وقد كان لهذا النهج أثره فى يقظة البلاد الإسلامية أو بعبارة أدق فى إيقاظ روح الشباب فى البلاد الإسلامية .

كان هذا العمل من المراغى جانبا هاما فى حياة المسلمين أنار أمامهم الطريق ويسرها لهم ، ورسم لهم سبيل العمل ، حسبى منه فى هذا الشأن أنه كان القدوة فى مقت العصبية والمتعصبين أما التحول الكبير فى حياة الأزهر فذلك الانتقال بهذه الجامعة العتيدة إلى حياة النور . وهو وإن كان بهذا العمل العظيم قد أرضى المجددين فإنه قد أغضب جمهرة كبيرة من شيوخ الأزهر ألفت القديم ودأبت عليه ، وقد قال فريق من هؤلاء إن المراغى (مَدْرَس الأزهر) وأن الأزهر أصبح يخرج موظفين لا علماء .

ونقل هذا الكلام إلى المراغى فى إحدى الجلسات ، الأمير محمد على وعقب عليه بأنه يرى هذا الرأى . وتكلم المراغى . . . تكلم فأوضح للأمير خطأ هذا القول وقال له : إن عالم الأزهر اليوم ، العالم الحديث الذى لا تسر له كما تقول ، يعتلى المنابر فيهزها ويكتب ويناقش إلى جوار كونه عالما تخصص فى نوع من العلم تفرغ له وأتقنه أيما إتقان ، وذكر أن أحد أعلام الأزهر القدامى وهو الشيخ الفيومى رحمه الله أرسل لأخيه جوابا فكتب فيه من ضمن ما كتب « وسلم على العمودين الفاضلين » وبعد مدة سافر الشيخ إلى بلده

واستقبله أخوه بالمحطة ، وفى طريقهما إلى البلد سأله أخوه عن هذه العبارة التى جاءت فى خطابه ولم يفهم لها معنى ، وتوقف الشيخ عن المسير ، وقال : ألم تفهم هذه العبارة ؟؟ .

— لم أفهمها ولم يفهمها كل من سألته فيها من أهل البلدة ممن تعلموا فى الأزهر من قبل .

وهنا ضرب الشيخ الفيومى كفا بكف وقال : ياضيعة العلم . . إن العمودين الفاضلين أبوك وأمك ، إنها استعارة تصريحية . . هكذا ضاع العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال الشيخ المراغى : إن مثل هذا لايحدث اليوم إطلاقا فشباب الأزهر يعرفون كيف يكتبون وكيف يخاطبون الناس .

ومن أبرز مظاهر هذا التحول فى الأزهر اعتداد الأزهريين بأنفسهم وثقتهم فيها ، فقد كان ينادى فيهم دائما أن احرصوا على كرامتكم وثقوا بأنفسكم ولا تجبنوا عن خوض معركة الحياة ، وفى الوقت نفسه لا أطلب منكم الاستعلاء على الناس وتصعير الخد لهم والاعتزاز بسلطان أو جاه لأن هذا مما لايرضاه الله ولا يقبله من مسلم ، فضلا عن رجل الدين .

ولقد كان يردد دائما « خير عندى أن يخرج الأزهر عالما قوى الخلق ضعيف المحصول العلمى من أن يخرج عالما حجة فى العلم لاخلق له » .

أما الأثر الذى تركه المراغى فى حياة مصر الاجتماعية فذلك جعل الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث طلقة واحدة رجعية ، وأيضا إباحة طلب الزوجة الطلاق للضرار ، وقد كان هذا من قبل محرما ، وقد جعل ذلك قانونا نافذا تأخذ منه المحاكم الشرعية وتحكم به .

وما كاد المراغي يعلن هذا المشروع قبل أن يصبح قانونا نافذا حتى هوجم من كل جانب ، ولكنه لم يضق صدرا بهذا الهجوم أو النقد الذى وجه إليه ، بل تفاءل به وكتب يقول :

« اغتبطنا لهذا الجدل الديني الاجتماعي سواء أكان فى مناصرة المشروع أم فى هدمه لولا مازعمه البعض من أن خلط الجدل بالسباب والخروج على أدب العلم والمناظرة يقوى حجة أو يهدم خصما ، وما لنا لا نغتبط بهذا وقد تستمر الحركة ويتجدد نشاط الفقه الاسلامى بعد ركوده فى المتون والشروح ، وتتجه إليه الأنظار وتتولد فكرة تهذيبه باختيار ماصح دليله وما قام البرهان على أن فيه مصلحة للناس من أقوال أئمة الهدى وفقهاء الاسلام ، وقد يقضى على تلك الفكرة الخاطئة فكرة وجوب تقليد الأئمة الأربعة دون سواهم ، سواء أوافقت مذاهبهم مصلحة المجتمع أم خالفتها ، وفكرة أن الدين الاسلامى عاجز عن سد حاجات الناس » .

أما كونه رئيسا لايلجأ إلى معاملة مرءوسيه بما فى يده من سلطان ، فذلك حديث طويل جدير بكل رئيس أن يجعل منه ناموسا وأسلوبا له فى معاملة من يتعاونون معه .

هاجم أحد أصحاب الفضيلة العلماء الشيخ المراغى فى مقال طويل ، وتوجهت فى اليوم التالى إلى الشيخ المراغى وقد هالنى أن وجدت أكثر من مسئول من رجال الازهر فى مكتبه وكلهم ثائرون على المقال وكاتبه يطالبون الشيخ باتخاذ إجراء ضده . . . أما المراغى نفسه فكان مسرورا بالمقال لأنه كان يعتز بحرية الرأى ويود أن يعتز بها كل أزهرى لأنها ألزم لرجل الدين من كل رجل ومن لايسمع للآخرين لا يحترم الناس رأيه .

كان للمراغى أبا رحيما ، وأخا وفيا لإخوانه العلماء ، وقد شاهدته يوما فى

مقام سيدى الدردير بالقرب من الجامع الأزهر يخلو إلى نفسه يتوجه بقلبه إلى الله ، بعيدا عن الناس ومن حوله من حاشية أو أتباع .

ودهشت إذ رأيته فراقبته حذرا عن بعد ، حتى قام فصلى فأطال الصلاة . ولما انتهى منها أخذ يقرأ كلام الله حتى وصل إلى قول الله تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ذرفت عيناه بالدموع . . . فأيقنت سلامة طوية الرجل وأدركت أن الرحمة والقسوة لا يجتمعان فى قلب إنسان ، كان أخوف ما يخافه المراغى عقاب موظف باقتطاع جزء من مرتبه لأنه كان لا يشك فى أن هذا رزق أولاده ، وحب النفع للناس كان إحدى سجاياه وخصاله رحمه الله رحمة واسعة وأفسح له فى جنانه .

المراغى الأديب

للأستاذ عبد الجواد رمضان المدرس بكلية اللغة العربية

لئن قيل عن الجاحظ : إنه شارك كل عالم فى علمه ، فهو مع الرواة رواية ، ومع الفلاسفة فيلسوف ، ومع المتكلمين متكلم ، ومع الكتاب كاتب ، ومع الشعراء شاعر ، ومع المؤرخين مؤرخ ، ومع المؤلفين مؤلف .

لقد كان الإمام المراغى من هـــذا الطراز ، فهو سياسى داهية مع الساسة ، وفقيه يكاد يبلغ درجة الاجتهاد مع الفقهاء ، ونحوى مع النحاة ، وأديب مع الأدباء ، يخطب ويكتب ويتحدث :

فكأن قسا فى الفصاحة يخطب
وابن المقفع فى اليتيمة يسهب
وكثير عزة يوم بين ينسب

أسلوب ساحر ، كأنما اتصل من كل نفس بسبب ، ونغمات هزازة ، كأنما وقعت على أوتار القلوب تنساب فى آفاق حالمة من الروحية الصوفية ، تطير بأفئدة السامعين كل مطار ، فلا تقع إلا على غنم من مغانم الحق أو الخـــير أو الجمال .

الإمام المراغى كان قوة من القوى الخارقة التى وصلت ما انقطع من أسباب الصـلة بين حاضر الإسلام وبين عصوره الذهبية التى لم يكن العلم فيها وقفاً على أمشاج من المؤلفات تبهرج وتصحح ثم يعاد فيها النظر فتشرح ثم يحتـاج الشرح إلى حاشية ثم تحتاج الحاشية إلى تقرير ويمضى بصفة العـالم أقدر أصحابه على اللف والدوران فى هذا المدار .

بل كان العلم يضرب فى مضاص الدين واللغة مما يدور فى محيط القرآن الكريم والسنة المطهرة من نواحى الإعجاز وطرق الاستنباط وما إلى ذلك فى استقصاء وتعمق واعتناق .

وكذلك كان المراغى فإذا حضر امتحاناً من الإمتحانات وأخذ العلماء يظهرون قدرتهم على فهم المتن والشرح والحاشية والتقرير ويذهبون فى ذلك كل مذهب فانه ينصب عليهم من عل وينقل الموضوع من دائرته الضيقة إلى أفقه الواسع فى العلم أو الفن الذى يمتحن فيه ، ثم إلى الأفق العام وهو صلته وموضعه من الدين أو اللغة .

وكذلك هو إذا عالج موضوعا عن طريق الخطابة أو الكتابة أو البحث فإنه دائماً يهدف إلى أسرار الشريعة أو مذاهب اللغة فيه .

بعده فى ذلك نفاذ فى البحث على مناهج العلماء واطلاع واسع على مناهج الأدباء ، وأسلوب مبين على مناهج الكتاب ، وشاهد حاضر على مناهج الحفاظ والمحدثين والمؤرخين .

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم فى واحد

وكان — رحمة الله عليه — يرتاح كثيراً فى أسماره وبحوثه إلى الاستشهاد بعيون الشعر والتمثل بها ويستحضرها فى المواضع التى تناسبها كأنه قد أعدها لها إعدادا قام مرة يخطب فأنشد :

ذهب الشباب فلا شباب جمانا   وكأن ما قد كان لم يك كانا

وطويت كفى ياجمان على العصا   وكفى جمان بطيهـا حدثانا

يا من لشيخ قد تخدد لحمه   أفنى ثلاث عمائم الوانا

سوداء حالكة وسحق مفوف   وأجد لوناً بعد ذلك هجانا

صحب الزمان على اختلاف فنونه   فأراه منه كراهة وهوانا

قصر الليالى خطوه فتدانى — وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتى بعد ذلك كله — وكأنما يعنى بذاك سوانا

وذكرت مرة عداوة الأقارب فى مجلسه فأنشد قول الحكمى :

وابن عم لا يكاشفنا — قد لبسناه على غمره
كمن الشنآن فيه لنا — ككمون النار فى حجره

وتكلم طبيب فى عملية (زرع الجراثيم) المعروفة فقال لقد سبق إلى ذلك الشاعر إذ يقول :

ودوانى بالتى كانت هى الداء .

وتمثل مرة فى موقف له معروف بقول حكيم الشعراء :

وفيت وقد جزيت بمثل فعلى — فهأنا لا أخون ولا أخان

أما بعد فرحم الله الإمام المراغى لقد كان أمة فى واحد . . . . .

ذكرى الامام المراغي (١)

للأستاذ عبـــد العزيز سيد موسى
واعظ القاهرة

فى منتصف ليلة الأربعاء يوم ١٤ من شهر رمضان سنة ١٣٦٤ للهجرة وافى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الأجل المحتوم الذى لا راد له وهو يستجم ويستشفى بمستشفى المواســـاه بالاسكندرية وهو على سرير المستشفى ، وبيده كتب التفسير يراجعها ليصوغ منها عباراته الرائعة الطيعة ، وكان :

إذا دعا القول أتى طائعاً   وإذا دعاه العى لم يسمع

كان بهذه القوة الفكرية يريد أن يشرح قول الله سبحانه وتعالى فى سورة القدر « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ويقوم بإلقاء هذا الشرح ... فى هذا الزمن وفى ذلك المكان وبين هذه المناسبات فاضت روحه الزكية الطاهرة ، ولحقت بربها وهى راضية مرضية ، وفى أثناء رحلتها من عالم الفنـــاء إلى عالم البقاء ناداها المنادى بذلك النداء الكريم .

« يا أيتهـا النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى

(١) نشرت بالاهرام فى أول أغسطس سنة ١٩٤٧ م .

عبادى وادخلى جنتى » .

وهو الجدير بذلك فإنه قضى حياته فى خدمة دينه ووطنه ووجه الناس إلى الدين الصحيح البعيد عن البدع الشائعة والعقائد الزائفة ، وكان يرد فى ذلك بإحسان متتابع وبر متواصل إلى الضعفاء والمحتاجين ، وكان يعتقد أن حب الوطن من الإيمان وأن رأس البر فى حبه وقلب الاحسان فى الاخلاص له ، وفى ذلك رضى الله عنه الذى بيده مقاليد الأمور :

له كل يوم فى رضى الله موقف   وفى ساحة الاحسان والبر موقف

قضى شطراً كبيراً من حياته فى خدمة القضاء ، طوراً فى جنوب الوادى ، وطوراً فى شماله الذى تطالب بوحدته الأمة أمام مجلس الأمن ونرجو أن نظفر بذلك مع الجلاء . فأعز القضاء ورفع من شأنه وتربع على قمته هنا وهناك بفضل جده ونشاطه ودأبه على العمل والاخلاص له ، وكان لا يمل الجد والنشاط وصار لسان حاله يقول :

إنى احتسبت شبابا بت أنفقه   وعزمة شابت الدنيا ولم تشب

وله فى حياته نواح متعددة لا يحصيها القلم إلا فى مجلد كبير ، وكان لزاماً على أصدقائه ومريديه أن يقوموا بذلك بعد وفاته ليقدموا للناس مثلا من المثل العليا التى يجب أن تحتذى ، وأرجو اللهآن يوفقهم إلى ذلك فى القريب العاجل إن شاء الله .

رحمة الله عليك أيها الأستاذ رحمة واسعة ، ونم فى رضوان الله هادئاً مطمئنا ، فذكراك لاتنسى ، وآثارك لاتبلى ، وسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

أذكروه(١)

للأستاذ أحمد العسكرى

قيل لابن رشيق : صف لنا أبا الطيب المتنبي . قال : مـــلأ الدنيا وشغل الناس .

والحق أن هذا الوصف الجامع ينطبق اليوم تمام الانطباق على فقيدنا الامام الأكبر المغفور له الشيخ المراغى ، فقد ملأ الدنيا بعلمه . . . ولم يكن علمه فيما ألف الناس من علماء العصر . . . وإنما كان يتوجه بعلمه إلى نظم الدولة ، وإلى نظام الأسرة ، إلى مشكلات العصر ومعضلاته التى تخلفت عن بعض التقاليـــد ، فالزواج العرفى كان مشكلة معقدة توارثتها العصور والأجيال ، وقيل فى إباحته إن الشارع لم يشترط فى الزواج إلا الايجاب والقبول على يدى شاهدين ، وقد نشأت عنه مآس مروعة فى ضياع النسب وتهدم البيت وفقدان التكافوء بين الزوجين وتطليق المسيحيين أمام المحاكم الشرعية كان مشكلة بل معضلة ، تخلفت عن بعض النظم القضائية العتيقة التى أباحت للمحاكم الشرعية أن تطلق المسيحيين على غير ما تبيح قواعد دينهم فى الوقت الذى تبيح للمجالس الملية أن تقرر نفقة الزوجية على الزوج ، أو أن تحكم على الزوجة بالطاعة ، فينشأ عن هذا أن المرأة تكون زوجة ومطلقة فى وقت واحد ، وطلاق السكران والمكره كان مشكلة ، وأشهد أنها كانت مشكلة من أعقد مشاكل العصر ، كان الرجل فى نشوة الخمر وفقدان العقل يطلق زوجته فى الحان ، أو فى الطريق العام خلال مناقشة بينه وبين

---

(١) نشرت بالأهرام فى يونيه سنة ١٩٥٢ م .

زميل سكير ، وكان طلاقه يقع بمجرد اللفظ ، وقد كان من أثر هذا أن المرأة تكون فى بيتها آمنة مطمئنة تؤدى واجبها نحو بيتها ونحو زوجها وأبنائها ثم تفجأ أنها طالق ، فإذا حارت فى تعليل هذا الطلاق الذى ليس له سبب ظاهر قيل لها إن زوجها قد شرب الخمر وهو يعلم أنها خمر ، ثم طلقها فى مناقشة عارضة . . . ! ! وكذلك الرجل المكره على الطلاق . . . الذى يطلق زوجته تحت تأثير التهديد بالقتل إن لم يطلق فآثر النجاة واختار الطلاق . . . وكان تعدد الطلاق مشكلة وأشهد أنها كانت مشكلة رسمية غامضة أيقع الطلاق مرة واحدة وإن تعدد لفظه ؟ أم يقع حسب لفظه ؟ إن الله قد أباح الطلاق مرتين ، ثم قيد الطلقة الثالثة بأنها مانعة من عودة الحياة الزوجية إلا أن تتزوج المرأة المطلقة زوجا آخر . وقد لبثت هذه المشاكل وأمثالها تتآزر على الأسرة والبيت حتى عُجزت الأسرة عن مسايرة الزمن فى مختلف نواحى التطور وحتى اضطر البيت اضطرارا إلى التخلف عن موكب الحضارة ، فلما جاء الأوان وظهر المصلح الإمام المراغى أتاح الله له أن يرفع عن كاهل الأسرة والبيت هذا العبء الثقيل ، فعمد بجرأته المنقطعة النظير إلى بطلان الزواج العرفى مهما كانت صوره وأوضاعه ، وإلى أن نترك المسيحيين وما يدينون به بحيث لا يصح للمحاكم الشرعية أن توقع بينهم الطلاق على النحو الذى لا يقره دينهم ، ثم عاد إلى مشكلة طلاق السكران والمكره فقضى عليها بالبطلان وتذرع بجرأته فلجأ إلى آراء بعض المجتهدين كابن القيم ، وابن تيمية ، أما مشكلة الطلاق بتعدد اللفظ فقد كانت نهضته الإصلاحية فى هذا الباب قائمة على أن الطلاق لا يقع إلا مرة واحدة وإن تعدد لفظا .

وإن الذين يحيون اليوم ذكرى الإمام المراغى يجب أن لا تغيب عن أذهانهم هذه الحقائق الثابتة فى قوانين الدولة ، ثم يجب أن يضيفوا إلى تاريخه

أنه أول شيخ من شيوخ المسلمين أقام الصلة بينهم وبين أهل الأديان الأخرى ، فقد كان من رأيه - رحمة الله عليه - أن التعاون الاجتماعي في هذا العصر يقضي على المصريين جميعا أن يكونوا في حلبة الواجبات متساويين ، وكذلك يقضي أن يكون العالم الإسلامي كله وحدة متماسكة الأطراف قائمة على أسس صالحة من العلم والمعرفة ، فعمد أول ما عمد إليه إلى أن يفهم المسلمون إخوانهم في مختلف بقاع الأرض ، وأن يتذوقوا أساليبهم في القول وفي الكتابة وفي انتهاج طرق البحث والدراسة والاستدلال ، وقد لا يتأتى هذا صحيحا إلا أن يقف الأزهريون على لهجات القوم ولغاتهم فأدخل في برامج التعليم اللغات الأجنبية وجعلها مادة أساسية من مواد الدراسة ، كي يتيح لهم أن يفهموا الحياة الصحيحة عند غيرهم فيأخذوا من محاسنها ما يقومون به أنفسهم والذين يفهمون الحياة عند الأزهريين منذ عشرين عاما هم وحدهم الذين يقدرون ما في هذا الإجراء من الخطر والأثر ومن الجرأة والوثوب في بناء مجتمع إسلامي صحيح ، إن الوثبة الإصلاحية الصارخة التي قام بها الإمام المراغي مدعمة بأسبابها وأسانيدها قد حولت أنظار الناس إلى الأزهر ، وجعلتهم يرقبون أن يكون الأزهريون على أثر هذه الوثبة في طليعة طوائف الأمة خلقا ودينا ورجولة وكرامة .

فعلى الذين يحيون ذكراه اليوم أن يعلموا أن الإمام قد مات ولا تزال آثاره حية نابضة ، بارك الله فيما غرس وزرع ، وجعل غرسه على الدوام مصدر نفع للأمة وينبوع خير وبركة إنه سميع مجيب الدعاء .

الشيخ المراغى (١)

للأستاذ أحمـــد العسكرى

وكانت طفرة رائعة مروعة حينما أعلن أن الشيخ المراغى قد خلف الشيخ أبا الفضل على مشيخة الأزهر ، لم يدرك الناس أثرها ولم يعرف أحد مداها إلا بعد أن استقال فجأة وأذيعت أسباب استقالته ، وكان الشيخ المراغى وقتئذ معروفا لدى الخاصة بأنه قاضى قضاة السودان ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، وكان بعض الخاصة يلم بشيء من خصاله فيتحدث عن جرأته واعتداده بكرامته وإيثاره المظلوم برعايته والظالم بغضبه وقساوته ، ومن أجل ذلك كان يتوقع الخير على يديه لهذا المعهد التاريخى العتيق ، ودهش الناس وراعهم أن يجيء شيخا على الأزهر من لا يزال فتيا قويا فى الخامسة والأربعين من عمره ، وكان المألوف فى ذلك الزمان أن يجيء شيخ الأزهر أو أن يختار من بين العلماء الذين عرفوا بالسكون المطلق والسكوت المطبق مع النفور من الدنيا وأعراضها والإقبال بخطوات سريعة إلى الآخرة والفناء . فجاء الشيخ المراغى على خلاف هذا ، فكان حدثا من الأحداث الإسلامية الجسام ! ! !

كان أول من استن سنة الاصطياف فى المدن الساحلية ، وكان أول من أعطى للمرأة حقها الصحيح فأباح لها أن تتعلم التعليم العصرى حتى فى الأزهر وكان أول شيخ للإسلام يتحدث فى الموسيقى وعن الموسيقى . وعن الأنغام والألحان ، كما يتحدث فى أعماق الفقه الإسلامى من حيث الأصول

---

(١) نشرت فى عدد ممتاز من أعداد الصيف لجريدة الأهرام من مقال بعنوان : آراء شيوخ الإسلام فى الاصطياف . ذكر منهم الشيخ الجيزاوى ، والشيخ المراغى ، والشيخ الظواهرى ، والشيخ عبد الرازق .

والأحكام ، وكان أول شيخ من شيوخ الإسلام أقام الدليل على أن العقل الأزهرى لايضيق بعلم أو يقف فى سبيله تعليم ، وإن ما نقل إلى اللغة العربية من علوم الفرس على يد ابن المقفع وأضرابه وما عرب من علوم اليونان فى عهد الرشيد والمنصور والمأمون وما كان عليه حال العلم والتعليم فى معاهد بغداد وقرطبة وسمرقند لدليل على تقدير الإسلام لحرية العلم وتأييده للتعليم ، وهو أول شيخ من شيوخ المسلمين قال : إن الإيمان يجب أن يكون عماده البرهان والحجة والنظر ، وقد خاف شيوخ الأزهر من أثر هذه الدعوة وخشوا أن يصل الأمر إلى إماطة اللثام عن الحقائق القائمة على أن العلم هو « البركات والدعوات الصالحات » فى المجالس ، وفى المحافل ، والأندية والبيوت ، فوضعوا فى طريق إصلاحه العراقيل . ورأى أمام ماجرى خلف الستار أن يستقيل إيثارا لكرامته .

وكانت استقالته مفاجأة سارة عند جماعة الشيوخ الذين يؤثرون السكون المطلق والسكوت المطبق ، ولكن المستنيرين من ذوى العقول الممتازة قد أسفوا أسفا عظيما وحز فى نفوسهم أن يروا الإمام المصلح قد تنحى أو نحى عن حلبة الاصلاح وعكف الامام فى داره بمدينة حلوان على مدارسة التفسير والحديث ومذاكرة آراء ابن القيم وابن تيمية وقلوب الأزهريين متوجهة إليه عالقة به تذكره فى إصلاحاته وفى وثباته وفى نهضاته الفكرية والعقلية ، ترتقب يوما قد يجىء فيه إلى الأزهر ليتم رسالة الاصلاح التى بدأها والفترة التى قضاها الامام المراغى فى مشيخته الأولى ليست إلا حلما ذهبيا جميلا فى تاريخ الأزهريين ، فقد انتقل بهم فجأة من طائفة أعدت أو تعد للاذكار والترتيل أو للامامة والخطابة فى المساجد أو لاقامة الحدود بين الناس فى نطاق ضيق محدود إلى جماعة تنصب نفسها قوامة على وظائف الدولة العامة وترى فى نفسها القدرة على

الكفاح الاجتماعى فى مختلف ضروبه ونواحيه ، وهو أول شيخ من شيوخ الأزهر عرف الأزهريون فى عهده طريق المنتديات والمحافل العامة ، وعرفوا كيف يتمتعون بأطيب ما أحل الله ، وكيف يأخذون طريقهم الى « المصايف » ليختلطوا بالمصطافين ، بل ليسبحوا بين طبقات الأمواج فى غير حرج ولا تعسف ، وكان الامام المراغى نسيج وحده فى ميدان الاصلاح الفكرى والعقلى ، كما كان نسيج وحده فى جرأته ورجولته وأشهد أنى حين كنت أحضر مجلسه لم ألحظ قط أنى فى مجلس شيخ أزهرى يتقيد فى أقواله بتعاليم خاصة ، وإنما كنت أشعر فى مجلس مصلح اجتماعى لا يعنيه إلا أن تعم دعوته وإلا أن تأخذ طريقها إلى القلوب . . . .

فلما عاد إلى مشيخة الأزهر مرة ثانية أثر ثورة جامحة طالبت بعودته أمكنه أن يجعل من عودته رسالة عامة تمثلت فى أن تجدد الأزهر فى بنائه كما تجددت مناهج العلم والدراسة فيه ، ولم يعد الأزهرى ذلك الشيخ الذى يعيش بين لحيته وعمامته يرى المرأة عدوة للمجتمع ، ويرى الحرمان وسيلة للمتعة فى الدار الآخرة ، بل صار لا يرى نفسه غريبا على مجامع العلم سواء فى مصر أو فى مختلف البلدان الأوروبية ، ويرى نفسه وقد اضطر بحكم إعداده العلمى إلى أن يخوض معركة الحياة فى مختلف ميادينها سواء كانت مدنية أو دينية . . .

رحم الله المراغى وأنزله منازل الأبرار والصالحين والشهداء .

ذكرى الامام المراغى[١]

للأستاذ محمود بكر هلال
المدرس بمدرسة سوهاج الأميرية

فى مثل هذا اليوم فقد العالم الإسلامى هذا العالم البليغ، وهو أشد مايكون حاجة إلى سداد رأيه، ورشاد هديه، وبالغ عظاته، وإن الرجل العظيم صفحة فى التاريخ جديدة، وخطوة فى سير البشرية سديدة، على حين لا يظفر التاريخ بجديد فى آلاف المواليد، ولا يخطو خطوة إلى الأمام فى كثير من الأعوام! ولئن ذهب المراغى وجاء أجله، وانقضى عمله، فهو تاريخ لا يمحى، وذكرى لا تموت!!.

ومن الذى لا يذكر الإمام المراغى كلما حل شهر رمضان؟ فلقد كان صوته العذب يجلجل على أمواج الأثير، يلقى الدروس البليغة، والكلمات الرفيعة. تفيض بالحكمة، وتزخر بالأدب وتنم عن أصالة الرأى، وتعبر عن جلال الإسلام.

ولقد كان لصوت المراغى جرس ساحر، ورنين فتان، يسمعه المؤمن فيطرب ويلامس القلوب فتهتز، ويهامس الأرواح فتلتذ، ويلابس الآذان فلا تتعب ولا تمل.

ولقد أحسنت محطة الإذاعة المصرية صنعا، حين قررت — فى يوم ذكرى المراغى — إذاعة آخر حديث ألقاه وأنها بهذا العمل الجليل تستحق من المسلمين جميعا الشكر والثناء، فليس أبلغ فى يوم الذكرى من بعث الراحل الكريم فى بعض آثاره، وبهذه المناسبة أتوجه إلى المشرفين على دار الاذاعة

---

(١) نشرت بالأهرام فى يونية سنة ١٩٥٠

المصرية أن ينتهزوا الفرصة كلما سنحت فيسجلوا أصوات العظماء من الساسة، والبلغاء من العلماء، والنبغاء من الأدباء والمبرزين من القراء حتى لا تضيع هذه الثروة الغالية فى طوايا الزمان، وزوايا النسيان!.

وإن أنس لا أنس يوما زرنا فيه الأستاذ المراغى — وكان فى عوامته بالزمالك — وكنا وفدا مختارا من كلية اللغة العربية، ذهبنا إليه فى أعقاب مرضه، لتهنئته بالسلامة من المرض ولنتحدث إليه فى بعض المطالب والشئون الأزهرية المختلفة، ورحم الله الرجل، فلقد والله بهرنا ـ ونحن الشباب المتوثب المتطلع ـ بغزارة علمه وبلاغة كلمه، وعذوبة حديثه وسعة اطلاعه فى مختلف العلوم والفنون والآداب، وعندما أثنينا على أدبه الجم وأبدينا إعجابا باطلاعه الغزير، قال فى تواضع العلماء أنا لست أديبا، لأننى تخرجت فى الأزهر وانتظمت فى سلك القضاء والتفتيش على المساجد، ثم فى مشيخة الأزهر، فليس لى من الوقت مالكم، ولم يتح لى من دراسة الأدب والبلاغة ماأتيح لكم، وأنا مدبر وأنتم مقبلون، وأنا شيخ وأنتم الشباب، والمستقبل لكم. فقلت له يامولانا: أنت أديب العلماء، وعالم الأدباء، وإمام الشرق، ولقد تمثلت الثقافة الشرقية والغربية، فكان مزاجهما الشيخ المراغى الحكيم البليغ الذى يسمو به الأزهر، ويفخر الشرق، ويعتز الإسلام.

فاتجه إلينا ـ رحمه الله ـ وأسدى النصح غاليا، وعلق الآمال على الشباب ورجالنا السداد فى الرأى والرشاد فى النهج والأمل فى المستقبل. وأوصانا بالخلق الفاضل، والقدوة الحسنة، وتمنى الرفعة للإسلام، والاستقلال للوطن، ثم ودعناه ونحن أشوق مانكون إلى حديثه البديع الخلاب وأدبه الرفيع الممتع، وأن صوته العذب المحبوب ليرن فى الآذان ويجول فى الأذهان...!

فله منا فى يوم ذكراه التحية الخالصة، وعليه من الله الرحمة والرضوان.

فى تأبين الإمام المراغى(١)

للأستاذ سليمان حسن الأغانى

المدرس بمعهد فؤاد الأول

وإذن قد مات المراغى ، فما كان يدور بخلد أن تحتشد هذه الوفود الغفيرة إلا فى أعظم الأحداث وأجل الأمور ! وما كان لتلك الجموع المتدفقة كالسيل المنهمر أن تمضى إلا إلى حفل يقام لألمعى كالشيخ المراغى .

إى وربى لقد قضى المراغى بعد حياة وضاءة حافلة بأنصع الذكريات ، وأروع التضحيات ، قضى بعد جهاد عنيف تجشم فيه المشاق والأوصاب ، وأسدى للإسلام والعروبة من الأيادى البيض ماجعله نسيج وحده ، وفريد عصره ، غرة فى جبين المجد والفخار وتاجا على هامة الخلود والادكار ، احتجب المراغى ، فخبا باحتجابه مصباح أضاء أفق العروبة زهاء نصف قرن من الزمان :

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

أجل إن الخطب لفادح وأن الكارثة لقاصمة أقضت المضاجع وقرحت المآقى ، وخلفت فى كل نفس حسرة ، وفى كل فؤاد لوعة ، وفى كل كبد قرحة ، وفى كل عين دمعة :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم ، فالراحلون هموا

فكيف لا تذوب القلوب ، وتتمزق النياط ، وقد كان بلسم المكلوم ، ومغيث الملزوم طاهر الخلق ، ميمون النقيبة ، فلا بدع أن تعظم فيه المصيبة .

---

(١) ألقيت فى حفلة تأبين الشيخ المراغى بمعهد أسيوط نوفمبر سنة ١٩٤٥ م .

رسالته

كان المراغي رائد الجيل الجديد يسدد آراءه ويقمع أهواءه ، أهل على الشرق العربي فأفاقه من غفوته ورأب صدعه ووحد صفوفه وأشاع فيه روحا جديدا من تعاليم الدين الخالدة ، ونواميسه الماجدة ، وعرض رسالة الإسلام فى آنق صورة ، وأبهى حلة ، وأوفد البعوث إلى أوروبا فأشرق الإسلام فى ربوعها ، وعبقت أزاهيره فى رياضها ، وشيدت المساجد والمعاهد الإسلامية فى رحابها وأشربت قلوب من أبنائها حب تعاليمه السمحة .

على أن المراغي قد يسر الكثير من مسائل الدين المعقدة ، ووضح الغامض منها ، وأبرزها متدثرة مطارف قشيبة ونعى على الغلاة والمتطرفين فى الدين ، وأثبت بالبرهان القاطع والمنطق الساطع ، أن الدين يسر لاتعقيد فيه ولا التواء ، ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه ، وأن الخلق سواسية إلا من له يد مواسية ، وقاوم البدع والضلالات ، وضيق الخناق على مفترقيها ، بكل ما يملك من حول وطول فى عصر طمح فيه بالأهواء الأشر ، وران على النفوس البطر .

نهوضه بالأزهر

أما مآثره على الأزهر فحدث عنها ولا حرج ، فنحن نعلم أن الأزهر لبث ردحا طويلا يرتكس فى الدياجير ، وتعصف به الأنواء والأعاصير ، ونحن نعلم أن الأزهر لقى من صرف الدهر ونكد الأيام ماأطاح ببهجته ، وأبلى جدته ، ونحن نعلم أيضا أن الأزهر تجهمت له نفوس ، واربدت له وجوه ، وعبثت به أيدى الإحن والأحقاد ، حتى صوح شبابه أوكاد وتخلف عن القافلة .

فلما تبوأ المراغى أريكته استطاع بما وهب من عزم وحزم أن يبعث فيه روحا قوية ، ويعيد إليه صولته ، ويجعل منه جامعة عظيمة يخفق لواؤها فى آفاق المجد والكرامة ، ويحيا أبناؤها حياة السؤدد والرفهنية ، والواقع الذى لاريب فيه أن المراغى حطم القيود والأغلال التى كانت تكبل الأزهر واكتسح من طريقه الأشواك وأتاح لبنيه أن ينالوا حقوقهم موفورة ويبرزوا فى الطليعة يحملون اللواء وينشدون العلياء .

سياسته وخلقه

ولا بدع إذا قلنا إن المراغى كان أستاذ الساسة غير منازع ، وزعيم القادة غير مدافع ، فآراؤه الحصيفة التى ظل يدعم بها صرح السياسة المصرية ، ويسدد بها أفكار الدول العربية ، كانت بمثابة الطل تخضل به الأزاهير الذابلة فتعود إليها بهجتها ونضرتها ، فكم قشع سحبا وبدد غياهب وحل عقدا ، لأنه كان ناضجا فى تفكيره حازما فى تدبيره ، لا يميط اللثام عن خاطر إلا إذا اختمر فى قرارة نفسه ، وهو بذلك يعرض لنا على معرض السياسة الرشيدة صورا خلابة لمواقف الأزهر الخالدة إبان كانت الآذان تصيخ لرأيه والنفوس تصدع بأمره ، والأفئدة تهتدى بهديه .

إبان كان الأزهر ينافح عن الوطن منافحة الأسد الرئبال عن أشباله ، ويذود عن العروبة والإسلام بألسنته وأعماله ، وقد كانت أحاديثه الدينية فى حضرة الملك قبسا من النور وهديا من التنزيل أضاءت شغاف النفوس ورغبت فى الدين ، وجعلته منهلا عذبا كثير الرواد .

فالناس على دين ملوكهم والعظة إذا كان مسديها صافى النفس نقى الفؤاد كالمراغى خرجت من القلب واستقرت فى القلب .

وكان إلى جانب ذلك على خلق عظيم ، وشمائل كريمة وسجايا حميدة ، قوى الإيمان ، جلدا على الشدائد يقيل العثرات وينجد فى الملمات جزيل الفضل ، سخى البذل ، سمح النفس ، عذب الروح ، كما قال الطائى :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ولكن كبرا ، أن يقال به كبر

والحق يعد المراغى معاوية القرن العشرين لو كان بينه و بين الناس شعرة ما انقطعت لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف .

ثقافته

تثقف المراغى ثقافة مخضرمة انتظم عقدها الدرر الغوالى من أدب الشرق والغرب ، فأضفى ذلك على ذهنه الصافى وقريحته الوقادة مطارف قشيبة من الثقافة الخصبة ، التى تجلت فى معارفه الجمة وأدبه الوارف ، وذكائه الحاد ، ترى فى فقهه أبا حنيفة النعمان ، وفى فلسفته جهابذة اليونان ، وفى لباقته ابن أبى سفيان ، وفى بلاغته قسا وسحبان ، وكان مع ذلك حلو الحديث ، بارع التصوير يشنف الآذان ، ويمتع الأذهان وتخلبك منه الحكمة الغالية وتبهرك درره الغالية كأنك فى مجلس لقمان أو فلاسفة اليونان .

من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا

ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

شجاعته

أما شجاعة الرأى فلعل المراغى أبو عذرها وابن بجدتها ، فقد عرفه القضاء أسدا هصورا وعهده الأزهر جريئا غيورا ، ولقد سمعناه أبان المأساة العالمية الأخيرة يرسلها كلمة خالدة ترتعد لها فرائص الطغيان ، وتصطك لها أسنان

العدوان ، يدوى بها أكناف الوجود ، ويردد صداها الخلود ، (ليس لنا فيها ناقة ولا جمل) أجل رأينا ناطقا جريئا ومفكرا أريبا فى آونة خفتت فيها الأصوات وكممت الأفواه وعقلت الألسنة وأجبلت الخواطر ، وأكدت الأذهان ، لأنه شجاع لايخشى فى الحق لامة لائم لايرهب قوة أو حماما :

مرحبا بالخطب يبلونى إذا كانت العلياء فيه السببا

ولهذا كان يعلن رأيه فى غير مواربة ولا مداورة ، لايبالى أرضى الناس أم سخطوا ، فالحق أبلج والباطل لجلج والأمر ، كما قال شوقى :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا إن الحياة عقيدة وجهاد

والعزم كما قال حافظ :

إنا جمعنا للجهاد صفوفنا سنموت أو نحيا ونحن كرام

والأمل المنشود كما قال البارودى :

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب

ولقد كانت الشمائل الماجدة من العوامل التى أضوته وطفرت به إلى الكهولة وهو فى ريعان الشباب :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

حقا إن المراغى كان كبير الهمة ، نبيل النفس ، غمر المروءة ، رابط الجأش ، عظيم الإباء شديد البأس :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

سباقا إلى المعالى والمواقف الخالدة :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ومن ذا الذى ينسى موقفه الرائع فى قضية السكاكينى ، وقد عجز الذهب النضار الذى سحر القرون وسخر من قارون أن يسخره أو يسخر منه ؟ .

مكانته

« المراغى » اسم تجلى فى جميع البقاع وملأ سائر الأفهام والأسماع ، فليس فى الحياة النابهة من يجهل ذلك العصامى الذى بنى مجده بيده ، ولم يعتمد على الحظوظ والمصادفات :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
وصيرته رجلا هماما

فقد عرف منذ صباه بالطموح إلى العلياء والتطلع إلى المجد والسناء :

ولو إنما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

متح من معين الثقافات والتجارب برشاء مديد ، فجاء عقلية ناضجة وعبقرية فذة ، فرت عن ذكاء وفتشت عن خبرة أجله الناس ، وقدروه حق قدره ؛ وعرفوا له منزلته الرفيعة وكرامته المنيعة ، سيان فى ذلك الحميم الودود ، والعدو اللدود ، وكذلك عاش المراغى عظيما ومات عظيما واحتفل به كريما .

وداع

فلا تثريب إذا زرفنا عليه الدمع الهتون ، واستنزفنا ماء الشئون ، واغرورقت العيون بالعبرات ، واختنقت الأنفاس بالزفرات ، فلقد فقدت فيه البلاد عبقرية فذة وعقلية ممتازة وأفل شهاب طالما تألق فى أفق مصر والعروبة وطويت صفحة ناصعة من صفحات الجهاد الخالد والتاريخ الماجد :

كأن بنى نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

فيالهف نفسى كيف عدت عليه السنون واهتصرت غصنه المنون ، والبلاد

أحوج ماتكون إلى سياسته الصائبة وآرائه الثاقبة :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم … وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

كل من عليها فان ، كل حى يموت ، وكل ذخيرة تفوت ، وكل حركة إلى خفوت :

إن الزمان الذى قد كان يضحكنا … أنسا بكم قد عاد يبكينا

أجل نبكى لأننا لم نعد نرى المراغى ، نبكيه فنبكى فيه النبل والفضل نبكى البر والحدب نبكى العلم والأدب ، نبكى فيه ماتجمل بكاؤه فى العظماء وقادة الفكر ، نبكيه كلما رحل عبقرى أوقضى عصامى :

وقال أتبكى كل قبر رأيته … لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا … فدعنى فهذا كله قبر مالك

وإذن قد مضى مأسوفا على شمائله الغر ، وعهوده الفاخرة وأيامه الزاهرة :

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة … غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

ثوى بالثرى من كان يحيا به الثرى … ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

أمن بعد طى الحادثات محمدا … يكون لأثواب الندى أبدا نشر

نعم مضى المراغى ، ولكن ذكراه العبقة ماثلة فى أذهاننا ، راسخة فى أفئدتنا ، يرتلها الملوان فرقانا وتنزيلا ، فاهنأ فى جدثك الطاهر أيها الإمام الخالد فى سويداء القلوب ، قرير العين ، ناعم البال ، ترفل فى مطارف النعيم بما قدمت من صالح الأعمال وجميل الفعال . تغمرك شآبيب الرحمة والرضوان وطوبى لك ما أنبل نفسك ، وأصفى قلبك ، وما أنقى كفك ، وأطهر سربالك ، وسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

عليك سلام الله وقفا فإننى … رأيت الكريم الحر ليس له عمر

الامام المراغى (١)

للأستاذ على عبد الهادى

شهيد دفع الحياة ثمنا للعقيدة

منذ عشرة أعوام احتبس فى قفص الأبدية عملاق مصرى كبير، امتص كل مافى تربة جيله من عناصر العزة والصلاح والقوة. وليس غير الإمام المراغى هو ذلك العملاق، عاش فى قلب الحياة العامة أربعين سنة، كانت مليئة دسمة، فنى السودان كان يعمل قاضيا للقضاة وثورة ١٩١٩ قائمة فى مصر، فأحل دماء الإنجليز ودعا إلى الثأر منهم، واستمر طول حياته عدوا لهم فى الميدان! .. قال عنه سيرلى ستاك حاكم السودان حينئذ: «إن الشيخ المراغى لا يمكن التغلب عليه أنه أحد الدهاة ... والواقع أنه كان وحدة قائمة بذاتها فى حيوات العبقرية، نبغ فى تأليف الرجال، وفى تحقيق القيم العليا ... انطلق بالدين إلى رحابه الأولى ... وفهم السياسة على معناها الواسع الصحيح، فكان الموجه الصالح للحياة العامة ... على يديه تحرر الإسلام من قيود التقليد، وتحرر الأزهر من سيطرة القصر ... شجع على الاجتهاد ودعا إلى ترجمة القرآن .. خلق جيلا من العلماء يؤمن بالشجاعة، ويحب الإيمان والعلم ... نادى بوحدة إسلامية تشمل الثقافة والآراء والمذاهب ... نبه لخطر الفوارق المذهبية فى الإسلام وواجه عاصفة التبشير التى زحفت على أهله ... واستجيبت محاولاته لإصلاح نظام الأسرة والوقف الأهلى والمحاكم الشرعية ....

---

(١) نشرت بالجمهورية فى إحدى ذكرياته فى رمضان سنة ١٣٧٥ هـ

كان يعتبر الكرامة قبل الحياة ، وكان جهاده العظيم إسهاما مباشرا فى تهيئة الناس لمبادىء الثورة البيضاء ، ولما تزل جنينا فى قلوب الأحرار . . . هذا العملاق الكبير ، لا يعلم الكثيرون أنه مات شهيدا ، وأنه دفع الحياة ثمنا للعقيدة . . . ذلك أن الملك السابق لما اعتزم الطلاق من زوجته الأولى أراد أن يحرم الزواج عليها من بعده ، وكان يعلم أنه ليس من السماء ولا على الأرض شريعة تحقق إرادته . . . لكنه يصر على ما يريد ! فتابعت رسله إلى الإمام المراغى يطلبون فتوى بذلك فلقوا جميعا منه قوة وعزما صلبا على حماية الشريعة من شر الفتون حتى . . . كان منتصف أغسطس ١٩٤٥ والإمام يعالج بمستشفى المواساة بالأسكندرية ، فسعى الملك السابق إليه بنفسه يطلب الفتوى ! . . وحينئذ امتلأت جنبات الغرفة بأصداء صيحة الإمام وهو يقول: « إن المراغى لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله . . » وأذهلت شجاعة الإمام وجرأته كل الحاضرين من رأس إلى ذيل . . . . وكان ما كان مما سيمحصه التاريخ .

إن حياة الإمام المراغى وما عمرت به من وطنية ، وغيرة على الناس والدين والحق لا يستطيع منصف واحد أبدا أن يبلورها على الورق . . الله وحده يكتبها . . .

الامام المراغى(١)

للأستاذ محمد عثمان

حوالى منتصف ليلة الأربعاء الرابع عشر من رمضان سنة أربع وستين وثلثمائة وألف من الهجرة الموافق (٢ من أغسطس سنة ١٩٤٥ م) اختار الله إلى جواره الكريم صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر . فكان لوفاته رنة حزن وأسى عميقة الأثر بعيدة المدى ، لافى مصر وحدها . بل فى العالم الإسلامى كله ، وكان الأزهر الشريف — من غير شك — هو أكثر الجهات شعورا بهذا المصاب ، وتأثرا له بما ترك فيه الفقيد من آثار النهضة والإصلاح ، ومن روح التوثب والطموح والعزة ، أو قل : من روح الحياة الكريمة التى تضيق هذه العجالة الخاطفة عن تفصيل بعضها ، بل عن مجرد الإشارة إليها على أن هذا ليس وقتها الآن ، وإنما مكانها صحائف التاريخ التى تكتب بعيدة عن المنافسات والأهواء والأغراض ، وتقضى قضاءها بالحق وعلى صراط مستقيم . وخير من هذا كله وأعز وأعلى مكانة عند الله تعالى حيث يكون الذكر الحسن والجزاء الأوفى (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) .

وقد كانت أولى الحفلات التى أقيمت لتأبين الأستاذ الأكبر ـ عليه رحمة الله ـ هى حفلة جمعية المحافظة على القرآن الكريم بحلوان ، وفيها قام فضيلة

---

(١) نشرت بمجلة نور الاسلام (مجلة الوعظ) فى شوال سنة ١٣٦٤ هـ وكانت قد ألقيت فى حفلة تأبينه بجمعية المحافظة على القرآن الكريم بحلوان .

الأستاذ الشيخ محمد عثمان المفتش بالوعظ بكلمة الوعظ والإرشاد التى نثبتها هنا ، وهذا نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد : فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم) صدق الله العظيم .

أيها السادة : فى كل يوم يعبر فريق من الناس صحراء الحياة ، ويجتاز ميدانها الفسيح فلا يشعر بهم الوجود ، ولا يتفجع عليهم العالم ، وماذاك إلا لأنهم لم يحدثوا أثرا يذكرون به ، أو محمدة تثير ذكراهم فى خاطر الزمن ان طاف به طائف النسيان ، ولكن فريق من الرجال يمتازون بخالد آثارهم ، وجليل أعمالهم ، لا تطيق الحياة فقدهم لأنهم يحدثون فيها أثراً عميقا ، وفراغا هائلا ، قلما توفق الأيام إلى وجود من عساهم يملأون هذا الفراغ أو يرأبون ذلك الصدع .

ونحن اليوم نلمس فى نفوسنا ونتعرف كنهه فى أعماق قلوبنا ، فليس فينا من لا يشعر بفراغ هائل فى نفسه أحدثه فقد أستاذنا الأكبر الراحل .

فلو أن الأحزان كانت تقاس بمقاييس الرجولة فيمن يصطفيهم الموت ويختارهم الله إلى جواره ، إذن لكانت أحزاننا ليلا ليس له صباح ، وخضما ليس له ساحل ، فان فقيدنا ـ رحمه الله ـ كان رجولة كاملة ، ومثلا أعلى للخلق الفاضل والمروءة العالية :

فلو كانت الموتى تباع اشتريته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعينىّ أو يمنى يدى وخلتنى ... أنا الغانم الجذلان حين يؤوب

أيها السادة : إنه ليشق على نفوسنا أن نؤبن الإمام المراغى فى حفل ينتظم الكثير من أصفيائه وأبنائه . فلو كان الحديث عنه ميسورا كأى عظيم فجعت فيه هذه الأمة لاكتفيت فى هذا المقام بذكر مناقبه ، بأسلوب خطابى فيه دموع ولوعة . وفيه تخيل ومغالاة ولكن وا أسفاه . !

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تصدعا

أحقا خفت ذلكم الصوت الهادىء العذب الذى كان يحرك شعور المسلمين من مراكش إلى أقصى اليابسة فى الشرق ؟ ؟ وقد كان ينطق لهم بالحكمة الخالدة والموعظة الحسنة ؟ أحقا لم تعد أعيننا ترى هذا القوام الفارع الجليل الذى كان يستشعر له القلب مهابة وإجلالا ، ويملأ النفس ثقة وآمالا ؟ أحقا قد انطبق جفناه على مثل شعاع الشمس ورمية السهم ؟ وقد كانتا تنقدان الناس نقد الصيرفى الحاذق ، فلا تخطىء لهما نظرة ، ولا يخيب لهما تقدير ؟ إذن فما أمر فجيعتنا فى هذا الخطب الجسيم لولا ما نتسلى به من أجر عظيم أعده الله للصابرين ، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أيها السادة : تقلد مشيخة الأزهر شيوخ كثيرون ذهبوا كما جاءوا كراما مشكورين ليس لهم فى الإصلاح لون خاص يكشف ما كان سائداً من ألوان الجمود والانزواء ، وعذرهم فى ذلك أن بعضهم لم تكن له تلك الشخصية الاجتماعية المؤثرة التى تلقى ضوءها على كل شىء وتستهوى إليها كل شىء ، أما البعض الآخر : فقد كان موقنا بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، وظل أمر الأزهر كما هو وانى الخطا ، محدود النشاط ، حتى هزته دعوة الزعيم الإسلامى

المجدد السيد جمال الدين الأفغانى طيب الله ثراه ، وأيقظته أمانى الإمام محمد عبده أثابه الله ، فاضطرب بين القديم والحديث حتى كادت خطاه تتعثر وأمره يختلف ، ثم أراد الله تعالى لهذه الجامعة الإسلامية الكبرى أن تستعيد مجدها وتجدد شبابها ، فولى أمرها فقيدنا الكريم فنفخ فيها من روحه القوى وبصرها بالصراط السوى .

وإن نظرة واحدة إلى ماقام به الأستاذ الأكبر ـ رحمة الله عليه ـ من صلاح وإصلاح فى الأزهر الشريف لتوحى إليك بسر تقديرنا العظيم لآثاره الجليلة فى هذه النهضة الصالحة الموفقة ، حتى أصبح العالم الأزهرى يعتد بمراغيته كما يعتد بأزهريته . ذلك لأن الإمام المراغى حفظ له كرامته كرجل يعيش فى مجتمع ، ورعى له مقامه ، ورفعه إلى حيث يجب أن يكون العالم الأزهرى ، كزعيم إسلامى ، وداعية إلى الله ، وقدوة للمسلمين . بيد أنا نشعر بنوع خاص ـ ونحن غرس يده الكريمة ـ بحافز قوى يحملنا على أن نرجع بحضراتكم إلى سنة ١٩٢٨ حينما أنشأ ـ رحمه الله ـ قسم الوعظ والإرشاد ، فقد أحس بالفجوة العميقة التى كانت تفصل الأزهر عن الأمة ، وتنأى به عن أن يتعرف أدواءها ويأسو جراحاتها ، فوصل ـ أثابه الله ـ ما قطعته يد الزمن ، وجعل من قسم الوعظ والإرشاد خير رسول يذكر هذه الأمة بمعهدها ويعيدها إلى كنف الأزهر وهدى القرآن ، وفى ذلك عظة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

وقد كان ذلك منه أشبه شىء بالسفارات الدولية التى تقوى الأواصر ، وتجدد العلاقات .

أيها السادة :

إن لأستاذنا الأكبر جوانب فسيحة من الفضل لا أستطيع فى مقامى هذا

أن أعرض لها عرض استيعاب أو إجمال . فهى أجل من أن يستوعبها القول مهما تنوعت طرقه ومراميه ، ولكن جانباً واحداً فيه أراه الآن جديراً بأن يذكر فيشكر ، لأنه من أخلاق النبوة الكريمة ، وليس لبشر منا عليه صبر ، ولا له به طاقة إلا من رحمه الله ، وقليل ماهم أولئك الذين حومت نفوسهم حول ذلك القدس الإلهى الكريم .

ذلك السمو الخلق الذى نشير إليه ونقصده هو خطاب الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بقوله جل ذكره : « ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

والحق أيها السادة أن فقيدنا العظيم كان يتخذ من هذه الآية الكريمة دستورا يعامل به المسيئين ، وكثيراً ما كان يلفته خلصاؤه إلى أنه يسرف على نفسه فى التمسك بهذا المبدإ مع جميع الناس .

فان النفوس ليست كلها كريمة طيبة يأسرها الاحسان فما يسمعون منه إلا قوله :

« أنا لست من صوام النهار ولا من قوام الليل ، فلا أقل من أن يكون هذا مدخرا الى عند ربى » .

(فيأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) .

رحم الله أستاذنا الامام وعوض المسلمين فى فقده خيراً ، وألهمنا وآله الصبر والسلوان ، وأنزله منازل الصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

والسلام عليكم ورحمة الله . . .

الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى (١)

للأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحيم جمعة
المراقب بالأزهر

ليس حديثى عن الشيخ المراغى حديث كاتب أو مؤرخ يتعرض لحياة الشيخ المراغى من جميع نواحيها من سياسية واجتماعية وأدبية وعلمية . فتلك نواح يتعرض لها المؤرخ العام لحياة العظماء ، وإنما هى شذرات وأحاديث خاصة يلم بها المؤرخ ، وقد تعطى صورة ما لبعض الخلال الكريمة التى كان عليها .

والحديث عن الشيخ المراغى كعالم ليس لمثلى أن يتحدث عنه ، وحسب القارىء أن يطلع على دروسه الدينية ، وعلى كتابه : ترجمة القرآن الكريم ، وعلى بحوث فى التشريع الإسلامى « مذكرة قانون الزواج والطلاق » حسبه ذلك ليرى عمق البحث ، فى جمال الأسلوب ، ودقة الاستنباط ، فى عبارات سهلة ، وحجج قوية .

ودروسه التى كان يلقيها بمسجد عابدين وهو يقرأ كتاب « التحرير فى الأصول » يحدثك عنها كبار الشيوخ الذين كانوا يحضرونها . يحدثونك عن الإعجاب به فى حسن عبارته ، وجمال إلقائه ، وجمعه لشتات ما تفرق من أبحاث وأقوال فى منطق سائغ ولفظ رصين . كذلك كان شأنه ـ رحمه الله ـ فى مجلسه يجلس الناس لديه معجبين بآرائه وأفكاره تحيطه العظمة وتعلوه المهابة

---

(١) رأى صاحب هذه الكلمة أن تنشر بهذا الأسلوب دون تنميق أو تنسيق لتمثل حوادثها تمثيلا صحيحا وليكون أثرها قويا واضحاً .

وهذه الناحية أتحدث عنها كثيراً فانها كانت من أبرز صفاته وأوضح خلاله وسيجد المتكلم فى هذه الناحية مجال القول ، ذا سعة . حدثنى صديق المرحوم الشيخ أحمد عثمان المحرزى ، وكان قاضياً شرعياً ، وقد زارنى بمكتبى فقلت له : من أين جئت ؟ فقال من عنــــد الشيخ المراغى فقلت له : كيف حاله ؟ فقال : حاله إيه الراجل عامل ملك مالى الحجرة عظمة وهيبة زى الأسد .

ولنذكر أشياء مما نسمعه ، وتتناقله الألسن عنه فى هذا المعنى .

١ — أول وظيفة شغلها الشيخ المراغى وظيفة مفتش للمساجد بوزارة الأوقاف ، وقد أراد الخديوى « عباس الثانى » أن يؤدى صلاة الجمعة فى مسجد من مساجد القاهرة ، وعز عليه حين أدى الصلاة أن يرى خطيب المسجد كفيفاً . فقيل للشيخ المراغى : أما كان يحسن أن تستدعى إماما مبصراً ؟ فقال : لا إذا كان الشارع يرتضى إمامته فلمَ أغيره ؟ ودارت الأيام دورتها وعين الشيخ المراغى قاضياً بالسودان ، وقد عرفت عنه اصطلاحاته فى القضاء الشرعى هناك .

وبعد زمن طلب الإنكليز تعيينه « قاضى قضاة السودان » فاشترط لذلك أن يكون تعيينه بدكريتو من خديوى مصر . فأبوا وألحوا عليه مرة أخرى وضاعفوا له المرتب فقال لهم : إننى عند شرطى ، وأخيراً قبل الإنكليز ذلك وعرض الأمر على الخديوى فتذكر الشيخ المراغى وقال : أهو الذى كان مفتشا بالمساجد فى الماضى ؟ فقالوا : نعم ، فقال لا (أنامعينش دا دا دماغه ناشف) فقال له ناظر النظار إذ ذاك رشدى باشا يامولانا هذا رجل رفع رأس مصر وأكسبها حقا لم يكن لها وليت لنا عددا مثل هذا . وذكر له ما كان منهم من عرض وما كان منه من إباء فقال : إذاً أعينه ، وعين قاضياً للقضاة .

حادثة إمام المسجد هذه حدثت والشيخ المراغى شاب لم يكتمل نموه تماما ولم يبلغ سن النضوج ، وهو فى مقتبل العمر ، وفجر الشباب ، إرادة تأبى الخضوع وعزة تأبى أن يوجه إليها لوم ولو كان من أكبر كبير :

وإذا رأيت من الهلال نموه   أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

ولما كان عليه الشيخ المراغى من عقل راجح وتفكير سام ، وقلب كبير وكفاية نادرة يلجأ إليها الساسة فى حل مشاكلهم كان يعرف لنفسه حقها وينزلها حيث أنزلها الله فلم يكن يهتم بكبار الدولة الذين يشعرون بقوة السلطان ، وعزة الحكم ، وكان يفهمهم أنهم دونه وأن العزة لأهل الدين :

عرفت له الأقوام كل فضيلة   وحوى المكارم سابقا لم يسبق

٢ — حدث أن ألقى درساً دينياً فى إبان الحرب سنة ١٩٤٢ وقال فى نهاية درسه : نسأل الله تعالى أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل . فأغضبت هذه الكلمة الإنكليز ، وأقامتهم هذه الكلمة وأقعدتهم ، واتصلوا برئيس الحكومة إذ ذاك ، واتصل رئيس الحكومة بالشيخ المراغى ، وكان مغضبا فخاطبه تليفونيا بقوله : « انت ياشيخ يامراغى مالك ومال السياسة انت راجل دين بس ليه بتخلق لنا مشاكل . فقال له الشيخ جرا إيه ؟ فقال له : انت قلت فى خطبتك « هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ليه بتقول كده وليه معرضتش خطبتك على ؟ فقال له الشيخ المراغى : مين قال لك إن رجل الدين ميعرفش فى السياسة ؟ اللى قال لك كده ميعرفش حاجة أبدا ، والشيخ المراغى هو الذى يعرف مدى كلامه ، وانت كنت عاوز أعرض عليك خطبتى ؟ هودا تصميم قنطرة والا كوبرى ، ويلاحظ أن رئيس الوزراء كان « مهندساً » وإن كنت انت متعرفش ترد عليهم أنا أعرف أرد عليهم انت فاهم إنك أحسن منى أنا أستطيع بخطبة واحدة فى الأزهر أو

فى الحسين أن أقيلك من منصبك .

٣ — حاولت بعض الحكومات الحزبية أن تحدث اضطرابا وشغبا تشويشاً على الشيخ لأنه لم يكن يخضع لها فأرسلت عدداً من غوغاء الطلبة الحزبيين ، فذهبوا إليه ليطالبوه بمطالب غير ممكنة ، فقالوا له : انت مشغول بسياسة الدولة ولم تعمل للأزهر شيئا . فقال : معملتش حاجة للأزهر ؟ : وأنشد :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

إننى عملت لكم كل شىء ، وعملت بصفتى محمد مصطفى المراغى لابوصفى شيخاً للأزهر ، وسيتحدث التاريخ بعد عن أعمالى ، وإنى أعلم أن أيديا تدفعكم ودوافع تسوقكم وإذاً فلست أصلح لكم ، وخرج مغضباً واعتكف عدة أشهر لم تقبل فيها استقالته ، ثم عاد بعدها ، وعادت الحكومة للضغط على الأزهريين والطلاب . وذهبت مظاهرة إلى الإدارة العامة مقر الشيخ وهتفوا ضد الحكومة ! فأطل الشيخ عليهم من البلكون وأخذ يخطب فيهم ويحضهم على التمسك بالصبر ، وجند الحكومة يقبضون على الكثير منهم ويضعونهم فى السيارات لإرسالهم إلى السجون ، ومما قاله لهم : (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

وهنا حضر لى أحد أبنائى ، وكان مفتونا بالشيخ معجبا به فقص على ماحدث ، وقال : إن كان هذا هو حال الشيخ المراغى يقذف بطلبته أمامه فى السيارات ، ولا يملك إلا التذكير بالصبر فاننى أغير رأيى فيه . فقلت له : صبرا وإن غداً لناظره قريب ، ولم يمض على ذلك يومان . حتى أقيلت الحكومة ، ومن بيت الشيخ المراغى بحلوان كان يشير بتعيين الوزارة الجديدة ، ويعين

الوزارة لكل وزير ، وهذه لعمرى مكانة لم ينلها كثير من علماء الدين من قبل .

وإذا تحدثت عن عظمته واعتزازه بكرامته أذكر القصة التالية :

٤ — ذكر لى حاجبه . قال : بعد أن كنا بتشريفة الملك فى يوم من أيام العيد قال : مر بنا على البرنس محمد على ولى العهد ، وفى الطريق للسراى بعد الباب الخارجى باب آخر له باب صغير يطأطىء الداخل فيه رأسه فسأل الشيخ : ألا يفتح هذا الباب ؟ فقيل لا يامولانا لا يفتح إلا لأفندينا فقال (مش لازم) وعاد ، ثم حصلت بعد اتصالات واعتذارات ، وطلب البرنس مقابلته وعندها فتح الباب و . . .

٥ — وذهبت مرة لأهنئه بالعيد فوجدت عنده الأمير محمد على حليم يجلس على يمينه وبعدقليل قام الأمير واقفاً ووقف أمامه وقال (يستأذن أنا) فوضع الشيخ يديه على ركبتيه ببطء وقال (طيب) وخرج معه حتى باب الصالة ثم رافقه أحد أبنائه إلى الباب .

٦ — ومن هذا القبيل حادث التشريفة ، وقد سمعته من الشيخ عبد الجليل عيسى ، ويتلخص فى أن أمراً ما اقتضى تغيير نظام حفلة وقضى بتأخير ترتيب العلماء عن مكانهم وأبدل بهم غيرهم من نواب الأمة وشيوخها ولما علم الشيخ المراغى به أشار بيده إلى رئيس الديوان أن يحضر إليه فقال له الشيخ إذا لم يتغير هذا النظام فانى لن أبقى . فذهب رئيس الديوان إلى الملك وأخبره بما حدث فقال الملك : أفهم الشيخ المراغى أنه مستعد لتغييره بعد هذه المرة وهو يثق بوعدى فقال الشيخ : حين أخبره أنى واثق بوعده ولكننى لا أستطيع البقاء إلا إذا عدل هذا النظام ، والحل سهل فمجلس الوزراء موجود فى الحضرة الملكية ، وكتب القرار فى المجلس بتعديل النظام وأعيد ترتيب العلماء كما كان .

وصدق الشاعر حيث يقول فيه :

نسبح وحدك إن خطب ألم بنا   من غير شكوى رآك الخطب فاعتذرا

٧ — وهل يجد البليغ مثلا من البيان الذى يكاد يقرب من درجة الإعجاز أوجز من هذا الأسلوب وأحكم حين حادثه الملك فاروق وقال له : أنا عاوز أطلق فريدة ، وعاوزك تكتب لى فتوى بتحريمها . فقال الشيخ : « أما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه » .

٨ — كانت مجالس الشيخ المراغى حافلة بالعظماء والكبراء يجتمعون فى داره فيأخذون عنه العلم الصافى والرأى السديد ، ومهما علت منزلتهم فانهم يجلسون فى مجلسه جلسة التلميذ لأستاذه والمتعلم من معلمه .

حضرت مجلساً له ضم بعض المستشارين والعلماء والأطباء ، وسأل الشيخ المراغى الطبيب عن شخص كان يعالجه . فقال الطبيب : إننا نعالجه بطريقة حديثة نأخذ منه الدم ونزرعه ثم نحقنه به . فقال الشيخ المراغى : هذا المعنى عبر عنه الشاعر أبو نواس حيث يقول :

وداونى بالتى كانت هى الداء

وذكر الطبيب مريضاً آخر وقال : إنه مريض بمرضين علاج أحدهما يضر الآخر . فقال الشيخ :

إذا استشفيت من داء بداء   فأقتل ما أعلك ما شفاك

والحديث عن الشيخ المراغى حديث واسع الأرجاء فسيح الجنبات متعدد النواحى :   ذكر طوى الأرض والأيام تنشره

٩ — أما حياته الإدارية وتصريفه للأمور فى سرعة وحزم فذلك شىء لا يجافى الواقع ، إذا قلنا إنه تفرد به وأن فراغه فيه لا يشغله شاغل . قال لى أحد المفتشين إننى عرضت عليه مرة (مذكرة) فى صفحتين فنظر فيها من

أعلى إلى أسفل نظرة خاطفة وما شككت أنه قرأ بعضها فاذا به يؤشر عليها إشارة كأنه أطال درسها وتمحيصها فعجبت وخرجت مبهوتاً .

١٠ — ولقد كان الشيخ المراغى رغم عظمته متواضعا حسن المعاملة فى كمال وظرف .

تكلم مرة فى التليفون وأنا موظف بالمكتبة الأزهرية ، وقال مين ؟ فقلت له : أحمد جمعة فقال : ياشيخ أحمد أنا عاوز كتب ممكن أمليها عليك ، وترسلها إلى ؟ فقلت : نعم ، وأخذ يملى على وأكتب ثم استعصى على سمعى معرفة كتاب فطلبت منه الإعادة مرة بعد مرة فلم أتبين صوته فقال : « ممكن تجىء عندى ؟ » ثم ذهبت اليه وأحضرت الكتب ، وجلست لديه أبحث معه عن المواضع المطلوبة ، ثم قال : يلزمنا أيضاً كتاب آخر ، وكان موعد الموظفين قد انتهى فقلت له : « بكره » مستفهما . فقال : وليه ميكنش الآن ؟ فقلت : انتهى موعد الموظفين ، وأخشى أن تكون المكتبة قد أقفلت أبوابها : فأخرج ساعته ونظر فيها وقال : طيب بكره . . . لو أن رئيساً صغيراً قيل له هذا لقال : كيف تقفل المكتبة قبل أن أنتهى من عملى ؟ ولكان له شأن آخر . فانظر إلى أى مدى كان احترامه للنظام والموظفين فى أدب وتقدير .

والشيخ المراغى رغم ما أفاض الله عليه من عظمة وهيبة ، جميل المحيا سمح النفس متواضع فى كمال واحتشام يشرك معه فى أحاديثه مستمعيه ويتبين رأيهم وناهيك بحديث المراغى حين تسمع إليه ، جمال فى الأسلوب ، وقوة فى الحجة ، ووضوح فى البيان . أما الثبات والرزانة فقل ماشئت .

١١ — سمعته مرة فى درس من الدروس الدينية « بالأزهر » فى حضرة الملك والعلماء والوزراء والشعب ، وحدث أن انقطع النور الكهربائى فجأة ،

ولكن صوت الشيخ المراغى لم ينقطع واستمر ينثر جواهره ودرره ، وقد كان ذلك سبباً فى استمرار النظام .

١٢ — أما الحديث عن الشيخ المراغى عن ناحية السخاء والكرم ، فقد جعله الله تعالى له طبعاً لاتكلف فيه ، وقد وصف أعرابى رجلا سخيا فقال : إنه ليعطى عطاء من يعلم أن الله مادته ، وكذلك كان الشيخ المراغى فما عرف عنه أنه رد طالبا ، أوخيب قاصدا ، وكان بيته مثابة لذوى الحاجات يجدون لديه مايفرج كربتهم ويخفف لوعتهم . أخبرنى مدير مكتبه أن متوسط مايخرج من جيبه يوميا بالإدارة من جنيهين إلى ثلاثة ، وحديث السخاء عن الشيخ المراغى حديث لايحد ولا يعد ففى كل مجلس تسمع عنه الكثير وإنه كما أشار إليه الأسمر فى شعره :

غيث أياديك فما يقول الأسمر ؟

وماذا يقول الناس عن رجل أعطاه الله جاهاً وعزا فاستعمل جاهه فى منفعة الناس وإسداء الخير إليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ؟ لقد كانت ترد إلى فضيلته تظلمات من بعض الموظفين يلتمسون فيهامساعدته لقضاء مآربهم فكان لايبخل بوساطته دون أن تكون له صلة بصاحب الشكوى ، وكان لكتابته إلى أى جهة غاية التقدير والعناية .

حدثنى أحد الخدم ـ وهو لايزال على قيد الحياة ـ أن الشيخ رحمه الله كان يحضر لجنة الفتوى فى الشهر مرتين ، فكنت أقدم له القهوة فكان فى كل مرة يضع فى الصينية ورقة من فئة الخمسين قرشاً .

كما حدثنى حاجبه أنه كان فى شهر رمضان يقف سيارته ليأخذ من بائع الفجل حزمتين أو أكثر ويعطى له ريالا ، وقد يكرر ذلك مع بائع ثان وثالث ـ

وسار مرة على شط النهر فرأى رجلا كبير السن يعزق أرضا وبها ذرة شامي فقال للخـــادم : خليه يجيب كام كوز وحـين أحضر عددا منها أعطاه ورقة من فئة الجنيه ، فقال الرجل : أنا معنـديش فـكة . فقال : هى لك .

رعيا لأيام الحمى ورعى الحمى   وسقت معاهده العهاد الروح

كل الموارد بعد زمزم حلوها   بفمى يمج وكل عـــذب يملح

ألا رحم الله الشيخ المراغى وأكرم مثواه جزاء ماقدم لدينه ووطنه من خير وإسعاد ، إنه سميع مجيب ؟

آخر حديث لى مع الأستاذ الأكبر[1]

للأستاذ مأمون الشناوى
وكيل الجامع الأزهر

فى الربع الأخير من الساعة الثانية بعد منتصف الليل شق سكون الليل صوت الناعى الحزين من فوق مئذنة الأزهر وردد فى نغمة باكية عبارة « فى ذمة الله شيخ الأزهر » .

ووجم السامعون ، وخيم على الحى كله سكون أشبه بسكون الموت ، ولم تمض على ذلك لحظات حتى اهتزت أسلاك البرق والتليفون تنقل هذا النبأ المشئوم إلى مختلف الأوساط والطبقات ، وتوافد العلماء إلى إدارة الأزهر . وكان الأستاذ الشيخ مأمون الشناوى وكيل الجامع الأزهر أكثر العلماء تأثراً إذ كان برفقة الفقيد حتى ساعة متأخرة من الليل ، وقد سألناه عن مقابلته الأخيرة للفقيد الكريم فأفضى إلينا بما يأتى :

صحبت فضيلته إلى سراى رأس التين لنستمع إلى حديث وزير الأوقاف حتى الساعة الحادية عشرة ، وقد تحدثنا فى شئون كثيرة وسألته : لعل صحتك تقدمت وستغادر المستشفى قريباً إن شاء الله . فصمت برهة وقال : أنا اليوم فى غاية الصحة والحمد لله ، وعسى أن أتمكن من السفر إلى القاهرة فى الأسبوع المقبل إن شاء الله ، وقد أشار على الطبيب بالبقاء فى المستشفى بضعة أيام لكى يتم استجمامى .

---

(١) نشر بمجلة الاثنين فى ١٩ رمضان سنة ١٣٦٤ الموافق ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

ثم دعانى مع صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية إلى زيارته فى المستشفى الحديث فى بعض مهام الأزهر ، وكان لايفتأ يذكر أبناءه الطلبة بالخير ، ويعرب عن شوقه إلى لقائهم فى العام الدراسى المقبل ، وغادر السراى قبلنا على أن نلحق به فى الخارج لمرافقته فى سيارته ، ولكن عائقاً أخرنا عن اللحاق به زهاء ثلث ساعة ، فاضطر رحمه الله إلى الذهاب بمفرده إلى المستشفى حيث لحقنا به هناك ، وظللنا نتحدث فى شئون الأزهر حتى الساعة الثانية عشرة ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى فوجئت بنعى الشيخ الأكبر من سراى عابدين .

فهزتنى المفاجأة وتذكرت فى غمرة الحزن والألم قوله تعالى : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون) .

اللحظات الأخيرة فى حياة فقيد الإسلام[1]

المغفور له الأستاذ الشيخ المراغى

علمنا أنه لما اشتدت العلة على فقيد الإسلام المغفور له الأستاذ الشيخ المراغى فى مستشفى فؤاد الأول (المواساة) بالإسكندرية على أثر وصوله إليه بعد أن ألقى درسه الدينى الأخير بين يدى جلالة الملك فى مسجد (تمراز) تحسنت حالته قليلا ، وتمكن من تناول بعض الفاكهة ، فاطمأن عليه الدكتور النقيب الذى كان يتولى علاجه وبقية الأطباء والممرضات وتركوه ليرتاح قليلا فى غرفته ، ولم تنقض فترة قصيرة على هذه الراحة حتى تبدلت الحالة وشعروا باشتداد الأزمة عليه اشتدادا خطيرا ينذر بوقوع الفاجعة فأسرعوا إلى استدعاء النقيب الذى أدركه قبل أن يلفظ النفس الأخير ، وأسرع إلى استعمال كل وسائل الاسعاف الطبية المعروفة لانقاذ حياته ، ولكن إرادة الله كانت فوق معجزة الطب والأطباء وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد بضع دقائق ، واختاره الله إلى جواره فى أبرك الشهور وهو يؤدى واجبه الدينى ويلقى دروسه الدينية على المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها بواسطة الاذاعة ، حيث كان يستمع إليها ملايين من المسلمين وكانت الصدمة قوية على الدكتور النقيب الذى لم يجد حيلة فى الطب إلا استعملها لإنقاذ المريض العظيم الذى كانت هذه النهاية العاجلة غير منتظرة له ، فأسرع إلى إبلاغ السراى الملكية هذا النبأ الفاجع ، وأسرع الملك بزيارة المستشفى على أثر وصول النبأ إليه . وكذلك أبلغ فى الحال إلى أسرة الفقيد التى كانت

---

(١) نشرت بمجلة الصباح

تصطاف برمل الاسكندرية . وأمر بإعداد ثلاث سيارات تحمل الفقيد وأسرته إلى منزله فى حلوان ، وكان القمر ساطعا والجو صافيا ، فسارت السيارات بجثمان الفقيد ومن معه ، فوصل الجميع إلى حلوان قبل شروق الشمس حيث استيقظت مدينة القاهرة على نداء باعة الصحف تنعى الفقيد وترثيه ، وتعدد فضائله ومناقبه ، وتثنى على علمه وفضله ونزاهته وتقواه وصلاحه وخدمته للأزهر والأزهريين ، وكان خبر نعيه قد وصل سائر أنحاء البلاد العربية بواسطة الشركات البرقية ، فصدرت صحفها تنعى هذا الامام الأكبر ، كما نعته المآذن والمساجد فى عواصم الشام ولبنان وشرق الأردن والحجاز وفلسطين والعراق ، ولاشك أن مسلمى الهند والأفغان والصين وغيرها من بلاد الشرق الأقصى الاسلامية شاركت مصر فى خطبها بوفاة هذا الشيخ الذى تولى الأزهر فى ظروف خاصة ، فكان قائدا حكيما ومرشدا موفقا عرف كيف يجتاز صعوبات وأزمات شائكة حول مركزه الدينى ، واكتسب الفقيد بحسن سياسته وكياسته محبة جميع المسلمين وإجلالهم واحترام ملوكهم وأمرائهم .

نماذج

من دروس الشيخ المراغى وخطبه وأحاديثه

درس فى التفسير (١)

بسم الله الرحمن الرحيم :

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين :

عندما وجد الانسان على الأرض كان يعيش عيشة البداوة ، لاهم له إلا أن يحفظ نفسه من عاديات الأنواع الأخرى ، ومن قوة الطبيعة ، ولا يفكر إلا كيف يعيش ، ليس لديه من المعلومات والمعارف مابه ينظر فى العلل والمعلولات وفى الحق والباطل ، وتدرج بعد ذلك فى التفكير ، وطرق النظر ، فوجد الاختلاف ، وهذا الاختلاف طبيعى فى نوع الانسان ، مثل اختلاف أمزجته فى الطعام والشراب وما يحب ويكره . وليس حاله كحال الملائكة خلقوا بطبعهم عارفين عابدين (لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ولا كجماعة النمل أو النحل ألهمت نوعا من النظام تسير عليه . وقد كان الله سبحانه قادرا على أن يخلق الانسان كما خلق الملائكة وكما خلق النمل يسير على نظام ملجىء يجعله متفقا فى الدين والعقيدة والرأى والعمل ، ولكنه لم يخلقه هكذا ، بل خلقه مختارا مريدا متمكنا ، وخلقه مفكرا

---

(١) ألقى فى مسجد عمرو بن العاص رضى الله عنه

مدبرا ، ووكله إلى قواه من عقل وإرادة واختيار بعد أن أرشده ونصب له الأدلة من الكون ، وأقام له البينات فى ألواح الوجود ، ثم أتم عليه النعمة ، وأكمل المنة ، وأرسل الرسل تترى ، وأنزل الكتب فيها الهدى ، وفيها الحق ، وفيها الرشاد ، وهذا كله من شأنه أن يوجد الاختلاف ، فالناس على هذا لايزالون مختلفين فى وجود الخالق ، وفى إرسال الرسل ، وفى طرق العلم ، ولا يزالون مختلفين فى الأديان ، بل وفى الدين الواحد ، منهم من يفسره على الحق ، ومنهم من يفسره على الباطل ، ومنهم من يغلو ، ومنهم من يفرط ، لا يستثنى من ذلك إلا طائفة أدركها الله بلطفه وأعانها ، فهديت إلى الدين الحق ورضيته ، وهديت إلى التفسير الحق ورضيته ، ودامت على الحق فى الرأى والخلق والعمل ، واعتصمت بحبل الله .

هذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) .

وقد قلت إن الاختلاف فى الرأى والعقيدة مثل الاختلاف فى الأمزجة لازم من لوازم خلق النوع الإنسانى على ما خلق عليه ، فهو صائر إلى الاختلاف لامحالة ، وكأن الله خلقه لهذا الاختلاف ، لذلك قال الله سبحانه : (ولذلك خلقهم) .

وقد قضى الله سبحانه بعد أن بين للإنسان طريق الخير وطريق الشر ، وأتم نعمته عليه من إقامة الأدلة فى السموات والأرض ، ومن إرسال الرسل مبشرين ومنذرين ، بعد أن وعد الطائعين بالرحمة والثواب والنعيم ، وأوعد العصاة بالنقمة والغضب والعذاب الأليم ـ أن يكون الناس والجن فريقين : فريق الطائعين ينعمون فى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وفريق الأشقياء يعذبون فى جهنم تلفح وجوههم النار ، وهذا القضاء هو كلمة الله التى

تمت ولا راد لها ، ولا معقب لكلمته ولا لحكمه .

وهذا معنى قوله سبحانه : (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) .

والمعنى : ونقص عليك يا محمد كل نوع من أنباء الرسل مما نثبت به فؤادك ونقويه ونجعله ثابتا كالجبال الراسيات ، لاتزعزعه الخطوب ، ولا تنال منه المحن والنوائب ، وهذه الأنواع هى الأخبار الخاصة بعلاقاتهم مع أممهم فى تبليغ الدعوة إلى الدين الحق ، ومحاجتهم بالأدلة القاطعة ، وما لقى الرسل من هذه الأمم من عناد وجحود وجدل بالباطل ، وما فعله الله بهذه الأمم من أهلاك العصاة وأنجاد الطائعين ، ولم يقص الله سبحانه من أنباء الرسل الأخبار الخاصة بهم ، والأخبار التى لا علاقة لها بالدعوة ، والتى لا تفيد عبرة وعظة وتنبيها ، ومثل هذه الأخبار الخاصة توجد فى غير القرآن .

هذه القصص تدل على ما لقى الرسل من العناد والجحود والإسراف فى العصيان والعدوان ، وتدل على أن الرسل مع هذا كله صبروا وثابروا ونجحوا فى الدعوة إلى الواحد المعبود ، وبلغوا المقصود ، فبهذا تقوى عزيمة النبى صلى الله عليه وسلم وتثبت ، ويحمله ذلك على الصبر والمثابرة ، وعلى تشمير ساعد الجد فى التبليغ واحتمال الأذى . وقد قال له فى آية أخرى « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » وهذه الأنباء قصت الأمور كما وقعت من غير تحريف ومن غير زيادة ، ففيها الحق ، واشتملت على كل ما دعا إليه الرسل من توحيد الله وأفراده بالعبودية ،

ومن إقامة العدل فى الأرض ، وإصلاح الجماعة البشرية ، ونفى البغى والفساد والطغيان . وهذا كله حق جاء فى هـذه الأخبار ، وفيها تخويف وموعظة ، وفيها تذكرة للمؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا .

« وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون »

أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار : اعملوا على مكانتكم ، أى على حالتكم التى أنتم عليها ، وعلى الطريقة التى أنتم عليها ، وإنى عامل على مكانتى وطريقتى وحالتى ، وانتظروا ما أنتم منتظرونه من فشل دعوتى وحبوطها ، ومن موتى قبل أن أتمم الدعوة وقبل أن يسيح الإسلام فى الأرض ، وقبل أن أظفر بهدم الأصنام وإزاحة الشرك ، وإنى منتظر ما وعدنى الله سبحانه به من تمكين الدين ، ومن الأمن والطمأنينة بعد الخوف ، ومنتظر أن أمحو الشرك ، وأكسر الأصنام ، وأطهر الأرض منها ومنتظر أن أعمرها بالتوحيد والإخلاص لله وفى هـذه الآية من القوة فى التثبيت ما يزيد على التثبيت الذى حصل للنبى صلى الله عليه وسلم من ذكر أخبار الأولين ، وفيها تهديد قوى للمشركين لاشك أنه أفعل فى فت عضدهم وكسر شوكتهم من كل تهديد .

(ولله غيب السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون) .

علم ما غاب فى السموات والأرض لله وحده ، وإذا كان يعلم ما خفى وغاب ، فهو يعلم ما ظهر وحضر ، وكيف لا يعلم كل ذرة فى السموات والأرض وهو الذى خلقها وقدرها وأرادها ؟ فعلمه محيط بكل كلى وكل

جزئي ، لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض ، لأن كل شيء فيها محتاج إلى مدد الوجود منه فى كل لحظة ، ولو أنه انقطع عنه الفيض مابقى . فقدرته شاملة كما أن علمه شامل : لذلك من حقه وحده أن يعبد ، ومن حقه وحده أن يتوكل عليه ، فإنه لايستطيع أحد غيره أن يضر أو ينفع ، وهو غير غافل عن أعمال عباده بل محيط بها ويعلمها .

وهذه الخاتمة من أجل خواتم السور ، وصف الله سبحانه نفسه فيها بأكمل الصفات الثبوتية ، وهى العلم الشامل ، والقدرة الكاملة ، وهما منبع الخير والنعمة على العالم ، وبهما يتجلى جلال الحق وجماله . وقد جاءت آيات الأنعام مفصلة لهاتين الصفتين أكمل تفصيل : « وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ، ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلافى كتاب مبين . وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين . قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون . قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » .

الإنسان فى حاجة إلى معرفة الله ، ومعرفة الله بحقيقته وكنهه غير ميسورة ، فهو إنما يعرف بصفاته ، ومن أجل صفاته صفتا العلم والقدرة ، وكما أنه فى حاجة إلى تكميل نفسه بالمعارف فهو فى حاجة إلى تطهيرها من الأدران ،

وإلى وصلها بعالم القدس ، وذلك يكون بالعبادات البدنية ، وبالعبادات الروحية وأفضل العبادات البدنية بالحركات الصلاة ، وبالسكون الصوم ، وأنفع البر الصدقة . والعبادة الروحية تأمل وفكر فى عجائب الصنع وتدبر فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا تكون العبادة خالصة إلا بأفراده وحده بالتوجه والقصد وطرح كل ما فى الوجود من المخلوقات ، وذلك هو الإخلاص فى العبادة المطلوب بقوله سبحانه : « إياك نعبد »

وإخلاص العبادة لله ، وهو ثمرة التوحيد ينتج ثمرة أخرى فى الأعمال هى التوكل على الله سبحانه ، وهو المطلوب بقوله : « وإياك نستعين »

ومعنى « توكل عليه » جعله وكيلا فإنك إن جعلته وكيلا وجدت إلى الخير سبيلا ، والله يقول « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أى كافيه ومراعيه ، وقال « ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم » والعزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بحماه ، الحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره .

والتوكل ثمرة من ثمرات الايمان ، وثمرات التوحيد ، فإذا اعتقد شخص أنه الواحد القهار الفعال لما يريد ، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأنه الحكيم العليم ، انصرفت نفسه عن الأغيار ، واتجه بكليته إلى الواحد القهار ، وأيقن أنه الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، وأنه الذى ينزل الغيث وينبت الزرع ، وبيده مقاليد كل شىء ، والوكالة تستدعى الثقة بالوكيل والطمأنينة إليه ، واعتقاد القدرة فيه وعدم التقصير .

وله درجات تتبع قوة الإيمان والمراقبة ، فمن الناس من يكون حالة كحالة الصبى مع أمه لا يعرف غيرها ، ولا يفزع ولا يدعو ولا يتضرع اعتقادا

منه بأن الله يطلبه وإن لم يطلبه ، ويفتح عليه أبواب الخير وإن لم يحرك مغاليقها ، وهو مقام يسكت فيه المؤمن عن الدعاء ، ويصرف النظر عن الأسباب .

وليس التوكل منافيا للأسباب جميعها ، فإن ترك الأسباب جميعها نقض للشريعة وترك للسنة ، والذى لا يحرث الأرض لا تنبت أرضه زرعا ، والذى لا يسقيها لا تنبت له زرعا ، فالأسباب والسنن التى ربط الله بها مسبباتها لا يجوز إغفالها ، والتمسك بها لا ينقض الوكالة ، فإن الموكل يقدم البينات والحجج للوكيل ، وهى أسباب ، وذلك غير مناف للثقة به والطمأنينة إليه ، والله يقول « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » والطير تتوكل على الله ، وهى تغدو خماصا وتروح بطانا ، وتلك أسباب سنها الله . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا) .

لكن الذى ينافى التوكل هو الاعتماد على الأسباب الموهومة ، أو الاعتماد على الأسباب الطبيعية مع ترك الاعتماد على الله .

والعبادة هى التى تذكر المعبود وتثمر التوكل ، لذلك ذكرت العبادة قبل التوكل ، وكانا معا ثمرة الاعتقاد بأن لله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله .

وعلى كل حال فالمطلوب من المؤمن أن يعتقد أنه لا أحـــد من الخلق يضر وينفع إلا بإذن الله ، وأن يكون حاله دائما حال المطمئن الواثق بالله الذى لا يدعو أحدا غيره فى جلب الخير ودفع السوء ، وألا يتمسك إلا بالأسباب التى سنها الله ، وليس منها اتخاذ الواسطة بين العبد والرب ، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد .

حديث له فى ذكرى الشيخ محمد عبده

احتفلت الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية فى يوم الجمعة ١١ يوليو بالذكرى السادسة والثلاثين لوفاة المغفور له الإمام الشيخ محمد عبده ، وقد ساهم فى إحياء هذه الذكرى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر بهذه الكلمة الجليلة .

عبد من عبـــاد الله الذين اختصهم بمزيد فضله ، ومنحهم من صفات الإنسانية الفاضلة ما امتازوا به عن أقرانهم فى عصرهم وأمثالهم فى عصور أخرى وأشرفوا على الناس يألمون لما عليه الناس من انحطاط علمى وخلقى وأدبى . ويحاولون تبديل أمم أخرى بهم ، ورجل ممن رزقوا لذة المعرفة وأفيض عليهم نور العلم الإلهى ففهموا أسرار الدين ، وعرفوا السعادة الحقة على وجهها . منحه الله قوة فى الجسم والحواس وبسطة فى العلم وعقلا قوياً نفاذاً وفطرة سليمة وإلهاماً صادقاً وشجاعة فى الحق ، وازدراء للباطل وقلباً رحيما بالضعفاء والفقراء ، وحباً للبذل والإحسان .

نشأ الشيخ فى عصر من العصور القاتمة كل شىء فيه ممض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة . الأمم الإسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً إلى أحط الدركات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ، والدين فهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى إلى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى إلى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة ، ذهب ريح المسلمين وتفلت من أيديهم ذمام الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع وليسوا قلة بين الأمم ولكنهم كغثاء السيل .

ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها من منابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولهـــا من لغات العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد فى مختصرات رضيها ذلك العصر لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدة على النظم والنثر والكتابة والخطابة وعلى فهم القرآن الكريم وفق الأساليب العربيـــة ، ولا الفقه بساد حاجة المجتمع وحاجة الحكومات والدول فى التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة إلى الاستدلال الصحيح الذى يطمئن إليه العقل ويقنع الخصم . المتحدث فى الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ولتلائم أحوال الأمم وأحوال الأزمنة مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون . والداعى إلى سيرة السلف الصالح داع إلى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعى إلى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين من المتأخرين .

والمنادى بأن كتب الفقه ، وكتب التفسير ، وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الاسرائيليات مخالفة لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها .

عاش الشيخ فى هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم يؤمن بالقرآن ، ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء وأن شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها يؤمن بهذه الدراسة الدينية والعربية ، تخرج للناس إماماً يهتدون بهديه ، ويشفى أمراض المجتمع فى علمه وخلقه ونظامه ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة .

عاش الشيخ فى هذه البيئة يلتمس الوسيلة وتطلب نفسه مخرجاً منهـــا وتتطلع إلى رجل يشفى منها صـــدره ، ويزيل قلق نفسه ويشد أزره ،

ويبصره بالدين وبالحياة وينضم رأيه إلى رأيه فى أن هذا الذى يدرسه من الكتب ليس موصلا إلى العلم الصحيح بل هو مبعد عنه وهذا الذى يتعارفه الناس فى طرق الدراسة ليست هى طرق الدراسة الصحيحة النافعة .

مر بهذا الطور ثم أعطاه الله ما كانت تصبو إليه نفسه فهبط إلى مصر جمـــال الدين الأفغانى وهو رجل ثائر على النظم الموجودة جميعها ، نظم الدراسة ، ونظم الحكومات ، خبير بأحوال الدنيا وأحوال الأمم ، عليم بأدوار التاريخ العلمى الإسلامى ، وبغيره من التواريخ ، عالم بمذاهب الأمم ، ونحلها ، عالم بالاستدلال وطرقه بصير بالدعوة إلى الله سبحانه وبالدعوة إلى ما يريد من الآراء والمذاهب . يفقه أغراض الدين العامة ويحترم العقل ويعرف له قدره ويضع الرجال مواضعهم لا يعطيهم أكثر مما يستحقون ، رجل يمت بصلة نسبية إلى صاحب الرسالة ، ويرى أن عليه ديناً لجده لابد أن يؤديه . ذلك الدين هو وقف مواهبه جميعها على تبيين هذا الدين وإصلاح حال المسلمين .

وجد الشيخ فى السيد جمال الدين بغيته ، ووجد ما يسد نهمه ويشفى صدره ويزيل صدأ عقله ويشحذه ، ويرد ذلك الجوهر صافياً نقياً لامعا كما فطره الله ثم يملؤه علماً ويقيناً وإيماناً ومعرفة ويعده للإصلاح .

أتم الشيخ دراسته ولأمر ما أراد الله به كماله هجر مصر لأسباب سياسية وطوف فى بعض البلاد الإسلامية وبعض البلاد العربية ، فاكتمل نضجه ، ثم عاد واشتغل بالقضاء الأهلى وعرف أساليب القضاء الحديثة من منابعها ، فصار قديراً على الإصلاح فى القضاء الشرعى ، كما أنه قدير على الإصلاح العلمى وإصلاح نظم الدراسة .

هيأت له الأسباب كلها تولى إفتاء الديار المصرية ، وصار له شأن فى إصلاح الأزهر بعضوية الإدارة فيه ، وكانت مواهبه وجاهه وخبرته

بالدولة ورجال الدولة مما جعله المسيطر على الإصلاح فى الأزهر ، وصاحب النفوذ فيه .

عرف الشيخ أن النفوذ والجاه ووضع النظم وما إلى ذلك لا يكون الرجال العاملين ، ولا العلماء المجددين ، إنه لابد لهذا كله من أن يضاف إليه التعليم الصحيح ، وأن يتولاه بنفسه ، فقرأ فى الأزهر كتاباً قيما من كتب المنطق وقرأ رسالته فى التوحيد . وقرأ كتب الشيخ عبد القاهر فى البلاغة وشرع يفسر كتاب الله . كانت دروس الشيخ كالغيث ، أما البلد الطيب : فقد خرج نباته بإذن ربه ، وأما البلد الخبيث : فقد خرج نباته نكداً ، وكانت دروسه مثلا عالياً فى طريقة الإلقاء ، والتفهيم ، وفى العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة إلى القلوب ، وكانت دائرة معارف يجد اللغوى فيها حاجته والفقيه رغبته والمتكلم بغيته ، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آى القرآن على معارفهم وكانت صرخاته المدوية منبهاً للغافل ومحركة للجامد ، وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ، ثم أورقت . أما الشجيرات الضعيفة والحشائش الدنيئة : فأفلتت منها ولم تنتفع بها .

عاملان من أقوى العوامل وقفاً فى طريق الشيخ ، عامل الحسد وعامل البيئة ، ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ فى صفاته وعلمه ، لا يحسد ، ولو أنه يرم بالكفر والضلال ولو أنه لم يشتد حسده ولم يقاوم أشد المقاومة ولم يسب لما كان شيئاً يتحدث عنه ، ولما كان رجلا من رجال التاريخ ، وقديماً قال الإمام الغزالى : « استصغر من علماء الدين كل من بالكفر لا يعرف ، وكل من بالضلال لا يوصف » والسلاح القاتل الذى يرمى به علماء الدين هو الكفر والزندقة ، والمقتل الوحيد الذى يقصد بالسهام فى علماء الدين هو

العقيدة . وأما البيئة : فقد أشرت إليها من قبل ولا أبيح لنفسى أن أضرب الأمثال وأقيم الأدلة على أنها بيئة لم يكن من العدل أن ينتظر منها مناصرة الشيخ وقبول آرائه وطرائقه فى الإصلاح الدينى واللغوى وغير ذلك ولم يكن من الحق أن يطمع الشيخ فى مناصرتها إياه وبخاصة أنه هاجمها هجوماً عنيفاً لا هوادة فيه وسفه آراءها فى أعز شىء لديها وهو العقيدة .

وسبب ثالث له خطره وهو أن جهة ذات نفوذ أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه وأن جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره ، فظن القوم أنه رجل يريد إفساد الدين وإفساد العلم ، وإفساد الأزهر . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك أن عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات فى جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ فى الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المشيرين بتعليم هذه العلوم فى الأزهر وكاد العناد يكون كفراً ، وذهب الشيخ إلى جوار ربه منذ ست وثلاثين سنة . وكان فضله مجحوداً وكان يرمى بالكفر والزندقة ، لكنه كلما ابتعد الناس عنه بالزمان ، اقتربوا من معرفته وزاد المقرون له بالعلم والتقوى والإيمان والغيرة على الدين . والمقرون له بالإصلاح والزود عن الاسلام والمسلمين .

مات الشيخ وبقيت طريقته فى الاصلاح لم تمت ، وبقيت آراؤه مدونة فى الكتب ومرسومة فى صدور تلاميذه المخلصين يورثونها الأبناء والأحفاد .

إن ذلك المصباح لا يزال يسطع نوره ولا يزال نوره يمتد فى آفاق البلاد الاسلامية وغيرها .

وسينجلى للناس جميعهم عندما ينصفه التاريخ ويتقادم العهد أنه علم من أعلام الأمة ومجدد من مجددى الإسلام ، وأنه أحد رجال السلف الصالح تأخر ميلاده عن خير القرون لحكمة أرادها فولد فى القرن الثالث عشر الهجرى .

ترك بذور الإصلاح للتعليم الدينى وتعليم علوم العربية وبذور إصلاح القضاء الشرعى . وبذور إصلاح المجتمع الإسلامى والأمم الإسلامية . وليس فى رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه فى تطبيق آى القرآن على سنن الاجتماع ، وفى تصور هدى القرآن ، وفى فهم أغراض الدين العامة .

ودعته ليلة سفرى إلى السودان لتولى قضاء مديرية دنقلة فى نوفمبر سنة ١٩٠٤ فسألنى هل معك رفقاء السفر ؟ فقلت : نعم . بعض كتب آنس إليها وأستديم بها اتصالى بالعلم فقال : أومعك كتاب الإحياء ؟ . فقلت: نعم . قال : الحمد لله هذا كتاب لايجوز لمسلم أن يسافر سفراً طويلا دون أن يكون رفيقه . ثم قال أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضيا . وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل إلى الحكم فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح .

وداعبنى مرة أثر خروجى من امتحان شهادة العالمية . فقال : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له نعم . وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم فسردت بعضها فقال : اسمع منى تعريفاً مفيدا . العلم هو ما ينفعك وينفع الناس ، ثم سأل هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له لا . قال : إذن أنت لست

بعالم . فانفع بعلمك لتكون عالماً .

ولم يكن يفوته أن يذكر بالقرآن كلما ذكرت الحوادث . وكلما جدث العبر ، ولم يكن يفوته أن يشهر بالظالمين وأن يثني على المخلصين العادلين . فقد كان يحب الحق أكثر مما يحب نفسه . عاش للعلم وعاش للدين وعاش للإسلام والمسلمين . رحمة الله ورضوانه عليه وعلى إخوانه الأئمة المهتدين .

خطبة للشيخ المراغى(١)

الحمد لله العلى القادر ، العزيز القاهر ، الحكيم الذى لا يضل ، الخبير الذى لا ينسى ، سبحانه هو الكبير المتعال نحمده حمداً نستأهل به غفرانه ونستمنح عطفه ورضوانه .

ونشهد أن لا إله إلا الله توحد بالربوبية المطلقة ، وتفرد بالإجلال والعزة وبرأ الخلق بقدرته وأمدهم بإحسانه ورعايته .

ونصلى أفضل الصلوات وأتمها على أفضل الخلق وأكملهم من ختم الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وكان أفضل قدوة لعباده سيدنا ومولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا من بعده علم الهداية ، فدانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيما .

أما بعد : فيقول الله تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . ويقول الله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

على هذا الأساس شب الإسلام عزيزا لا يعرف الذل ، كريما لا يقبل الضيم ، وحمله كرام بررة ، رفعوا لواء عزه ، وشيدوا صروح مجده ، وطوفوا به فى الآفاق نافذ السلطان رفيع المكان ، ثم خلف من بعدهم خلف فتنوا بعرض الحياة الأدنى واتبعوا الشهوات وضلوا السبيل وحسبوا الأمة مغانم

---

(١) ألقاها على منبر الأزهر يوم الجمعة فى ذى الحجة سنة ١٣٥٦ هـ .

تقسم وأسلابا توزع ودنيا مملوءة باللذات فيها دعة وسكون، وترف ومجون وطال عليهم الأمد فى ذلك فقست قلوبهم وصرفتهم الأهواء عن الهدى الإلهى فساءت حالهم وصبروا على الذل واطمأنوا إليه .

تحللوا من أصول الإسلام وفضائله وسول لهم الشيطان أن التدين عار وأن الصلاة والصوم والعقائد وما شرع الله من أحكام تهذب النفوس وقوانين تنظم الحياة وتسعدها ليست إلا بقية من قرون خلت لا يليق أن يستمسك بها الرجل المتمدين الذى عرف معنى الحياة وما فيها من لذة ومتعة .

سول لهم الشيطان أن التدين عار ، وأن الخمر والميسر والاسترسال فى الشهوات والانغماس فى الإباحية نوع من الحرية وخاصة من خواص المدنية .

سول لهم أن الدين عار فتركوا دينهم ، ونبذوا كتابهم وانصرفوا عن العمل الصالح والخلق الفاضل فصاروا نهبا للأمم ومثلا للذلة .

توالت عليهم النذر فلم يتدبروا ، وتتابعت أمامهم العبر فلم يعتبروا ، فحقت عليهم الكلمة وأذيقوا لباس الجوع والخوف ، وسلط عليهم من لا يخاف الله (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) .

بهذا أصبح الإسلام فى ناحية ، والمسلمون فى ناحية بينهما فجوة بعيدة المدى والأطراف . تركوا دينهم واستباحوا الشهوات ، ومهدوا لمن لا يعرفون الأديان إلا من حالة أهلها أن يقولوا :

« إن الإسلام دين لا يعرف العزة والكرامة ، ولا يميز بين الفضيلة والرذيلة ، فهو دين يبيح الميسر والبغاء والخمر ، ولأهله فى ذلك قوانين تنظمها وجرائد ومجلات تعلن عنها .

دين يبيح الكذب والزور والرشوة والفجور والفوضى فى النظام والجور فى الأحكام .

دين يتفنن فى الكيد والنفاق واساليب التفريق والشقاق والبغى والعدوان والإثم والإلحاد .

بهـذا ونحوه من الآثام والرذائل التى صارت بين المسلمين معروفة مألوفة وهى عند العقلاء وفى دين الإسلام منكرة ممقوتة — يصور الإسلام أخذاً من حالة جمهور يدين بالإسلام وحكومة دينها بنص دستورها الإسلام .

أليس هذا أيها المسلمون جناية من المسلمين على الإسلام ؟ أليس هذا تناقضاً لا يجمل بالعقلاء أن يصبروا عليه ، ولا يحسن بأمة تريد الحياة مرفوعة الرأس أن تسكن إليه ؟ (إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) .

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

أيها المسلمون : اسمعوا فى دينكم قول الله الحق وقول رسوله الكريم :

يقول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » ويقول « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » .

يقرر القرآن نفى الإيمان عمن لم يرض بأحكام الله رضا يزيل الحرج عن صدره ويملأ قلبه استسلاماً وطمأنينة ويصف بالنفاق من يصد عن الداعى إلى الله ورسول الله ويقول فى آية أخرى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » .

إن الدين أيها المسلمون مهما امتدت آفاقه . وتأول فيه المتأولون فهو لا يحتمل هذه البوائق ولا هذا الإلحاد ، ولا هذه الإباحية الجامحة ، ولا هذه الشهوات التى لا تقف عند حد ، وإنما يحتمل مدنية فاضلة تقوم على علم كامل وعمل صالح ، وخلق فاضل كريم ، يحتمل التمتع بزينة الله وما هيأ لعباده من طيبات يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .

هذا هو الإسلام أيها المؤمنون فسارعوا إلى مغفرة من ربكم وانقذوا الناس من أسباب الدمار والتهلكة . واعلموا أن الله أهلك الأمم الغابرة لأقل من هذه الشرور والآثام .

خطوا للفضيلة طريقاً واضحاً ، وضعوا لها نهجاً مستقيما ، وقوموا على حراسته كما أمر الله بالعدل وقوة السلطان « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

أيها المسلمون : إن الله وضع قواعد الحكم الصالح فى هذه الآيات البينة الواضحة « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا » .

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

والأمانة : ماتجب المحافظة عليه ، فالسر أمانة ، والتكاليف الشرعية أمانة ، وعلم العالم أمانة ، وقول الحق فى الشهادة وغيرها أمانة ، والأمر بالمعروف والنهى بالمنكر أمانة ، والعدل فى الأحكام والأفعال والأقوال أمانة . كتاب الله قانون ، وسنة رسوله قانون ، وما اتفق عليه أهل الحل والعقد من المسلمين مما لا يخالف نصا فى الكتاب ولا فى السنة قانون ، والرد عند التنازع إلى قواعد الدين العامة وأحكامه الكلية قانون ، وكل هذه القوانين أمانة استودعكم الله إياها واستحفظكم عليها ، وأنزل عليكم فى محكم كتابه « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

أيها المسلمون : اسمعوا أدب نبيكم الكريم لأصحابه وأمته .

« شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع ، الهالع : المحزن ، الخالع : الذى يخلع القلب من الخوف » لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار ، ومن كتم شهادة دعى إليها كان كمن شهد الزور « الدين النصيحة » قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى هاهنا (يشير إلى صدره) كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه »

« من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمّر عليهم أحدا بمحاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله النار » .

اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك

من قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ، ويستحلوا محارمهم ، وإياكم والخيانة فإنها بئست البطانة ، من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس .

« اتقوا دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وفقني الله وإياكم إلى التمسك بدينه والعمل على مرضاته والتخلق بأخلاق نبيه الكريم .

خطبة الشيخ المراغى

فى توديع بعثة الأزهر إلى أوروبا سنة ١٩٣٦ م

أبنـــائى الأعزاء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » .

أما الذين فكروا فى هذه الهجرة ، فالله سبحانه وتعالى هو العليم بنياتهم وأسأله أن يوفر لهم أجرهم . أما أنتم فأرجو أن تكون هذه نياتكم وأن تشعروا بمقدار العبء الذى حملتموه . أريد منكم وأريد من الأزهر الشعور بالواجبات الإنسانية العامة للجماعة البشرية ، فقد أدى العلم واجبه نحو هذه الجماعة ، وفكر فى الكون وقدر واهتدى إلى السنن الإلهية ، وانتفع بها وأفاد الناس منه خيراً عظيماً ، وقد صحب هذا الخير شرور طغت عليه وأربت ذلك أن تقدم العلم لم يساير تقدم التأثير الدينى والروحى . فجاءت آثار العلم والقلوب مقفرة من خشية الله ورهبته ، والعقول تنظر إلى الأديان نظرها إلى شىء تاريخى خال من الحياة والبهجة والأنس والسرور ، ولو أن حملة الدين سايروا حملة العلم ، وتقدموا بقوة اليقين يحببونه للناس ويرغبونهم فى الفضيلة من حيث هى ويدعمون الحياة الروحية بالأساليب الجذابة ويواخون بين العلم والفضيلة ، لكان الناس اليوم فى سعادة وهناءة ووجد شىء من الاستقرار فى نظام العالم وضعفت هذه العداوات التى تخلقها المادة وتثيرها شهوات الاستمتاع ، وإذا كان رجال السياسة لا يحجمون عن فتح البلدان وسفك الدماء بدعوى تمدين هـــذه البلدان ، فكيف يتوانى رجال الدين عن فتح سلمى

لايسفك فيه دم ، ولا يطعن فيه برمح وماهو إلا موعظة حسنة ونصح لله ولرسوله وإرشاد إلى الفضائل والخير وإلى بيان حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة بحيث لا يطغى الفرد على الجماعة ، والجماعة على الفرد ، وقد كان أسلافكم خير الدعاة وخير الهداة وأفضل من ضحى بنفسه فى سبيل إسعاد الجماعة . أنتم أيها الأبناء نواة هؤلاء الهداة وسيكون لكم إن شاء الله إخوان يلحقون بكم يسعد بهم الأزهر أولا ثم تسعد بهم الأمم الإسلامية ، ثم تسعد بهم الجماعة البشرية .

أرسلكم الأزهر وهو ينتظر ، وقلبه يخفق ، وأنا واثق من أنكم ستكونون بهديكم وبقلوبكم وعملكم ومحبتكم أحسن الأمثلة لخريجى الأزهر الشريف ، وستكونون بجدكم فى تحصيل العلم وتفهم الأساليب ومعرفة طرق البحث ودراسة العقليات الغربية من المجاهدين الصابرين ، ولا تغفلوا عن أنكم ستجدون من العلماء وطلبة العلم وطلبة الحقيقة من يحتاج منكم إلى تصحيح رأيه فى الإسلام وإلى عرض الإسلام عليه ، ونشر فضائله ، وبيان خصائصه ، ففى هذه الحالة يكون واجبكم واجب المرشد وواجب المعلم الناصح ، لا واجب التلميذ . أنتم فى البلاد التى ستقيمون بها مرشدون أولا ثم تلاميذ ثانيا ، ولا يعفيكم واجبكم الثانى عن واجبكم الأول الذى هو فى الحق المقصود الأسمى من هجرتكم وفقكم الله .

(والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

حديث للشيخ المراغى

مع محرر المصور

سأله المحرر : هل يمكن أن يسود العالم سلام دائم ولا تنشب فيه حروب بعد الآن ؟

فأجاب الشيخ بما يأتى :

لا أعتقد أنه ستوجد سعادة عامة للبشر ولا سلم دائم ، وإذا وجدت حقبة من الزمن شملها الأمن ، ورفرفت عليها السعادة ، فذلك عرض خلقته مصلحة بعض الأمم ، خلقه الأقوياء لغيرة بعضهم من بعض ، وخلقه الضعفاء لخوفهم من الأقوياء ، فإذا ما سنحت الفرصة للقوى حاول التفلت من القانون وحاول التأويل وإيجاد الأسباب المبررة للاعتداء ويكون الاعتداء إذ ذاك حقا وعدلا وأمانة للإنسانية وللمصلحة العامة .

هذا هو الخلق الإنسانى العام والإنسان لا يسيره العقل ولا تسيره المعرفة ، ولكن غرائز حيوانية لاعداد لها ركبت فيه ، وقد نرى الإنسان المتدين العالم الحكيم ، إذا وجدت بيئة مناسبة لظهور الخلق الحيوانى فيه رجلا شرسا حاداً قاسيا يحب رؤية الدم ، ويحب أن يرى بلداً تلتهمه النار ويسمع أنين الأحياء من فتيان وفتيات وأطفال ، بل إنه قد يفاخر بأنه هو الذى فعل هذا أو أشار إليه .

وأنا مع الذين يقولون : إن التقدم العلمى الفلسفى عاجز عن التغلب على هذه الصفات الحيوانية ، وأن الحرب تزيد وحشية وهولا كلما ازداد العلم وازدادت المعرفة ، ولكننا نغتبط إذ نرى اليوم إجماعا على أنه لابد لهذا العالم

من وازع يتحكم فى الضمائر ويسيرها وفق قانون الأخلاق والحق ، حتى يوجد سلام عام وسعادة مشتركة وحتى لا تعتدى أمة على أخرى وحتى يظل البشر بمأمن من الشرور الجامحة التى لم ترحم طفلا فى مهده ، ولا والدة تحمله على صدرها ، ولا شيخاً هرماً ، ولا مقعداً ، ولا ناسكا فى صومعة ، ولا عالماً يبحث فى معمله ، ولا فيلسوفاً فى درسه .

لا بد من قانون ولا بد من وازع

ولكى يسود السلام العالم وقتاً طويلا لابد من أمرين : قانون عام تدين به الأمم وترضاه ، ووازع يحمل على التزام هذا القانون . وهذا الوازع إما أن يكون من الداخل وهو الخوف من الله عند المتدين ، أو من الفلسفة والتربية عند غير المتدينين ، وإما أن يكون من الخارج وهو العقوبة التى تقرر على من يخالف القانون العام ، ولا شك أن التدين يطيل أمد السلام ، فإن الأديان جميعها تشترك فى أصول الأخلاق الفاضلة ، ولا يوجد دين يبيح القتل من غير حق وأكل أموال الناس بالباطل . ولا الاعتداء على الأعراض ، ولا السرقة ، ولا النهب ، ولا تسخير الناس لمنفعة فرد أو منفعة دولة ، ولا يوجد دين يجعل أمة من الأمم بلونها أو جنسها خادمة لدولة أخرى ، ولا يجعل أمة سيدة بلونها وجنسها أو دينها على أمة أخرى ، فإذا قوومت هذه الشهوات لم تعد هناك أسباب لنشوب الحروب .

غريزة يجب أن تنبه

والتدين غريزة راسخة فى الإنسان ، وهذه الغريزة هى التى يجب أن تنبه بأن يتعاون العلماء والساسة المفكرون على إيقاظها والاعتماد عليها ليمكن الحد من طغيان الغرائز الحيوانية فى الإنسان وحتى الذين لايؤمنون بدين من واجبهم ألا يكونوا أداة هدامة للأديان ، وهم بذلك يؤدون خدمة صالحة للمجتمع الإنسانى على أن تنبه الغريزة الدينية فى الضمير الإنسانى لا يوجد السعادة العامة والسلام الدائم ، ولكنه يلطف الشرور إذا نزلت ويخفف الويلات إذا حلت .

فترات راحة

فإذا أمكن أن توجد الأمم عقوبات لمن تحدثه نفسه بتعكير السلام ، فإن هذا يطيل الفترة بين حرب وأخرى وتستريح الإنسانية فى هذه الفترات ، ولابد أن توجد كل أمة عقوبات للأفراد أيضا جزاء خيانة الأمانة بأنواعها ، وجزاء انتهاك حرمة القانون الأخلاقى العام ، ولو لم تكن هذه الخيانة مادية ولو لم تكن مما تسمى جرائم عند رجال القانون ، وبذلك يتعلم الأفراد فى كل أمة المحافظة على الأمانة وعلى القانون الأخلاقى . . نعم إن هذا يجر إلى اعتراضات من رجال القانون ، وممن يريدون الحرية بالمعنى الواسع ، ولكنه أمر لابد منه فى تربية الأمم .

واجب رجال الدين

وأن العالم الذى يئن من كثرة الاختلاف ويضج من نتائجه يستطيع أن يوجه الأديان إلى الوجهة الصحيحة ، ويستطيع أن يقول لأهل الأديان

تعاونوا جميعا على نصر العناصر المشتركة بين الأديان ، وهذه العناصر هى جميع الفضائل . . اتركوا التبشير بالأديان والحرص على تكثير السواد وأصلحوا أتباعكم أولا . . وعندما أقول اتركوا التبشير أريد ألا يكون حرفة ومهنة ولا عملا ترصد له الأموال وتحميه الدول بالقوة . . ولا أمنع أن يدعو كل واحد إلى دينه كما يريد الإسلام بالحكمة والموعظة والجدل بالتى هى أحسن .

نعم يستطيع العالم أن يقول لرؤساء الأديان : اتركوا التعصب الأعمى ، واتركوا العداوات بينكم وكونوا مثلا للأفراد والأتباع .

الفضيلة العالمية(١)

كما رسمها الدين الإسلامى

بحث لم ينشر لصاحب الفضيلة المرحوم الشيخ المراغى شيخ الأزهر السابق

فى العام الماضى قبل حلول شهر رمضان بأيام ، قابلت المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر السابق فى مكتبه بإدارة الأزهر ، وكان هذا آخر لقاء لى مع فضيلته .

وكان الحديث يدور حول مشروع تحديد الزواج والطلاق ، الذى اعتزمت وزارة الشئون الاجتماعية إصداره إذ ذاك ، وأثناء الحديث لاحظت أن أمام فضيلته ورقا مطبوعا يشبه التقارير الحكومية ، ولاحظ فضيلته أنى أتشوق إلى معرفة ما أمامه ، وعلى الأثر تفضل وناولنى نسخة منها ، وقال لى : « إن المسيو جوهان هانسون كتب بحثا عن الفضيلة العالمية وأرسل لى الأستاذ أحمد قدرى فى المفوضية المصرية باستكهولم راغبا فى أن يكتب أحد أتباع القرآن بحثا عن الفضيلة العالمية كما رسمها الإسلام ، فحققت له هذه الرغبة وأعددت هذا البحث ، وألقيت نظرة سريعة إلى موضوع البحث . ثم قلت : أرجو أن تأذنوا لى فى نشره ، فابتسم وقال : « لك مطلق الحرية فى نشره » وشاء القدر أن يلحق فضيلته بالرفيق الأعلى بعد ذلك بأسبوعين ، وقبل أن أتمكن من نشر هذا البحث الدينى العلمى الفلسفى القيم ، فطويته على مضض وألم حتى أنتهز فرصة سانحة لنشره فيها ، واليوم إذ يمضى العام الأول على وفاته ويحتفل بهذه الذكرى أجد أن خير ما تمجد به هو نشر هذا البحث المستفيض .

---

(١) نشر بالمصرى فى أغسطس سنة ١٩٤٦ م .

وسيرى القراء فيه إلى جوار المراغى رجل الدين . المراغى رجل فلسفة واجتماع وتربية وأخلاق . وأخيرا سيعلمون أن المراغى الذى فقده العالم الإسلامى كان ذخيرة للعلم والاسلام لاتعوض .

رحمه الله رحمة واسعة وأفسح له فى جناته ، وفيما يلى هذا البحث .

يوجد الآن إجماع على أنه لاتستطيع أية أمة العزلة عن الأمم بعد أن صار العالم كله وحدة متصلة ، وعلى أنه لابد لهذا العالم من وازع يتحكم فى الضمائر ويسيرها وفق قانون الأخلاق ، والحق حتى يوجد سلام عام وسعادة مشتركة ، وحتى لا تعتدى أمة على أخرى ، وحتى يظل البشر بمأمن من الشرور الجامحة التى لاترحم طفلا فى مهده ، ولا والدة تحمله على صدرها ، ولاشيخا هرما ، ولامقعدا ، ولا ناسكا فى صومعته ، ولا عالما يبحث فى معمله ، ولا فيلسوفا فى درسه .

وفى الواقع أنه لابد من أمرين . الأول : قانون عام تدين به الأمم وترضاه . سمه إن شئت القانون الأخلاقى العام ، كما سماه المسيو جوهان ، وسمه إن شئت وجهة النظر التاريخية المشتركة ، كما عبر عن ذلك الأستاذ هـ . ج . ولز ، ولابد من وازع يحمل على التزام القانون ، وهذا الوازع إما أن يكون من الداخل وهو الخوف من الله ، كما هو الحال عند المتدين أو من الفلسفة والتربية عند غير المتدين . وإما أن يكون من الخارج ، وهو العقوبة التى تقرر على من يخالف القانون ؛ فى القرآن آية يجب أن أعرض لها فى هذا الموضوع لأنها أصل للتكليف الإسلامى كله وهى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

فقد اشتملت على أمرين : هما عماد السعادة للجماعة البشرية ، سمت أحدهما الأمانة ، وسمت الأخرى عدلا ، فالأمانة : كل حق عندك للغير تؤديه فالدين

أمانة والوديعة أمانة ، والعيار الحق فى الوزن والكيل أمانة ، ونصح الناس أمانة ، وللزوج على الزوجة حقوق هى أمانة ، ولها عليه حقوق هى أمانة ، ودم الإنسان وعرضه وماله أمانة ، وسره أمانة .

ومن الأمانة ألا ينظر بعينه إلى محرم عند جاره أو غير جاره ، كذلك من الأمانة ألا يستعمل سمعه فى سماع فحش أو باطل ، ولا يستعمل اللسان إلا ليقول به حقا ، وكل مايطلبه الدين منا من خير أمانة ، وترك مايطلب تركه من شر أمانة ، وكل شىء ليس لك إذا اعتديت عليه فقد خنت الأمانة ، والحكام عندهم أمانة للعامة أن يعدلوا بينهم والعامة عندهم أمانة للحكام ، أن ينصحوهم ويحملوهم على ترك الباطل . أما العدل : فهو أن تأمر من وجب عليه الحق أن يؤدى الحق ، وعلى ذلك فإنى كرجل مسلم أستطيع أن أقول إن الخلق العام الذى يجب أن يسود العالم هو أداء الأمانة ، ويجب أن يحمل الناس على أداء الأمانة إن قصروا فى أدائها . وقد دل القرآن أيضا على أن الأديان جميعها تتصل فى أصول الأخلاق الفاضلة ، كما تشترك فى العقائد الصحيحة الخاصة بالحق . والواقع هو هذا . فإنه لايوجد دين يبيح القتل من غير حق وأكل أموال الناس بالباطل ، ولا الاعتداء على الأعراض ولا السرقة ولا النهب ولا تسخير الناس لمنفعة فرد أو لمنفعة دولة ، ولا يوجد دين يجعل أمة من الأمم بلونها أو جنسها خادمة لأمة أخرى ولا يجعل أمة سيدة بلونها أو جنسها أو دينها على أمة أخرى ، والمذاهب التى تدين بها بعض الدول الكبرى فى العالم تشارك الأديان فى هذا والناس الذين لايتبعون دينا ولا مذهبا يغضبون إذا أنت لم تصفهم بالأمانة ، وأداء الأمانة : هو أداء الحق والشخص العادى من أى دين أو مذهب ، والشخص الذى لامذهب له يغضب إذا أنت وصفته بأنه غير مؤد للأمانة وغير مؤد للحق ، فهناك شىء مشترك بين الأفراد والأمم يمكن أن يكون قانونا ، وهذا الشىء

موجود فعلا . وليست الحيرة فى تلمسه والاهتداء إليه ، ولا الحيرة فى تعريفه ؛ ولكن الحيرة تامة فى إيجاد الوازع والحافز الذى يحمل الأفراد على التزام الأمانة والحق ، ويحمل الأمم على التزام الأمانة والحق ، وأعتقد أنه لا الأديان ولا المذاهب هى التى أوجدت قانون الأخلاق وعرفته للناس وفرضته عليهم ؛ ولكن هى تجارب الأمم فى القرون الغابرة الغارقة فى القدم هى التى أرشدت الناس إلى أنه لابد من الأمانة ومن احترام حقوق الغير ، ولا بد أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك ، فهذا هو الطريق السليم لحفظ الأنفس والأعراض ، ولا يوجد طريق آخر غيره ، وجاءت الأديان فثبتت هذه الأصول وأكدتها ، ووعدت عليها بالجزاء الحسن ، وأوعدت على تركها بالعقاب . وكانت هذه الأخلاق ضرورية لسلامة العائلة وسلامة القبيلة فى البداوة وضرورية لسلامة المدينة ، ثم الدولة فى الحضارة وكانت ضرورية لسلامة دولة من دولة أخرى .

إنى أعتقد بوجود القانون الأخلاقى العام ، ولكنى لا أعتقد أنه سيكون مسيطرا سيطرة كافية يوما من الأيام على نوازع النفوس الإنسانية ، ولا حاكما على الأمم بأتباعه ولا أعتقد أنه ستوجد سعادة عامة للبشر ، ولا سلم دائم ، وإذا وجدت حقبة من الزمن شملها الأمن ورفرفت عليها السعادة ورأيت الناس ينادون بوجوب العدل والحق ، فذلك عرض خلقته مصلحة الأمم خلقه الأقوياء لغيرة بعضهم من بعض ، وخلقه الضعفاء لخوفهم من الأقوياء ، ولابد أن يزول يوما ما ، وعند سنوح الفرصة للقوى سيحاول التفلت من القانون والتأويل وإيجاد الأسباب المبررة للاعتداء ، ويكون الاعتداء إذ ذاك حقا وعدلا وأمانة للإنسانية وللمصلحة العامة ، ذلك لأن كل واحد يغضب إذا أنت وصفته بالجور وترك الحق أو وصفته بترك الأمانة ، هذا هو الخلق الإنسانى العام والإنسان لا يسيره العقل ولا تسيره

المعرفة ، ولكن غرائز حيوانية لاعداد لها ركبت فيه ، ففيه حب الأثرة والغيرة والخوف ، وفيه الشك وحب العلو والظهور ، وفيه حب التفرد بالسلطان . كل هذه العوامل تعمل عملها ، وقد ترى الإنسان المتدين العالم الحكيم إذا وجدت بيئة مناسبة لظهور أخلاق الحيوان فيه رجلا شرسا قاسيا حادا يحب رؤية الدم ويحب أن يرى بلدا تلتهمها النار ، ويسمع أنين الأحياء من فتيان وفتيات وأطفال وقد يفاخر بأنه فعل هذا أو أمر به .

وأنا مع الذين يقولون : إن التقدم العلمى والفلسفى عاجز على التغلب على هذه الصفات الحيوانية وعلى شعور الإنسان ، والحرب تزيد وحشية وهولا كلما ازداد العلم وازدادت المعرفة ، وهل هذا فى حاجة إلى برهان ؟ يضاف إلى ذلك أن الفلسفة والتربية لايمكن أن تعم أفراد الإنسان وأرى الاعتماد على الدين فى الوازع أحسن علاج .

وقد كان الأستاذ ولز على حق عندما قال : إن فلسفة للإنسان جديرة بهذا الاسم يجب أن تبتدىء بالسماء ثم تهبط إلى الأرض ويجب أن يسود الاعتقاد بأن الوجود كله واحد ، وقد أشار الأستاذ ولز إلى أنه يجب الاعتقاد بأن الوجود كله واحد ، ونحن واجدون هذا فى الدين . وقد قرر مثلا الإسلام وحدة الأبوين وقال : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهو بهذا التقرير يعتبر النوع البشرى عائلة واحدة ولا تفاضل بين أمة وأمة ، ولا بين قبيلة وقبيلة ، ولا تفاضل باختلاف اللون والجنس ومعيار الفضل عنده هو التقوى ، والقرآن يطلب إحسان المعاشرة لغير المسلم ، ويحرم العدوان إلا فى حالة الضرورة والآية الآتية صريحة فى هذا : « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

والإسلام لا يرضى الاكراه على الدين ويعتبر الإيمان عملا اختياريا يجىء من الدليل ، ولا يمكن أن تكون الوسائل المادية طريقا من طرقه ويطلب الدعوة إلى الطريق المستقيم بالحجة والموعظة فيقول : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فهو فى هذا يسلك طريق العلماء والفلاسفة .

تنبه الغريزة الدينية فى الضمير الإنسانى لازم لا ليوجد السعادة والسلام الدائم كما ينبغى ، ولكن ليلطف الشرور إذا نزلت ويخفف الويلات إذا حلت وإذا أمكن أن توجد الأمم العقوبات لمن تحدثه نفسه بتعكير السلام ، فإن هذا يطيل الفترة بين حرب وأخرى وتستريح الإنسانية فى هذه الفترات ، وإذا كان العالم بصدد أن يجرى على قانون الأخلاق وأن يحيى الوازع ، وأن توجد الأمم عقوبات لمن يعكر السلم العام ويخدش السعادة ، فلابد أن توجد كل أمة عقوبات للأفراد أيضا جزاء خيانة الأمانة بأنواعها ، وجزاء انتهاك حرمة القانون الأخلاقى العام ، ولو لم تكن هذه الخيانة مما تسمى جرائم عند رجال القانون ، وبذلك يتعلم الأفراد فى كل أمة المحافظة على الأمانة ، وعلى القانون الأخلاقى .

نعم إن هذا يجر إلى اعتراضات من رجال القانون ، وممن يريدون الحرية بالمعنى الواسع لكنه أمر لا بد منـــه فى تربية الأمم ، والخلاصة أن القانون الأخلاقى المشترك موجود وأنه بحاجة إلى وازع وأن الوازع يجب أن يكون من الداخل ، وهو الدين ، ومن الخارج ، وهو عقوبات تفرضها الأمم مجتمعة على الأمم التى تحدث فسادا ، وعقوبات تفرضها كل أمة على

الأفراد لقسين على القانون الأخلاقى ، وهذا يفسر آية من الكتاب «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» . فالآية ترشد إلى العلم والعدل ، ثم إلى وجوب الوازع ليقوم الناس بالعدل ، ولكن هناك اعتراضا سهل الإيراد وهو اعتراض حق لا شبهة فى وجوده ، وهو أن الأديان أثارت حروبا قاسية شرسة بسبب الاختلاف فيها وأثارت عداوات وضغائن أشد من العداوات والضغائن التى سببتها المادة ، فكيف يمكن أن تكون الأديان سببا فى السلام العام ؟ وفى السعادة الدائمة ؟ ولكن العالم الذى يئن من هذا كله ويئن من كثرة الاختلاف ويضج من نتائج هذا يستطيع أن يوجه الأديان إلى الوجهة الصحيحة ، ويستطيع أن يقول لأهل الأديان : تعاونوا جميعا على نصر العناصر المشتركة بين الأديان ، وهذه العناصر المشتركة هى جميع الفضائل اتركوا التبشير بالأديان والحرص على تكثير السواد وأصلحوا أتباعكم أولا وعندما أقول : اتركوا التبشير ، أريد أنه لا يكون حرفة ولا مهنة ولا يكون عملا ترصد له الأموال وتحميه الدولة بالقوة ولا أمنع أن يدعو كل واحد إلى دينه كما يريد الإسلام بالحكمة والموعظة والجدل بالتى هى أحسن ، ويستطيع أن يقول لرؤساء الأديان ، اتركوا التعصب الأعمى ، واتركوا العداوات بينكم وكونوا مثلا للأفراد والأتباع ، قد يكون فى هذه الكلمة إجابة على الأسئلة التى وجهها الأستاذ جوهان إلى الأستاذ أحمد قدرى ، لكننى أشعر بأنى قد أسبغت على كلمتى لونا دينيا فى موضوع كتبه على طريقة علمية بحتة .

ولعلى أعذر فى ذلك وأنا متدين أدين بالإسلام .

حديث للشيخ المراغى[1]

مع محرر مجـــلة روز اليوسف

هو نصف ساعة قضيناها مع الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى، الرجل الذى تصفه الجرائد الأمريكية بأنه إذا أشار بيده تحرك المسلمون جميعا من الصين إلى مراكش تبعا لإشارته .

ولقد بدأ الحديث كما انتهى بابتسامة من ابتسامات الشيخ الخالدة ونظرة من عينيه النفاذتين . . . نظر الشيخ وابتسم . وكان ذلك أفصح من كل كلام فقلنا :

إن لدينا بضعة أسئلة . وأجاب فضيلته والابتسامة لاتفارق شفتيه : فلنر . . . . وما نستطيع الإجابة عنه أجبنا عنه وما لم نستطع ، وكان معضلا علينا تركناه . قلنا : ولكننا واثقون أنكم ستجيبون عنها جميعا فلا يوجد سؤال تستعصى إجابته عليكم ، وازدادت الابتسامة على شفتى الشيخ اتساعا وقال :

إن الذى يقول هـذا عن نفسه منافق . قلت : ولكن الناس هم الذين يقولون . وزد فضيلته : والذى يترك الناس يقولون عنه هذا مضلل . ! إن الإمام مالك استفتى ذات مرة فى أربعين مسألة فأفتى فى أربع ، أما بقية المسائل فكانت إجابته عنها : « لا أدرى » ومرة أخرى تلألأت فى عينى الشيخ تلك النظرة النفاذة الغامضة وبدأنا نلقى الأسئلة :

---

(١) نشر بروز اليوسف فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ م .

قلنا لفضيلته :

ما هو رأى الإسلام فى الحاكم الذى يستغل نفوذ الدولة لمصلحته ومصلحة أهله ؟ فقال :

لعلى ذاكر فى هذه المناسبة قصة تغنينى عن كل شرح وتوفر عليك كل سؤال .

حـــدث ذات مرة أن ابنا من أبناء عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه اشترى إبلا وتركها ترعى ومر عام ثم باعها بعد أن كبرت وسمنت بضعف الثمن الذى اشتراها به ، وعلم عمر بن الخطاب بالأمر فطلب إلى ابنه أن يعطيه المال الذى كسبه ودهش الابن ، فقال له عمر : لقد كانت إبلك أينما ذهبت تستفيد من اسمنا ومن نفوذنا فكان الناس يفسحون لها المرعى قائلين هذه إبل ابن أمير المؤمنين ، وكان الرعاة يفسحون لها المورد قائلين افسحوا المورد لإبل ابن أمير المؤمنين .

وهكذا استفادت إبلك يابنى من نفوذنا وسلطاننا ، فكان الربح الذى أتاك من حق الدولة وبيت المال والأمة كلها ، وليس من حقك ولهذا يا بنى أخذته منك لأرده إلى بيت المال » .

هذه واقعة لاتحتاج إلى تعليق ولا إلى تعقيب وأظن أن فيها الكفاية .

ما هو حكم الإسلام فى الحاكم الذى تثبت عليه تهمة وهل تجوز محاكمته؟

لست أظن هذه معضلة تستحق أن أسأل فيها ذلك ، لأنها تكاد تكون من البديهيات التى لايختلف فيها اثنان فمما لاشك فيه أن من حق الشعب أن يطالب ولاة الأمور بوضع الحدود لمن يحكمهم ، وأن العقاب يجب أن ينزل على كل شخص سواه .

ما هى عيوبنا ؟

إنها كثيرة ، ولكن لماذا تسألنى عن عيوب الناس سلنى عن عيوبى أنا ؟ وماهى عيوبكم ؟ عيبى أننى وأنا فى هذه السن المتقدمة ، وفيما أنا عليه من ضعف الصحة أن أقبل عملا من الأعمال العامة . وكان يجب أن أتركه لشاب يستطيع تحمل أعبائه أكثر مما أستطيع أنا .

وهذا العيب ليس عيبى وحدى ، إنما هو عيب كثير من الناس لايتركون مكانهم لمن يعتقدون أنهم أصلح منهم . ولو أن كل واحد منا ترك مكانه لمن هو أصلح منه لأصبحنا فى خير . . . وفى خير عظيم .

أما بقية عيوبى فإن الله يعرفها ، وأسأله تعالى أن يغفرها لى .

ما هو رأى فضيلتكم فى المؤتمرات النسائية ؟

مهما يكن من أمر فأنا كرجل من رجال الدين لا يعنينى شىء من هذه المسألة ، إلا أن تكون المرأة تسعى فيما تسعى إليه داخل حدود الإسلام ، وما دامت المرأة تسعى فى حدود حقوقها ، وفى حدود تعاليم الاسلام . فأنا لست ضد هذا .

قال سعادة حسن نشأت باشا : إن القانون الذى يحرم على رجال السلك السياسى زواج الأجنبيات ينافى روح الدين فما رأيكم ؟ لاشك أن الدين يبيح زواج الكتابيات ، ولقد أسلمت زوجة حسن باشا ، فخرجت من دائرة الكتابيات ، وأصبحت مسلمة موحدة .

أما فيما يتعلق بالقانون ، فلا أعتقد أنه يتنافى مع روح الدين .

فولى الأمر أن يتخذ من القيود التى تحد من حرية الفرد ما يريد إذا

رأى أن فى ذلك مصلحة عامة يبغى تحقيقها ، وما دام ولى الأمر قد رأى ذلك وسنه فى قانون ، فليس هناك خوف على روح الدين ولا على أحكامه ، وسكت الشيخ فترة ثم أردف : وأنت ألا ترى ذلك ؟

وعادت الابتسامة تتسع . . . . وعادت العينـــان تشعان بذلك البريق النفاذ .

خطاب من الشيخ المراغى
إلى الأمير شكيب أرسلان

صديق حضرة صاحب العطوفة الأمير شكيب أرسلان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فلم يكن غيثك فى أول أمره قطراً ، بل بحراً زاخراً ، فقد وصلتنى اليوم كتبك الكثيرة ، غزيرة المادة ، وافرة الفائدة ، فى حللها القشيبة ، ولغتها الساحرة ، وتبويبها البديع ، ورصانتها القوية . فلك الشكر على هذا الكرم ، ولك الشكر على هذا الجهد الذى خدمت به أمتك ولغتك فوق الجهد المستور الذى نرجو بقاءه فى طى الكتمان زمناً طويلا تستمتع فيه الأمة بحياتك التى تعد عبرة فى حياة المسلمين ، وتعد مفخرة لعلماء المسلمين .

وقد قرأت الصفحات التى طلبت منى قراءتها وأدركت الغرض الذى من أجله طلبت هذا .

تحياتى الخالصة ودعواتى لك بالصحة والسعادة .

كلمة لمجلة نشر الفضائل

بقلم الشيخ المراغى

للمجلات الدينية فى كل بلد أثر قيم ، وفائدة جليلة ، يشعر بها الذين يودون أن يتعرفوا أحكام دينهم ، وهداية كتابهم ، وآداب نبيهم ، بأسلوب سهل مستساغ .

وهى لهذا طريق الدعوة إلى الله ، متى خلصت من القائمين عليها النية ، وتوخيت فيها الإصابة والدقة .

و « مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية » من هذه المجلات التى يرجو لها الناس رواجاً وتوفيقاً فى خدمة الفضائل والآداب ، وقد سلخت من حياتها فى هذا الغرض النبيل سبع سنين دأبا ، وها هى ذى تستقبل عامها الثامن ، فنرجو أن يكون ذلك حافزاً لها على مضاعفة الهمة والمثابرة على الإنتاج النافع ، فى جميع النواحى التى يهم المسلمين أن يقفوا عليها فى دينهم . من تفسير كتاب الله ، وهدى رسوله الكريم ، وبيان أحكام الشريعة المطهرة ، وآدابها الفاضلة ، على وجه يتفق مع ما لها من نبالة الغرض وسمو القصد ، ويتجافى عن إلباس ثوب الدين لما ليس من الدين .

وإن المسلمين فى هذه الأيام ، لفى أشد الحاجة إلى تعاضد القوى ، وتكاتف الأيدى ، ومضاعفة الهمم ، والرجوع إلى الأسلوب الذى نهض به المسلمون الأولون ، فى ظل من كتاب الله ، وهداية نبيه ، « ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

وفق الله العاملين للخير ، ويسر لهم طريق الرشاد .

مقدمة لكتاب زاد المسلم

للشيخ حبيب الشنقيطى

بقلم الشيخ المراغى

بسم الله الرحمن الرحيم :

نحمده ونستعينه ، ونصلى على أشرف خلقه .

وبعد : فإن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بعث مبلغا عن ربه ومبينا الكتابه وهاديا الخلقه ، حديثه وحى ، وبيانه هدى ، وقوله وعمله شرع ، ومن الإيمان أن نؤمن بما صح صدوره عنه وسلمت نسبته إليه ، واتفق وأغراض الشريعة فى جملتها ، ومقاصد القرآن الكريم ومناحيه ، لكن أسبابا متعددة يصعب حصرها أضافت إليه صلى الله عليه وسلم آلافا من الحديث يخالف بعضها مقاصد الشريعة ويناقض كتاب الله ، ويضيف بعضها إلى الشريعة ما ليس منها أو يهدم أصولها ، وقد أزعج هذا أئمة المسلمين رضى الله عنهم وحفزهم إلى بذل جهود يقل فى جانبها كل ثناء ، ويصغر أمامها كل مدح ، فثبروا وثابروا واجتهدوا وأخلصوا . وكان لكل منهم نصيب ، وكان لكل منهم طريقة ورأى ، وقد خلص للمسلمين بهذه الجهود جملة صالحة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت ضياء ونورا ، وكانت هدى لأئمة الشريعة وأئمة العقائد والأخلاق .

ولكن العلماء وجمهور الأمة تلقوا بالقبول التام والطمأنينة من بين ذلك كله عمل رجلين جليلين وإمامين كبيرين من أئمة الحديث ، هما

البخارى ومسلم ، فى تنقيح الصحيحين المشهورين : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم .

وما من شك فى أن مااتفقا عليه ، يعد عند أئمة النقد وحفاظ الحديث من أصح الأسانيد وأعلاها ، بل قال بعضهم : إنه متواتر حكما .

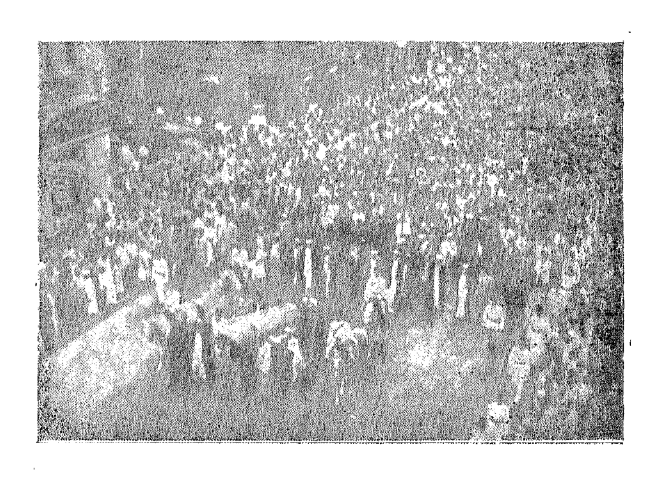
وقد وفق الله سبحانه رجلا من رجال الحديث فى هذا العصر ، منح سعة الاطلاع ، وحب البحث ، وحبب إليه خدمة الحديث ، ألا وهو الأستاذ الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى من أساتذة الحديث فى الأزهر . فجمع فى كتاب لطيف سماه (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم) كل ما اتفق عليه الشيخان . ثم شرح هذا بكتاب سماه (فتح المنعم) شرح فيه معانى الأحاديث وعرض للمذاهب المشهورة وأدلتها . ثم أتم هذا بحاشية بين فيها مواضع الحديث فى الصحيحين . وهو عمل أرجو أن يتقبله الله سبحانه ويرضى عنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أرجو أن ينفع الله به المسلمين ويضع صاحبه مع الشهداء والصالحين .

وفاة الشيخ المراغى

نعى الهيئات والصحف

وصف تشييع الجنـــازة

حفلات التأبين . اقتراح تخليد ذكراه . استدراك



منظر عام لتشييع جنازة المغفور له الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغى
ويرى النعش محمولا على الأعناق
١٤ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

وفاة الشيخ المراغي وتشييع جنازته

توفى المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى منتصف ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان ١٣٦٤ هـ الموافق ليلة ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ م بمستشفى المواساة بالأسكندرية، وكان قد دخله للراحة لا للعلاج. ولما علم الملك بشدة حالته ذهب على الفور إلى المستشفى. وكان قضاء الله قد سبقه فذرفت عيناه. وقال الدكتور النقيب: كنت أتمنى أن يكون المتوفى شخصا غير الشيخ المراغى، وقد خسره الأزهر.

ثم أحضر جثمانه الساعة العاشرة نهارا تقريبا إلى حلوان حيث تمت إجراءات الغسل والكفن، ثم نقل إلى السرادق المقام بالاسماعيلية حيث بدأ سير الجنازة فى الساعة الخامسة والنصف، ورغم اتساع السرادق فقد ضاق بالمشيعين وامتلأ بهم الميدان.

واشترك فى تشييع الجنازة جماهير زاخرة من الشعب فقد غصت أفاريز الشوارع بالمشيعين من الشعب من ميدان الإسماعيلية إلى شارع سليمان باشا، فقصر النيل، فالأوبرا، فيدان الملكة فريدة، فالأزهر، ثم شارع الغورية، فشارع الحلمية إلى السيدة نفيسة.

وهناك فى ميدانها حيث توجد المقبرة تزاحم المنتظرون لوصول الجثمان، وقد وافق وصول الجنازة إطلاق مدفع الإفطار تماما، وفى مساء الأربعاء توافد المعزون إلى السرادق المقام بجوار منزله بحلوان زرافات زرافات حتى غص بهم على سعته. وقد تلقى أنجال الفقيد وأشقاؤه مئات من برقيات التعزية من بينها برقيات من على ماهر باشا، وصدقى باشا، وحافظ عفيفى باشا، ونشأت باشا، ووصفت هـــذه البرقيات وفاته بأنها مصيبة للوطن ولمصر وللإسلام وللأزهر وللشرق وللمصريين عامة.

تغمد الله الفقيد برحمته وآجرنا فى مصيبته.

نعى الهيئات

نعى الحكومة المصرية :

بعظيم الحزن وبالغ الأسف : ينعى محمود فهمى النقراشى . . رئيس مجلس الوزراء إلى الأمة المصرية ، وإلى العالم الإسلامى المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر توفاه الله إلى رحمته قبيل منتصف ليلة الأربعاء ١٤ رمضان فعادت نفسه إلى ربها راضية مرضية .

لقد كان مصريا مخلصا كريما ، وإماما مصلحا عظيما ، وأن الخطب فيه لجسيم ، هو خطب مصر ، وخطب الإسلام .

نعى الأزهـر :

ينعى محمد مأمون الشناوى وكيل الجامع الأزهر إلى العالم الاسلامى ، وإلى الأمة المصرية ، وإلى رجال الدين ، وعلماء الأزهر الشريف ، وطلابه علماً من أعلام الدين ، وإماما من أئمة المسلمين ، وهو المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الشريف ، وافاه القدر المحتوم فجأة مساء الثلاثاء بالاسكندرية بعد حياة عامرة بجلائل الأعمال والفضـــل والتقوى والصلاح .

والأزهر وعلماؤه وطلابه يشق عليهم هذا النعى لمكانة الفقيد الكريم منهم ، ومنزلته العلية من نفوسهم ، رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منزلا كريما ، وأسبغ عليـه سحائب الرحمة والرضـوان ، وألهم آله والأزهر ورجاله الصبر والسلوان .

نعى المجمع اللغوى :

ينعى مجمع فؤاد الأول للغة العربية الشيخ محمد مصطفى المراغى ، الفقيد الكريم ، الذى كان عضوا نخريا فيه وأن زملاءه ليذكرون له ـ طيب الله ثراه ـ جهوده المشكورة فى خدمة المجمع ، أحسن الله فيه العزاء للدين واللغة والعلم .

نعى وعاظ الأزهر :

وعاظ الأزهر ينعون إلى العالم الاسلامى الامام الأكبر الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر ومفتشى قسم الوعظ والارشاد بالمملكة المصرية ، سائلين له الرحمة وللمسلمين جميل العزاء .

نعى جمعية الدعاية للحج :

تنعى جمعية الدعاية للحج إمام الدين وشيخ الأزهر : الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله .

نعى معهد دسوق :

ينعى شيخ معهد دسوق الدينى وأساتذته وطلابه ووعاظ المركز إلى الأمة المصرية ، والعالم الاسلامى المغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى . شيخ الجامع الأزهر ، طيب الله ثراه ، وتغمده بواسع رحمته .

نعى رابطة ضباط الاحتياط :

رابطة ضباط الاحتياط تنعى فقيد الوطن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى وتشارك أفراد الأسرة الكرام الحزن لفقده .

نعى شركة مصر للسيارات :

ينعى مدير وموظفو وعمال شركة مصر للسيارات رجل الدين والتقوى

والصلاح وعلم الأزهر المغفور له فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي. أسكنه الله فسيح جناته.

نعي الرابطة الاصلاحية الخلقية :

تنعي خيرة أعضاء الشرف للمؤتمر الأخلاقي، المرحوم الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي وعزاء للأسرة الكريمة.

نعي علماء السويس :

علماء السويس : ينعون بمزيد الأسى والحزن أستاذهم الأكبر شيخ الجامع الأزهر تغمده الله برحمته وعوض العالم الاسلامي فيه خيرا.

نعي الأزهريين بالمنزلة :

الأزهريون بالمنزلة دقهلية : ينعون عميد العلماء الإمام المراغي ويستمطرون شآبيب الرحمة والرضوان على جثمانه الطاهر.

نعى الصحف

نعى الأهرام :

وفاة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغى(١)

نعى إلينا فى ساعة متأخرة من الليل الماضى إمام جليل من أئمة الإسلام، وعلم عظيم من أعلامه : هو المغفور له صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، استأثرت به رحمة الله عند منتصف ليلة أمس فى مستشفى فؤاد الأول للمواساة بالإسكندرية ، حيث كان يستجم ويستشفى دون أن يقعده مرضه عن القيام بمهام منصبه . وكان آخر ما أداه من عمل جليل إلقاؤه الدرس الدينى بمسجد سيدى على تمراز ، يوم الجمعة الماضى واستمع إليه الملك كمألوف عادته فى شهر رمضان من كل عام .

أما آخر ما كتبه الفقيد : فكان افتتاح أحاديث رمضان فى « الأهرام » لذلك جاء نعيه مفاجأة مؤلمة وسيكون وقعها شديداً على مصر خاصة ، والعالم الإسلامى والشرق عامة .

ومما يزيد فى شدة وقع المصاب ما تميز به الفقيد العظيم من تبحر فى العلم، وسمو فى الأخلاق ، وشرف بالنفس ، واعتزاز بالكرامة . ولا شك فى أن الأزهر الشريف والمعاهد الدينية قد خسرت بوفاته أفدح خسارة . ذلك

(١) نشرت بالأهرام ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

بأن آثاره القيمة فيها لن تزال قائمة باقية تخلد ذكره وتتحدث بفضله .

ولا يتسع المقام فى هذه الساعة المتأخرة لسرد شىء من آثاره ومناقبه، ولا من تاريخه الحافل أيام كان قاضى قضــاة السودان ، ثم رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، ثم شيخاً للأزهر مرتين .

و « الأهرام » ترفع إلى مقام صاحب الجلالة الملك تعزيتها الخالصة كما تتقدم بتعازيها الصادقة إلى حضرات أنجاله وأشقائه الكرام ، وأعضاء أسرته الأماثل ، وكذلك إلى حضرات أصحاب الفضيلة زملائه العلماء وتلاميذه الكثيرين ، وإلى العالم الإسلامى كافة .

تغمد الله الفقيد العظيم بواسع رحمته ، وأجزل جزاءه على ما أسدى فى حياته من جليل الخدمات .

موعد الجنازة

وستشيع جنازة الراحل الكريم فى الساعة الخامسة والنصف مساء اليوم من ميدان الإسماعيلية بالقاهرة . وسيصلى على الفقيد فى الأزهر .

الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى (١)

صدى وفاته وتشييع جنازته أمس

طالع البـــلاد فى صباح أمس — على غير انتظار — نعى المغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، فاجتمع عليها من روع المفاجأة الأليمة والشعور بالخسارة الكبرى بما ضاعف ألم المصاب فى كل نفس ، وهزة الفاجعة فى كل قلب ، حتى لقد أقبل الناس بعضهم على بعض يتساءلون عن النبأ الأليم ، فإذا ماردهم الواقع من قضـــاء الله إلى الحقيقة المرة التى لا مرد لها ، انقلبوا إلى بارىء الأرض والسموات يسألونه للفقيد العظيم الرحمة والرضوان ، جزاء ما أدى للعلم وللدين من جهاد أجدى عليهما أبرك الثمرات .

فى دار الفقيد : وكان جثمان الفقيد المبرور قد نقل بعد الوفاة على سيارة من الاسكندرية إلى داره بحلوان ، فلم يكد الصبح يسفر أمس ، حتى كانت الدار مقصد العلماء وكبار رجال الدولة وعظمائها عمن توافدوا عليها لتقديم العزاء ، وكان فى مقدمتهم كثير من الوزراء الحاليين والسابقين وأعضاء البرلمان ورجال السلك السياسى ، وأسرة القضاء الأهلى والشرعى وغيرهم من مختلف الهيئات والطبقات .

فى إدارة الأزهر : كذلك وفد إلى إدارة الأزهر والمعاهد الدينية جمهرة من الكبراء والعظماء والعلماء أصدقاء الفقيد الكبير وتلاميذه معربين عن شعور الحزن والأسى لفقده وقافلة الاصلاح الأزهرى التى عرفت فيه

(١) نشر بالأهرام فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

قائدها ورائدها لم تبلغ بعد نهاية الطريق . وقد استفسرت السفارة البريطانية قبل ظهر أمس عن موعد تشييع الجنازة للاشتراك فيها ، وناب عن لورد كليرن السير والتر سمارت . وكذلك فعلت المفوضية الهولندية وغيرها من دور التمثيل السياسى فى مصر . وأرسلت وكالة حكومة فلسطين فى القاهرة رسالتى عزاء إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى وكيل الجامع الأزهر .

تشييع جنازة الفقيد : وكانت أسرة الفقيد العظيم قد أقامت سرادقاً فسيحاً فى ميدان الاسماعيلية استعداداً لتشييع الجنازة وفد إليه قبيل الساعة الخامسة والنصف من مساء أمس أقطاب السياسة والعلم والأدب والجاه فى هذه البلاد وممثلو الدول العربية والغربية فيها ، ورجال الهيئات الدينية المحلية والأجنبية وفى طليعة هؤلاء جميعاً أصحاب الدولة والمعالى والسعادة رئيس مجلس الوزراء والوزراء الحاليون والسابقون وفؤاد سراج الدين باشا بالنيابة عن رفعة النحاس باشا ، وإبراهيم عبد الوهاب بك بالنيابة عن الدكتور هيكل باشا رئيس الشيوخ ، والأستاذ حسين راضى بالنيابة عن وزير الخارجية ، ورؤساء الأديان والطوائف المسيحية ، وكثير من الشيوخ والنواب ، وأمين السر العام لجامعة الدول العربية ، ومن فى مصر الآن من أعضاء مجلس هذه الجامعة ، وأفواج كثيرة من العلماء ، والطلبة الأزهريين ، ومندوبى الهيئات المحلية على اختلاف ألوانها ومشاربها ممن لا يتسع المقام لذكر جانب من أسمائهم فضلا عن ذكرها جميعاً .

مندوب الملك : وفى الساعة الخامسة والنصف وفد إلى السرادق صاحب المعالى عبد اللطيف طلعت باشا كبير أمناء الملك ، ومندوب جلالته لتشييع جنازة الفقيد العظيم .

سير الجنازة : وعلى أثر ذلك بدأت الجنازة سيرها من ميدان الاسماعيلية تتقدمها جماعات من الطلبة والطوائف الأخرى تحمل كل جماعة علم هيئتها ومن وراء هؤلاء كتيبة من رجال البوليس الراجلين سارت صفين متوازيين على جانبي الطريق، ثم نعش الفقيد العظيم محمولا على أعناق زملائه وتلاميذه من العلماء ومن حوله ثلة من البوليس الراكب، ومن ورائه كبار المشيعين يتقدمهم مندوب صاحب الجلالة الملك وأنجال الفقيد، وسمو سيف الإسلام عبد الله، والوزراء والكبراء وكبار رجال الدولة، وحشد لا يدرك البصر مداه ممن جاؤوا ليودعوا الأستاذ الإمام الوداع الأخير إلى مقره الأبدى.

في الجامع الأزهر : وسارت الجنازة على هـذا النظام مجتازة شارع سليمان باشا، فشارع قصر النيل، فميدان إبراهيم باشا، فشارع الملكة فريدة، فميدانها، فشارع الأزهر، وكان المؤذنون على مآذن المساجد التي مرت بها الجنازة يرتلون الآيات وداعاً للراحل الكريم وتكريماً وإجلالا.

ولما بلغت الجنازة جامع الكخيا تقبل أنجال الفقيد العظيم عزاء كبار المعزين، ثم واصل الموكب الرهيب سيره، حتى إذا بلغ الجامع الأزهر أقيمت الصلاة على الجثمان الطاهر، وأم المصلين فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن عليش.

وزير الأفغان يرثي الفقيد : ولما قضيت الصلاة اعتلى المنبر سعادة السيد محمد صادق المجددى وزير الأفغان المفوض، فرثا الفقيد الكبير بعبارات مؤثرة نوه فيها بعلمه وفضله واعتداده بنفسه واعتزازه بكرامته، وأشار إلى ما أصاب الإسلام والمسلمين بفقده من خسارة لا تعوض، وقدم العزاء إلى الشعب المصرى باسم الشعب الأفغانى. فقال : إن

المصاب فى الإمام المراغى مصاب كل شعب إسلامى مشيراً إلى الصلة الخاصة التى تربطه بالأفغان حيث كان رحمه الله خلاصة الفكرة الإصلاحية للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذى كان بدوره خلاصة فكرة السيد جمال الدين الأفغانى ، وقال : إنه نيابة عن صاحب الجلالة مليكه المعظم ملك الأفغان يقدم التعزية إلى ملك مصر .

وقد ألقى بعض العلماء بعد ذلك مراثى شعرية للفقيد .

الجنازة تستأنف سيرها : وحمل جثمان الفقيد العظيم بعد هذا إلى خارج الأزهر ، حيث أريد وضعه فى ناقلة الموتى ، بين ترتيلات المؤذنين من فوق مآذن الأزهر ، غير أن العلماء والطلاب الأزهريين حالوا دون ذلك وحملوا الجثمان على أعناقهم واستأنفت الجنازة سيرها .

فى المقر الأخير : وظلت الجنازة تواصل السير ، حتى بلغت مقابر السيدة نفيسة حيث القبر الذى أعد للفقيد المبرور من قبل ، وهناك بين دموع اللوعة والأسى أودع الجثمان الطاهر مقره الأخير بحضور رجال الأزهر ، والعلماء ووزيرى الأوقاف والتجارة وغيرهم ، ثم تقبل أنجال الفقيد الأماثل وأفراد أسرته عزاء المشيعين ، وانفض موكب التشييع وكل من ساهموا فيه ألسنة تضرع إلى الله أن يجزل للفقيد العظيم من ثواب الآخرة كفاء ما بذل فى الحياة الدنيا لدينه وقومه من جهد مبرور وسعى مشكور .

مأتم الفقيد : وقد توافد على مأتم الفقيد فى حلوان كثير من الكبراء والعظماء والعلماء للتعزية .

نعى المصرى[1]

جنازة شيخ الأزهر :

ما وافت الساعة على الخامسة من مساء أمس حتى كان السرادق الفسيح الذى أقيم فى ميدان الاسماعيلية قد ازدحم بكبار المعزين والمشيعين ، يتقدمهم حضرات سعادة عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء موفدا من قبل الملك ، وصاحب السمو الأمير سيف الإسلام عبد الله ، ودولة رئيس الوزراء ، وسعادة فؤاد سراج الدين باشا نائبا عن حضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، والأستاذ إبراهيم عبدالوهاب بك السكرتير المساعد بمجلس الشيوخ نائبا عن سعادة رئيس المجلس ، وأصحاب المعالى الوزراء ، والأستاذ حسين راضى الوزير المفوض نائبا عن معالى وزير الخارجية ، وسير ولترسمارت نائبا عن اللورد كليرن السفير البريطانى ، ووزراء الدول المفوضين وأصحاب السعادة أحمد حمزة ومحمود سليمان غنام ، وأحمد لطفى السيد باشا ، وعلى إبراهيم باشا مدير جامعة فؤاد الأول ، والدكتور طه حسين بك ، وسعادة القاصد الرسولى والآباء الروحانيين على اختلاف مذاهبهم ، وعدد كبير من الشيوخ والنواب المحترمين ، ورجال القضاء والمحاماة ، وأصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء ، وعمداء الكليات الأزهرية ، وشيوخ المعاهد وأساتذتها وغيرهم من مختلف الهيئات والطبقات .

وقد بدأت الجنازة سيرها من ميدان الاسماعيلية يتقدمها فريق من رجال البوليس راكبى الموتوسيكلات ، فثلة من رجال البوليس السوارى والبيادة

---

(١) نشر بجريدة المصرى فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

فنقابة عمال شركة سيارات أوتوبيس القاهرة ، فطلبة الكليات الأزهرية بأعلامهم منكسة ، فنعش الفقيد موضوعا فى صندوق خشبى بدون كساء اتباعا للسنة تحيط به كوكبة من البوليس السوارى .

وفى الجامع الأزهر قام المؤذنون بالتبرير فوق مآذنه وقد أم المصلين فى صلاة الجنازة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش عضو جماعة كبار العلماء .

وبعد الصلاة صعد المنبر سعادة السيد صادق المجددى وزير الأفغان المفوض ، وألقى كلمة رثاء مؤثرة . وبعد تقبل العزاء أبى تلاميذه وضع جثمانه الطاهر فى عربة الموتى وأصروا على حمله على أعناقهم إلى مدافن الأسرة بالسيدة نفيسه فتم لهم ما أرادوا .

نعى البلاغ(١)

الشيخ المراغى تشييع جنازته أمس

احتفل أمس فى الساعة الخامسة والنصف بتشييع جنازة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر احتفالا مهيبا، وقد بدأ سير الجنازة من السرادق الفسيح الذى أقامته الأسرة بميدان الاسماعيلية استعدادا لتشييع الجنازة، وكان قد وفد إليه قبل تشييعها جموع كثيرة من مختلف الطبقات يتقدمهم حضرات عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء مندوبا عن الملك فى تشييع الجنازة، وصاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبدالله نجل الإمام يحيى عاهل اليمن، ودولة رئيس الوزراء، وصاحب السعادة فؤاد سراج الدين باشا نائبا عن رفعة الرئيس، وأعضاء جماعة كبار العلماء وعمداء الكليات الأزهرية وأساتذتها وشيوخ المعاهد وأساتذتها، وطلبة الأزهر وغيرهم.

وبدأت الجنازة سيرها يتقدمها فريق من رجال البوليس راكبى الموتوسيكلات، ففريق آخر من الجنود السوارى والبيادة ساروا فى صفين متقابلين، ونقابة عمال أوتوبيس القاهرة فطلبة الكليات الأزهرية ومعهم أعلامهم منكسة فنعش الفقيد تحيط به كوكبة من البوليس السوارى، وتابعت الجنازة سيرها إلى شارع سليمان باشا، فشارع قصر النيل وعند جامع الكخيا تقبل أنجال الفقيد وآله عزاء كبار المشيعين، ثم واصل موكب الجنازة سيره إلى الجامع الأزهر حيث صلى على الفقيد الراحل، وأم المصلين

---

(١) نشر بجريدة البلاغ فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

فضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش عضو جماعة كبار العلماء ، وقد استقبلت الجنازة عند الجامع الأزهر بالدعوات .

وبعد أداء الصلاة صعد إلى منبر الأزهر سعادة السيد صادق المجددى وزير الأفغان المفوض فرثى الفقيد بكلمة بدأها بالتكبير ثم تلا قوله تعالى : « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » ثم حمل الجثمان إلى خارج الأزهر بين التكبير والدعاء ، ولما أريد وضعه فى عربة الموتى أبى حاملوه من تلاميذه وغيرهم ذلك وأصروا على أن تتابع الجنازة سيرها حتى مدفن الأسرة بالسيدة نفيسة ، وتم لهم ما أرادوا وتابعت جموع الأهالى السير وراء الجنازة .

وكان قد سبق إلى المدفن جمهور كبير من المشيعين وكبار رجال الأزهر وعلماؤه ، ولما وصل الجثمان الطاهر تلقاه كبار العلماء ونزلوا به إلى المقبرة وتولى لحده سعادة وزير الأفغان المفوض ، وفضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء ، وورى الفقيد التراب بين بكاء الحاضرين وأسفهم .

وفى المساء أم السرادق المقام بجوار دار الفقيد بحلوان كثير من الكبراء والعظماء والعلماء ومن مختلف الهيئات والطبقات للتعزية ومشاطرة أسرة الفقيد أحزانها ، ولم تنقطع جموعهم حتى ساعة متأخرة من الليل ، كما حمل البرق سيلا من التعازى من مختلف جهات القطر .

نعي المقطم(١)

تشييع جنازة المرحوم الشيخ المراغي

أقامت أسرة الفقيد العظيم المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي سرادقا فسيحا فى ميدان الاسماعيلية استعدادا لتشييع الجنازة فى الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر أمس ، وقد أمه العظماء والكبراء من أقطاب السياسة والعلم والأدب والجاه فى هذه البلاد وممثلو البلاد العربية والغربية فيها ، ورجال الهيئات الدينية المحلية والأجنبية ، يتقدمهم حضرات رئيس الوزراء ، والوزراء الحاليون والسابقون ، وفؤاد سراج الدين باشا عن رفعة النحاس باشا ، وابراهيم عبد الوهاب بك نائبا عن سعادة الدكتور هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وحسين راضى بك عن معالى وزير الخارجية ، ورؤساء الأديان والطوائف الدينية وكثيرون من الشيوخ والنواب والأمين العام للجامعة العربية ، ومن فى مصر من أعضائها وعدد لا يحصى من العلماء والطلاب الأزهريين ، ومندوبى الهيئات المحلية على اختلافها .

وفى الساعة الخامسة والنصف وصل معالى عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء مندوبا عن الملك فى تشييع جنازة الفقيد العظيم فبدأ سير الجنازة على الأثر فى مشهد رهيب يتقدمه جماعات من طلبة الأزهر والطوائف الأخرى تحمل كل طائفة علمها فثلة من رجال البوليس الراجلين فى صفين متوازيين

---

(١) نشر بجريدة المقطم فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

على جانبى الطريق ، ثم نعش الفقيد محمولا على أعناق زملائه وتلاميذه من العلماء وحوله كوكبة من البوليس الراكب .

وسار خلف النعش كبار المشيعين يتقدمهم مندوب الملك وأنجال الفقيد، وسمو الأمير سيف الإسلام عبد الله ، وسير والترسمارث نائبا عن سعادة اللورد كليرن السفير البريطانى والوزراء وكبار رجال الدولة وجمهور المشيعين ، واجتاز مشهد الجنازة الرهيب شارع سليمان باشا ، فشارع قصر النيل ، فميدان ابراهيم باشا ، حيث تقبل أنجال الفقيد عزاء كبار المشيعين ، ثم واصل المشهد سيره مجتازا شارع الملكة فريدة فميدانها فشارع الأزهر إلى الجامع الأزهر ، وكان المؤذنون قد اعتلوا مآذن المساجد التى مر بها المشهد يرتلون الآيات توديعا للراحل الكريم ، وفى الجامع الأزهر أقيمت صلاة الجنازة على جثمان الفقيد وأم المصلين فضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش .

وبعد الصلاة صعد المنبر سعادة السيد محمد صادق المجددى وزير الافغان المفوض فى مصر فرثا الفقيد رثاء مؤثرا أشاد فيه بعلمه وفضله واعتزازه بكرامته ونوه بالخسارة الكبيرة التى أصابت الإسلام والمسلمين بفقده وقال إن المصيبة فيه مصيبة كل شعب إسلامى ، وقدم العزاء إلى الشعب المصرى باسم الشعب الأفغانى مشيرا إلى الصلة التى تربطه بأفغان حيث كان رحمه الله خلاصة الفكرة الإصلاحية للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذى كان بدوره خلاصة الفكرة الاصلاحية للسيد جمال الدين الأفغانى . وقال إنه نيابة عن جلالة ملك الأفغان يقدم العزاء إلى ملك مصر .

ثم تعاقب العلماء فى إلقاء مراث شعرية للفقيد .

وبعد ذلك حمل الجثمان إلى خارج الأزهر حيث أعدت سيارة لنقله إلى

المدفن ، ولكن العلماء وطلاب الأزهر حالوا دون ذلك وأبوا إلا أن يحملوه على أعناقهم إلى المقابر .

واستأنفت الجنازة سيرها إلى المدفن الذى أعد للفقيد الكريم فى مقابر السيدة نفيسة ، وهنالك أودع مقره الأخير بين دموع الأسى واللوعة على فقده بحضور رجال الأزهر والعلماء ووزيرى الأوقاف والتجارة وغيرهم .

ثم تقبل أنجال الفقيد عزاء المعزين وانصرف الجميع سائلين الله أن يجزل للفقيد الكريم الثواب لقاء ماقدم من عمل صالح وبذل من جهد مبرور فى الحياة الدنيا لدينه وقومه ، وفى المساء توافد على مأتم الفقيد فى حلوان كثير من العظماء والكبراء والعلماء للتعزية .

نعى الدستور [1]

فقيد الاسـلام والأزهر

تشييع جنازة الأسـتاذ الأكبر

شيعت مصر والعالم الاسلامى أمس رجلا من خيرة الرجال ، وإماما من كبار الأئمة هو المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وقد تلقينا نبأ نعيه فى ساعة مبكرة من صباح أمس ولم يلبث أن سرى النبأ مسرى البرق فى أرجاء البلاد ، فشق على جميع المسلمين فقد علم من أعلام الدين ، وطود من أطواده الراسخة ، فقد كان رحمه الله واسع الآفاق ، غزير المادة ، بعيد النظر ، حريصا على إحياء الشعائر الدينية متوفرا على ما ينفع النـاس فى دينهم من الحكمة والموعظة الحسنة .

ولقد كان الفقيد من تلاميذ المغفور له الامام الشيخ محمد عبده فاشرب تعاليمه ونزوعه إلى التجديد والنهوض بالعلوم الدينية ورفع مستوى العلماء والأخذ بالحديث فى طريق التدريس ، وإدخال العلوم الحديثة بالأزهر لمسايرة التطور العلمى فى العالم ، فلقيت جهوده فى هذا السبيل نجاحا مشـكورا وصارت له مدرسة خاصة من العلماء وطلاب الأزهر يلتفون حوله ويؤيدونه فى مذهبه فى التجديد ، ومن ثم كانت النهضة الأزهرية الحديثة .

ولقد ساهم الفقيد الجليل بنفوذه الأدبى فى كثير من الشئون العامة

---

(١) نشر بجريدة الدستور فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

وخصوصا مايتصل منها بالإصلاح الديني والاجتماعي ، مما جعله يحتل مكانا بارزا فى الهيئة الاجتماعية مكانا تؤهله له شخصيته ومعارفه وخلاله .

هذا وقد وافاه الأجل المحتوم ومصر أحوج ما تكون إلى الرجال الذين يهدفون إلى الإصلاح العام فى مختلف نواحى الحياة ، تغمده الله برحمته وجزى الله مصر والإسلام خيرا عن فقده .

تشييع الجنازة : وما وافت الساعة الخامسة من بعد ظهر أمس حتى كان السرادق الذى أقيم فى ميدان الخديوى اسماعيل لاستقبال المعزين قد امتلأ على سعته بألوف من أبناء الشعب من مختلف الطبقات يتقدمهم كبار رجال الدولة ورجال الأزهر الشريف والهيئات الدينية ورؤساء الأديان ورجال السلك الديبلوماسى ، وكان حضرات أعضاء أسرة الفقيد الكريم وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ مأمون الشناوى يستقبلون المعزين ، ثم يتخذ هؤلاء أماكنهم المخصصة لهم فى انتظار تشييع الجنازة .

هذا بينما ازدحم الميدان وجوانب الطريق الذى سارت منه الجنازة بعشرات الألوف من أبناء الشعب وطلبة الأزهر والمعاهد الدينية بأعلامهم .

مندوب الملك : وفى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرين أقبل مندوب الملك حضرة صاحب المعالى عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء نخف إلى استقباله حضرات أصحاب الدولة والمعالى الأستاذ محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء والوزراء ، وصاحب الفضيلة وكيل الجامع الأزهر وحضرات أعضاء أسرة الفقيد فأبلغه العزاء السامى .

سير الجنازة : وفى منتصف الساعة تماما تحرك موكب الجنازة تتقدمه طلبة بعض المعاهد ، ففصيلة من رجال البوليس الخيالة والمشاة فنعش الفقيد الكريم .

محمولا على أعناق بعض أصحاب الفضيلة العلماء ورجال الإدارة العامة للأزهر الشريف ، وكان النعش غير ملفوف بأى غطاء عملا بالسنة الكريمة السمحاء وتبع النعش حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء ، وفضيلة شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، فكبار المشيعين يتقدمهم مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك وعن يمينه دولة رئيس الوزراء ، وعن يساره الأستاذ ابراهيم عبد الوهاب نائبا عن صاحب السعادة رئيس مجلس الشيوخ ، وحضرة صاحب السمو الأمير سيف الإسلام عبد الله ، وصاحب السعادة وزير أفغانستان ، وأصحاب المعالى الوزراء ، ومن رجال السلك الديبلوماسى الأجنبى سير والترسمارت المستشار الشرقى للسفارة البريطانية نائبا عن سعادة لورد كليرن ووزير الصين المفوض ، والقائمون بأعمال مفوضيات ألبانيا والمملكة العربية السعودية وهولندا وسورية ولبنان ، لحضرات أصحاب السعادة الوزراء السابقين ، ووكلاء الوزارات ، وحضرات عمداء كليات الأزهر والمعاهد الدينية ، وسعادة محافظ القاهرة ، فكبار رجال الدولة والأعيان ، ثم الآف من جماهير الشعب وممثلى الطوائف .

وكان يشرف على النظام سعادة اللواء رسل باشا حكمدار بوليس العاصمة واللواء سليم زكى باشا مساعد الحكمدار ، وكبار ضباط بوليس القاهرة .

وقد سارت الجنازة من الميدان مجتازة شارع سليمان باشا ، فميدان سليمان ، فشارع قصر النيل إلى أن بلغت مسجد الكخيا .

وهنا وقف حضرات أعضاء أسرة الفقيد . فتقبلوا عزاء مندوب الملك ودولة الرئيس ومعالى الوزراء وكبار المشيعين .

ثم استأنفت الجنازة سيرها مجتازة ميدان الملكة فريدة ، فشارع الأزهر إلى أن بلغت الجامع الأزهر حيث صلى على الفقيد الكريم صلاة الجنازة

وألقى السيد محمد صادق المجددى وزير أفغانستان المفوض كلمة طيبة فى رثاء الفقيد وتلاه بعض علماء الأزهر .

ثم استأنفت الجنازة سيرها إلى مدافن السيدة نفيسة حيث ووري جثمان الفقيد الكريم فى مدفنه الخاص بين الأسى لفقده والتفجع للمصاب فيه .

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الثواب والمثوبة جزاء ما أدى لربه ووطنه من خدمات وإنه لنعم الجزاء .

نعى جريدة الكتلة[1]

الإمام المراغى

تاريخ مجيد . ومشهد شعبى رهيب

ليس من غرضنا فى هذه الكلمة أن نؤرخ الإمام المراغى أو نسجل مفاخره ومآثره . فليس يتسع لذلك إلا سفر ضخم يضاف إلى ما كتب فى عظماء الرجال من كتب وأسفار ، وليس يحيط بمناقب هذا الرجل العظيم ومبلغ خطره وأثره إلا الذين اقتربوا من أفقه وتتبعوا خطواته فى ميادين العمل والإصلاح . إنما نريد بهذه الكلمة أن نشير إلى الفراغ الرهيب الذى تركه فى العالم الإسلامى وأن نبكى مع الباكين من علماء الأزهر وطلابه إماما رفع رؤوسهم بمفاخره ، وأحيا نفوسهم بمآثره ، وطالع الناس فى علمه وأدبه وذكائه وخلقه ومضائه وكرامته بمجد الأزهر وعظمة رجال الإسلام .

ولقد تقلب رحمه الله فى مناصب كبيرة ، وتنقل فى أماكن كثيرة وترك فى كل عمل تولاه طابع درايته وكفايته وذكائه ونشاطه وبعد نظره وقوة نزعته إلى التجديد والإصلاح . وكان فى كل موطن مثال الرجل العظيم الشامخ بأنفه ، الحريص على كرامته ، الغنى بفضائله وشمائله ، المترفع بمواقفه عن مواطن الصغار والشبهات .

عين أول ما عين قاضياً فى دنقلة ثم نقل بعد ذلك إلى مديرية الخرطوم فاختلف مع حكومة السودان واستقال . ثم مكث مدة من غير وظيفة حتى اختاره رشدى باشا مديراً لديوان الأوقاف وإصلاح المساجد . فوضع نظام قسم المساجد الذى يدين له بجل ما فيه من نظام وإحكام ثم عرض

---

(١) نشر بجريدة الكتلة فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

عليه أن يعين قاضى قضاة السودان . فاشترط أن يكون تعيينه (بدكريتو خديوى) ومع صدور قرار حاكم السودان بتعيينه فقد رفض السفر إلا إذا صدر أمر الخديوى . وكان إذ ذاك فى فرنسا . فانتظر حضوره وصدور أمره . وبعد ذلك صار قاضى قضاة السودان فوجه عنايته إلى إصلاح المحاكم وكان له فى ذلك جهد مشكور وأثر بارز ، ثم اشتعلت الثورة فى مصر سنة ١٩١٩ م واندلع لهيبها فى أنحاء البلاد . فخرج مع الموظفين فى مظاهرة وجمع اكتتاباً للوفد المصرى . فأغضب موقفه الإنجليز وعاد إلى مصر ثم عين رئيساً للتفتيش الشرعى فرئيساً لمحكمة مصر فعضوا فى المحكمة العليا الشرعية فرئيساً لها . وكان فى كل أطواره وأدواره فى سلك القضاء مثال القاضى العفيف النزيه الشريف المجتهد البارع المتفطن لأسرار مهنته وقضاياه . وقد سن تقاليد لا تزال تتبع حتى الآن . وفى سنة ١٩٢٨ م عين شيخاً للأزهر وسنه سبع وأربعون سنة فأحدث انقلاباً فى النظم والقوانين وهيأ نفوس الأزهريين لقبول الإصلاح والتجديد وفتح الأعين الغافلة على ضوء النور وصبح الإصلاح . ثم استقال فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ م لأسباب ليس هذا محل إيضاحها . وظل بعيداً عن الأزهر والمناصب حتى عاد إليه فى سنة ١٩٣٥م على أثر ثورة عنيفة قام بها الأزهريون ، تلك الثورة التى تجاوبت أصداؤها فى آفاق الشرق وأثارت اهتمام الرأى العام . ومن ذلك التاريخ وفضيلته رحمه الله . يباشر هذا المنصب الخطير وينفق فى سبيل الإصلاح من صحته وتفكيره . حتى كانت الفاجعة ليلة أمس الأول .

رحم الله الإمام المراغى . لقد كان بسعة معارفه ، وغزارة علمه ، ونقاء ديباجته ، وإشراق أسلوبه ، وصفاء صوته وبصره بشئون الحياة ، وقدرته على الإصلاح والتوجيه وكياسته وسياسته بحيث لايسبق ولايلحق . فإذا بكاه

الأزهريون والمسلمون أعنف البكاء ورثوه أحر رثاء . فإنما يرثون إماماً من أئمة الإصلاح ، وعلما من أعلام الإسلام ، ورجلا من رجالات الشرق طالما واجه الأعاصير وجابه الأحداث فلم يهدم ولم يهزم .

لقد أمضى رحمه الله هذه الفترة الأخيرة من حياته فى رئاسة الأزهر . فأنفق جهوداً كثيرة فى تعديله وإصلاح نظمه وتوسيع مجال النشاط الحيوى فيه . فأنشأ قسم الوعظ والإرشاد ومعاهد أخرى فى أنحاء البلاد وهو صاحب الفضل فى ضم مدرسة القضاء الشرعى إلى الأزهر باسم كلية الشريعة .

وفى إدخال العلوم الحديثة فيه وفى إرسال البعوث الأزهرية إلى جامعات أوروبا ، بل لا نكون مغالين إذا قلنا : إن اسم الأستاذ المراغى يقترن بكل مظهر من مظاهر الرقى فى الأزهر . وبكل نزعة من نزعات التجديد فى الفكر الأزهرى .

والقراء يذكرون رسالته فى مؤتمر الأديان العالمى التى ظفرت بالإعجاب والثناء وترجمت إلى لغات العالم وانتخب بها الأستاذ الأكبر رئيساً فخرياً للمؤتمر ودروسه الدينية التى كان يستمع إليها الملك ومحاضراته ومقالاته التى كان يوافى بها الصحف والمجلات . يذكر القراء والمثقفون ذلك . فيشعرون مع الأزهريين بخسارة كبرى أصابت العالم الإسلامى والشرق العربى ومصر فى رجل كان مفخرة من مفاخر الشرق وجوهرة فى تاج العالم الإسلامى .

تشييع الجنازة فى مشهد شعبى رهيب

هذا وقد شيعت أمس جنازة الفقيد الجليل فى احتفال شعبى لم يسبق له مثيل فى جنازات العلماء والأئمة الأعلام .

فما كادت تجاوز الساعة الثالثة حتى أخذ علماء الأزهر وشيوخ المعاهد وطلبة الأزهر يتوافدون على ميـــدان الخديوى إسماعيل وقد أقيم فيه سرادق فسيح لجلوس كبار المشيعين من العظماء والوزراء والأعيان ورجال السلك السياسى ، وضباط الجيش ورجال القضاء والأطباء وأعضاء البرلمان ورجال المحاماه ووفود الأقاليم ووفود الهيئات المختلفة وأساتذة الجامعة والمعاهد المصرية والأجنبية ورجال الدين وطلبة الجامعة . واكتظ السرادق وميدان الخديوى إسماعيل بألوف المشيعين وازدحمت الشوارع التى مر بها موكب الجنازة بعشرات الألوف من جماهير الشعب يبدو عليها الأسى ويمتلكها الأسف والحزن ووقفت قوات كبيرة من رجال البوليس تحافظ على النظام فى الميـــدان ، وعلى جانبى الشوارع والميادين من ميدان الخديوى إسماعيل إلى ميدان الأزهر بإشراف اللواء رسل باشا واللواء سليم زكى باشا . ووقف أمام السرادق لاستقبال الوافدين أسرة الفقيد وأصحاب الفضيلة مدير الأزهر والمعاهد الدينية ووكيل الجامع الأزهر ووكيل الأوقاف المساعد وشيوخ المعـــاهد وحضرات المفتشين وكبار الموظفين فى الأزهر والأستاذ الجديلى مراقب الشئون الدينية فى مجلس الوزراء وأحمد شرف الدين بك .

وفى الساعة الخامسة والنصف بدأ سير الجنازة بانتظام مهيب وفى المقدمة صفوف من فرسان البوليس وخلفهم لفيف من ضباط البوليس فأعضاء نقابة شركة سيارات أوتوبيس القاهرة فطلبة كليات الأزهر ومعهد القاهرة فى صفوف منتظمة بأعلامهم المنكسة فالنعش محمولا على الأعناق وقد وضع الجثمان فى خشبة مكشوفة ملفوفاً فى شال من الكشمير الثمين .

وسار خلف نعش الفقيـــد هيئة كبار العلماء فحضرة صاحب المعالى

عبد اللطيف طلعت باشا نائب الملك وسمو الأمير سيف الإسلام ، وحضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء ، فأصحاب المعالى مكرم عبيد باشا ، محمود غالب باشا ، مصطفى عبد الرازق باشا ، أحمد عبدالغفار باشا ، إبراهيم عبد الهادى باشا ، حافظ رمضان باشا ، حفنى محمود بك ، الأستاذ السيد سليم . عبد المجيد بدر بك ، عبد الرازق السنهورى بك ، طه السباعى بك ، حسين راضى بك الوزير المفوض بالخارجية ، نائباً عن معالى وزير الخارجية ووكلاء الوزارات والرؤساء الروحانيون ، وفؤاد سراج الدين باشا ، والدكتور النقيب باشا ، والأستاذ إبراهيم عبد الوهاب مندوب رئيس مجلس الشيوخ ، وعبد الرحمن عزام بك ، ومستر سمارت السكرتير الشرقى ووزير الصين المفوض ، والفريق محمد حيدر باشا ، واللواء حسين محمود باشا ، وخالد حسنين باشا ، وأحمد حمزة بك والأستاذ محمود سليمان غنام ، والدكتور طه حسين بك ، ومحرم فهيم بك ، وعبد الرزاق القاضى بك ، وعلى هانىء بك ، وحسن رزق بك ، والدكتور نجيب اسكندر بك ، والقائمون بأعمال مفوضيات ألبانيا والمملكة العربية السعودية وهولندا وتشيكوسلوفاكيا وغيرهم .

فى الأزهر

واستأنف المشهد سيره مخترقاً ميدان إبراهيم باشا ، فيدان الملكة فريدة ، فشارع الأزهر ، فالجامع الأزهر . وكان الزحام فى ميدان الملكة فريدة وشارع الأزهر يفوق حد الوصف وعبرات الجماهير وأناته تفتت القلوب . وكان المؤذنون فى مآذن المساجد يرتلون آى الذكر الحكيم حتى إذا وصل الموكب إلى الأزهر حمل النعش إلى الجامع وأم المصلين على الفقيد فضيلة

الشيخ عبد الرحمن عليش ، ثم وقف على المنبر سعادة السيد محمد صاق المجددى.
فأبن الفقيد بكلمة مؤثرة كان يتخللها بكاؤه فأبكى الحاضرين وأبلغ عزاء ملك أفغانستان إلى ملك مصر والأمة المصرية والعالم الإسلامى وألقيت قصائد الرثاء من لفيف من العلماء والطلبة بين البكاء والنحيب . وبعد الصلاة أبى الطلبة ألا حمل النعش على أكتافهم بدل حمله فى سيارة فحملوه واخترقوا شارع الأزهر فشارع الغورية والمغربلين والسيوفية فالسيدة نفيسة إلى مدفن الأسرة حيث وسد الفقيد الكريم التراب وسط البكاء والنحيب وبحضور كبار العلماء والعظماء وكبار رجال الدولة . وقد تليت المراثى ، وعددت مآثر الإمام المصلح الكبير .

وتقبل أنجال الفقيد وآله العزاء .

رحم الله الإمام المراغى رحمة واسعة وألهم الأمة المصرية والعالم الإسلامى الصبر والسلوان .

فى المأتم

وفى المساء وفد على دار الفقيد فى حلوان : العلماء والعظماء والأعيان وشتى طبقات الشعب معزين فى الراحل الكريم » .

كيف مات شيخ الأزهر (١)

كانت وفاة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى خسارة كبرى ، لا لمصر وحدها ، بل للأمم الإسلامية كلها . ومن الغريب أنه كان موفور الصحة والعافية ، ولم يمت بأى مرض ، فقد كان يصطاف بعزبته القريبة من الاسكندرية مع أولاده وأسرته ، حتى إذا أقبل شهر رمضان سافر وحده إلى الاسكندرية وهو أحسن صحة لإلقاء الأحاديث الدينية ، غير أنه مالبث أن أصيب بأنفلونزا خفيفة . سرعان ماشفى منها ، ثم رأى رحمه الله أن يأخذ جانبا من حقن البنسلين ، ولما كانت هذه الحقن تحتاج إلى عناية خاصة . آثر أن يدخل مستشفى المواساة قبل أن يتوفى بأيام ولم يكن يشكو شيئا ، وكان يقضى الوقت فى كتابة تفسير القرآن ، لكنه كان يحس أن أجله قد دنا قبل أن يموت بعدة أسابيع ، فكان يذكر الموت ، وكان يذكر النهاية فى بعض أحاديثه لأبنائه وكان يشير إليهم بالوصايا بين حين وآخر . ونذكر أن نجله الأكبر الأستاذ مرتضى المراغى كان يحادثه يوما عن نظام خاص لطعامه فأجاب قائلا : يا ابنى لم يبق من العمر إلا فترة يسيرة لا تستحق هذا النظام .

وفى يوم وفاته وهو يوم ٢١ أغسطس كان موفور الصحـة ، بل كانت صحته فى ذلك اليوم خيرا منها فى أى يوم مضى ، فكان يقابل زواره ويودعهم إلى باب المستشفى ، وفى المساء وبعـد أن تناول فطوره قابل بعض زواره ، وكان منـــذ الصباح مغتبطا مرحا لم يتألم من شىء حتى إذا ودع زواره فى المساء أكب على كتابة تفسير القرآن ، وكان يفسر سورة القدر ليلقى حديثا

(١) نشرت بالمصور عقب وفاته فى ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٤ ﻫ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٥ م

عنها فى ليلة القدر ، وقد ذهب فى تفسيرها مذهبا جديدا ، فرأى أن هذه الليلة كانت أول ليلة بدأت فيها الامبراطورية الإسلامية « إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر » . فهى المهرجان الأول فى حياة هذه الامبراطورية العظيمة ، وهى خير من ألف شهر لهذا المعنى .

وفى الساعة الحادية عشرة من مساء هذا اليوم أقبلت الممرضة الأجنبية فرأته مكبا على الكتابة فأشفقت على صحته وطلبت منه أن يستريح فلم يقبل .

وبعد قليل دخل عليه الدكتور النقيب فحياه وجس نبضه فوجده عاديا ، فلاطفه الشيخ الأكبر وقال له فى ابتسام : مهما عملتم أيها الأطباء ، فإنى أشعر أن طبكم هذه المرة لن يفيد شيئا ، فأكد له النقيب أن نبضه حسن وأنه يستمتع بصحة جيدة . وخرج بعد أن قضى مدة لطيفة مع فضيلته ، ولكنه ما كاد يصل إلى مكتبه حتى دعى حالا إلى غرفة الشيخ الأكبر فأسرع إليه فوجده ـ رحمه الله ـ قد فارق الدنيا وأخبرته الممرضة أنه بعد خروجه من الغرفة طوى أوراقه وأوى إلى سريره . وما كاد يستلق عليه حتى صعدت روحه إلى ربها .

التعـازى

لمراسل الأهرام من بيروت فى ١٩٤٥/٨/٢٣ م .

قوبل نعى المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى بأبلغ مظاهر الحزن والأسف ، وقد نشرت الصحف مقالات ضمنتها رثاء الفقيد العظيم ، ونوهت بما أسداه إلى الأزهر وإلى العالم الإسلامى من الخدمات وأرسل مفتى لبنان برقية عزاء .

وستقام غداً فى سوريا ولبنان صلاة الغائب على روح الفقيد .

لمراسل الأهرام من القدس فى ١٩٤٥/٨/٢٣ م .

تقام غداً فى أكثر المدن الفلسطينية صلاة الغائب على روح المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، وقد أبنته الصحف العربية الصـــادرة صباح اليوم تأبينا حارا معزية فيه مصر والإسلام والعرب .

وقد أرسل رئيس الجمهورية السورية إلى ملك مصر تعزية قال فيها : تلقيت بأسف بالغ نبأ وفاة الفقيد العلامة شيخ الأزهر الأكبر ، وإنى إذ أبعث إلى جلالتكم بخالص التعازى لمصاب مصر والإسلام بالفقيد الكريم، أرجو للراحل من الله تعالى جزيل الرحمة والرضا .

تعزية مجلس الكنيسة الانجليزية فى وفاته

لمراسل الأهرام فى ٧/١٠/١٩٤٥ م .

أرسل المستر دوجلاس رئيس مجلس الكنيسة فى انجلترا للشئون الخارجية إلى السفير البريطانى كتابا لمناسبة وفاة المغفور له الأستاذ الشيخ المراغى قال فيه :

إن فقده يعد خسارة فادحة يشعر بها على الأخص هؤلاء الذين كان لهم حظ الاتصال به والوقوف على ما كانت تنطوى عليه نفسه من المبادىء النبيلة مبادىء الأخوة والحرية والعدالة البشرية التى هى روح الإسلام هذا إلى جانب تسامحه ومساعيه للوفاق مع المسيحيين .

ثم اختتم المستر دوجلاس كتابه قائلا : وإنى لأجترىء فى غيبة رئيس أساقفة كانتربرى على تقديم تعزيتى بصفة رسمية وقلبية إلى العالم بأسره وإلى الجامعة الأزهرية مركز الثقافة الإسلامية العظيم خاصة وأرجو أن يظل العمل الذى قام به الفقيد متواصلا يؤتى ثمره .

لمراسل الأهرام من عدن :

كان لنبأ وفاة المغفور له الشيخ المراغى صدى أليم فى النفوس ، وقد صلى عليه فى المساجد صلاة الغائب ، وقام كثيرون بتأبينه منوهين بأعماله وخدماته فى النهوض بالجامعة الأزهرية التى تنبعث منها الثقافة الإسلامية إلى العرب جميعا .

لمراسل المقطم من لندن :

أفضى اليوم الشيخ جلال الدين شمس ، إمام مسجد لندن لوكالة الأنباء العربية بقوله :

إن مسلمى لندن تلقوا نعى المغفور له شيخ الجامع الأزهر ببالغ الحزن والأسى ، ولقد فقد الأزهر والإسلام رجلا عظيما .

لمراسل الكتلة من بيروت فى ١٩٤٥/٨/٢٣

قوبل نعى المغفور له فضيلة الشيخ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بكثير من الأسف ، وتقام صلاة الغائب على روحه غدا بكافة مساجد لبنان وسوريا وفلسطين . وقد أبنته الصحف العربية الصادرة صباح اليوم تأبينا حارا معزية فيه مصر والإسلام والعرب .

وأرجأت جمعية الشبان المسلمين بالأسكندرية الحفلات التى كان يتضمنها برنامج الأسبوع إلى موعد آخر حدادا على المغفور له الشيخ المراغى .

وأرجأت جمعية الدعاية للحج حفلة السمر التى كانت ستقيمها لاستقبال كبار الضيوف العرب حدادا على الفقيد .

لمراسل الأهرام من الأسكندرية فى ١٩٤٥/٨/٣٠

تلقى رئيس حكومة مصر من سمو الأمير منصور نائب جلالة ملك الحجاز برقية أعرب فيها عن حزنه على وفاة الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ المراغى الذى فقده المسلمون عامة ودعا الله أن يتغمده بغفرانه ويعوض الإسلام والمسلمين فى فقده خيرا .

وتلقى أيضا برقية من السيد محمد راغب وزير خارجية الحكومة اليمنية يعزى بها مصر والعالم الإسلامى فى وفاة الفقيد .

وتلقى من رئيس الوزارة السورية برقية يقدم فيها تعزية سوريا فى الفاجعة التى منى بها العلم والفضل بوفاة العالم الجليل الشيخ المراغى .

وتلقى برقية أيضا من السيد سعد الله الجابرى رئيس مجلس النواب السورى أعرب فيها عما تركته وفاة فقيد الإسلام من أثر بالغ سائلا للجميع من الله الصبر وحسن العوض .

وتلقى جريدة الأهرام الزعيم الايرانى المعروف السيد ضياء الدين الطباطبائى : أرجو إبلاغ تعازى الأمة الايرانية لمناسبة الخسارة الكبيرة التى أصابت الإسلام بفقد السيد الجليل الشيخ المراغى .

ووردت إلى جريدة الأهرام برقية من علماء حلب يعزون فيها مصر فى وفاة الفقيد العظيم ويدعون الله أن يعوضها فيه خير العوض .

وقرر اتحاد العلماء وقف جلساته الأسبوعية لمدة شهر حدادا على الراحل الكريم .

حفلات التأبين

نشرت الأهرام بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٣٦٤ هـ ، الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ م ما يأتى :

تأبين الشيخ المراغى فى مجلس الأزهر

عقد مجلس الأزهر الأعلى بعد ظهر أمس اجتماعاً رأسه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ مأمون الشناوى وكيل الجامع الأزهر . وافتتح بكلمة ألقاها فضيلته فى رثاء فقيد الإسلام والأزهر المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى، وقال فيها : لقـــد خسرنا بوفاته عالماً مصلحاً . كان فى الصف الأول من المجاهدين لخير الأزهر والإسلام .

مات فانهار بموته عماد من عمد الأزهر متين . كان رحمه الله متين الحجة ، قوى البيان ، واسع الأفق . كان يؤمن بأن فى صلاح الأزهر وصلاح رجاله صلاح المسلمين واستعادة مجدهم وقوتهم فعمل للإصلاح مااستطاع إلى ذلك سبيلا .

مات الشيخ المراغى . وقد كان رحمه الله معنا فى هذا المجلس حركة دائبة لا تفتر ، وعزيمة قوية لا تنثنى . فالخسارة بفقده كبيرة والرزء فيه عظيم. فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولعل خير ما نقدمه إلى روح فقيدنا العظيم أن نعمل متآزرين لخير الأزهر والأزهريين والإسلام والمسلمين ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وإنى أطلب من حضراتكم أن نقرأ له جميعا الفاتحة .

وبعد قراءة الفاتحة ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن مدير الجامع الأزهر كلمة ضافية عن خدمات الفقيد العظيم للعلم والدين ، وأنه

وقف حياته للأزهر فعمل فيه جهده المستطيع وأعلى كلمته فى المؤتمرات الدينية والتشريعية وترك فى كل منهــا أثرا لا ينسى ووضع النواة الأولى ليبسط الأزهر سلطانه الدينى فى جميع بقاع الأرض ، وختم كلمته باستمطار الرحمات على الفقيد وتمنى أن يجعل الله خلفه من رجال الأزهر علماً وعملاً لكى ينهض بالأزهر ويؤدى الرسالة التى يتمناها له محبو الأزهر .

ونشرت بتاريخ ١٩٤٥/٩/٢م لمراسلها بالإسكندرية ما يأتى

وزير الأوقاف يرثى الشيخ المراغى

لما افتتح معالى وزير الأوقاف اجتماع مجلس الأوقاف الأعلى أمس ، ألقى كلمة رثاء للمرحوم الأستــاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى . قال فيها :

رحم الله زميلنا الأكبر الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ، لقد كان بيننا مثال العقل الكامل ، والدين الكامل ، ولئن خسر مجلس الأوقاف الأعلى بفقده عضوا نافعا ، طيب الذكر والأثر . فقد خسرت مصر وطنياً عظيما وخسر الإسلام مؤمناً صالحاً مصلحاً . جزاه الله عنا خيراً وعوضنا فيه خيراً وأرجو أن تقرءوا معى الفاتحة فى خشوع وعظة على روح الفقيد الجليل .

ونشرت الأهرام بتاريخ ١ المحرم سنة ١٣٦٥ ، ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٥ لمراسلها بطنطا ما يأتى :

أقام معهد طنطا الدينى ـ بعد ظهر اليوم ـ حفلة تأبين للمغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى . فأقام لهذا الغرض سرادقاً كبيرا أمام المعهد اكتظ على سعته بالوافدين إليه . وقد شهد هذه الحفلة مدير الغربية موفداً من الملك . وحضرها أصحاب الفضيلة مدير المعاهد الدينية وشيوخ

المعاهد وكثير من العلماء والأعيان وكبار الموظفين وغيرهم ، وافتتحت بتلاوة آى من الذكر الحكيم ، ثم ألقى شيخ معهد طنطا كلمة نوه فيها بما كان عليه الفقيد من سعة العلم وما أثر عنه من التقوى والورع . وتعاقب من بعده الخطباء من العلماء مشيدين بمآثر الفقيد وما كان يتحلى به من كريم السجايا .

ثم وقف الأستاذ أحمد مرتضى المراغى نجل الفقيد فألقى كلمة توجه فيها إلى العلماء بالشكر على وفائهم وما أبدوه من شعور كريم .

واختتمت الحفلة على أثر ذلك بتلاوة بعض من آى القرآن الكريم .

ونشرت الأهرام بتاريخ ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣٦٤ هـ ، الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٥ م لمراسلها بالزقازيق ما يأتى :

أقيمت فى معهد الزقازيق الدينى حفلة تأبين للمغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى حضرها مدير الشرقية مندوباً من الملك يرافقه وكيل المديرية وحكمدار البوليس وشهدها أصحاب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ عبد السلام العسكرى ، والشيخ عبد الجليل عيسى وأساتذة المعهد الدينى وطلبته وغيرهم من العلماء والفضلاء .

وقد افتتحت الحفلة بآى الذكر الحكيم ، ثم ألقى الأستاذ حامد محيسن شيخ المعهد كلمة جامعة وتلاه الأستاذ دراز بكلمة عدد فيها مناقب الراحل العظيم وأعقبهما كثيرون من الخطباء فأشادوا بماله على الأزهر الشريف من أياد بيضاء .

وعلى أثر ذلك ألقى الأستاذ رشاد المراغى نجل الفقيد الكريم كلمة توجه فيها بالشكر إلى الملك كما شكر القائمين بها ثم اختتمت الحفلة بآى القرآن الكريم .

ونشرت لمراسلها من أسيوط ما يأتى :

أقام معهد فؤاد الأول الدينى فى أسيوط حفلة بعد الظهر لتأبين فقيد العلم والإسلام المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى وأناب الملك عنه فى شهودها عزيز أباظه باشا مدير أسيوط .

وكانت مشيخة المعهد قد أعدت فى فنائه الخارجى سرادقا يتسع لأربعة آلاف مدعو ، فما أزف موعد الحفلة حتى كان قد غص بالعلماء والطلاب فلما حان الموعد بدىء الاحتفال بتلاوة آى الذكر الحكيم ، ثم ألقى الأستاذ عبد السلام العسكرى شيخ المعهد كلمة الافتتاح ، وأعقبه الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز السكرتير العام للجامع الأزهر فتلا رسالة من صاحب المقام الرفيع حسنين باشا رئيس الديوان إلى سعادة مدير أسيوط يقول فيها :

أشارك سعادتكم وحضرات المجتمعين اليوم فى تأبين المغفور له فقيد الإسلام الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وفى تمجيد إمامته الخالدة الذكر ، الباقية الأثر . أجمل الله عزاء أهله وتلاميذه ومحبيه . وأجزل له من المثوبة والرضوان كفاء ما قدم لدينه وأسدى لوطنه .

ومضى الأستاذ دراز فألقى كلمة الأزهر فى الحفلة ثم تعاقب على موقف الخطابة العلماء والطلبة ، وعلى أثر ذلك ألقى الأستاذ أحمد مرتضى المراغى مدير بنى سويف كلمة الأسرة فى شكر المحتفلين وختمت الحفلة كما بدئت بآى الذكر الحكيم .

ونشرت الأهرام فى ١ شوال سنة ١٣٦٤ هـ . الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ما يأتى :

أقامت جمعية المحافظة على القرآن الكريم بحلوان الحمامات حفلة تأبين فى دارها للمغفور له الرئيس الفخرى للجمعية وقد حضر هذه الحفلة كثير من أبناء حلوان وألقى فيها رئيس الجمعية ونائب رئيسها كلمتى تأبين ، ثم ألقى فضيلة الشيخ محمد عثمان كبير مفتشى الوعظ كلمة الأزهر واختتمها الأستاذ أحمد مصطفى المراغى بكلمة شكر باسم الأسرة وستقوم الجمعية بجمع خطب الفقيد فى سفر خاص تخليدا لذكراه .

ونشرت جريدة الكتلة فى ١٩٤٥/١٠/١ ما يأتى :

أقام اتحاد طلبة الأزهر فى أبى تيج حفلة تأبين لفقيد العلم والدين فضيلة الأستاذ الشيخ المراغى فى سرادق فخم أمه عدد كبير من الموظفين والتجار والأعيان يتقدمهم فضيلة الأستاذ شيخ معهد فؤاد بأسيوط ومأمور مركز أبو تيج نائبا عن سعادة مدير أسيوط وأصحاب الفضيلة العلماء ورجال القضاء والطب وألقيت الخطب المناسبة فى تعداد مناقب الفقيد ، وقد ظل الجميع يستمعون إلى آى الذكر إلى ساعة متأخرة من الليل . وأرسل الأستاذ مرتضى المراغى مدير بنى سويف برقية شكر واعتذار .

تخليد ذكراه

الإمام المراغى وتخليد ذكراه(١)

للأستاذ أحمد العسكرى

رفع بعض أعضاء جماعة كبار العلماء إلى مشيخة الأزهر كتاباً طلبوا فيه أن تنظر الجماعة فى الطريقة التى يصح أن تعمل بها مشيخة الأزهر على تخليد ذكرى الإمام المغفور له الشيخ المراغى ، وقالوا فى أسباب هذا الاقتراح : إن الإمام قد وثب بالأزهر والأزهريين فيما قام به من الإصلاح وثبة جريئة موفقة كان من شأنها أن صار الأزهر ، وأن صار الأزهريون إلى ما يرفع شأنهم ويعيد لهم سالف ما كانوا عليه من عز وسلطان .

ولا شك أن من حقه على الأزهر اليوم ، وقد صار إلى جوار ربه أن يفيه حقه من التقدير فيعمل على تخليد ذكراه ، ونحن الذين عرفنا الشيخ الإمام قرابة سبعة عشر عاماً ووقفنا على خلاله ومزاياه ، وجعلناه مضرب المثل فى محافل العلم ، يجدر بنا أن نذكر فى هذه المناسبة إجماع الكلمة على تأييد هذا الاقتراح ونعمل على تنفيذه فما كان الإمام لرجل دون آخر ، أو لحزب دون حزب ، أو لطائفة دون طائفة .

وأشهد أنه لم يبد رأياً سياسياً يناصر به حزباً على آخر طيلة أيام حياته ، وإنما كان رجلا مثالياً فى خلقه وكرامته ورجولته وفى إيثاره معنى الوفاء والمروءة فأحبه الناس جميعاً والتفوا حوله وكان منهم فى مقام المرشد والناصح وذى الرأى السديد .

ولذلك كان مضرب المثل فى مقام الأمانة الصادقة المصلحة الكريمة .

---

(١) نشرت بجريدة الأهرام عقب وفاته .

خلدوا ذكراه(١)

أجمع الكل على أن البلاد فقدت شخصية لا تعوض وهى شخصية الفقيد الجليل «الشيخ المراغى» اختاره الله لجواره فى سن الرابعة والستين.. وقد كان أمامه عمل كبير لو أن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يمد فى عمره. ومع ذلك فقد كان تاريخه عامراً فى دنيا السياسة والوطنية والدين والعلم والتعليم. وعندما يشرح المؤرخون تاريخ الفقيد يعلم الذين لا يعلمون أنه كان قطباً مصرياً فى طليعة الأقطاب الأحياء والأموات.

وقد درجت مصر على تقليد كريم فى تكريم أفذاذها فتقرر «تخليد ذكرى الكثيرين منهم» ولكننا نلاحظ أن ذلك التخليد اقتصر على السياسيين والاقتصاديين دون غيرهم فهنا لون جديد جدير بالتكريم وتخليد الذكرى.

(١) نشر بالمصور فى ٨ شوال سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥م

استدراك

أشرت فى كلماتى السابقة إلى مؤلفات الشيخ المراغى إجمالا وهذا تفصيلها :

١ — كتاب الأولياء والمحجورين ، وهو مخطوط بالمكتبة الأزهرية .

٢ — بحث فى ترجمة القرآن الكريم وأحكامها وهو مطبوع بمطبعة الرغائب سنة ١٩٣٦ م .

٣ — رسالة فى موضوع الزمالة الإنسانية كتبها لمؤتمر الأديان بلندن سنة ١٩٣٦م وهى مطبوعة بمطبعة الرغائب فى السنة المذكورة .

٤ — بحوث فى التشريع الإسلامى ، وأسانيد قانون الزواج رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ م وهو مطبوع بالقاهرة .

٥ — مباحث لغوية بلاغية كتبها أثناء تدريسه لكتاب التحرير فى الأصول وعندى منها نسخة خطية .

٦ — الدروس الدينية : وهى تفسير لبعض السور والآيات من القرآن الكريم ألقاها فى احتفالات عامة بمساجد القاهرة والاسكندرية واستمع إليها الملك السابق والوزراء وكبار الموظفين وجماهير من الشعب فى عشيات رمضان من سنة ١٣٥٦ إلى ١٣٦٤ هـ .

والسور هى : لقمان . الحجرات . الحديد . العصر .

والآيات هى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب — إلى قوله تعالى — وأولئك هم المتقون » من سورة البقرة .

وقوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام — إلى قوله تعالى — لعلهم

يرشدون» من سورة البقرة .

وقوله تعالى : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم - إلى قوله - وموعظة للمتقين» من سورة آل عمران .

وقوله تعالى : «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - إلى قوله تعالى - ذلك خير وأحسن تأويلا» من سورة النساء .

وقوله تعالى : «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله تعالى - ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» من سورة الأنعام .

وقوله تعالى : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» - إلى آخر السورة المذكورة .

وقوله تعالى : «المص كتاب أنزل إليك - إلى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون» من سورة الأعراف .

وقوله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف» - إلى آخر السورة المذكورة .

وقوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول - إلى قوله تعالى - والله ذو الفضل العظيم» من سورة الأنفال .

وقوله تعالى «فاستقم كما أمرت» إلى آخر سورة هود .

وقوله تعالى : «أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - إلى قوله تعالى - فنعم عقبى الدار» من سورة الرعد .

وقوله تعالى : «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - إلى قوله تعالى - ويجعل لك قصورا» من سورة الفرقان .

وقوله تعالى : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا» إلى آخر السورة المذكورة .

وقوله تعالى . «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا» إلى آخر سورة القصص .

وقوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - إلى قوله تعالى - وإما ينزغنك من الشيطان نزغ» من سورة فصلت .

وقوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا - إلى قوله تعالى - وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب» من سورة الشورى .

وقد نشرت هذه الدروس فى مجلة الأزهر فى السنوات المذكورة وطبعت مستقلة فى أجزاء متفرقة بمطبعة الأزهر وطبعت منها دار الهلال السور الكاملة فى كتاب مستقل سنة ١٩٥٢م.

تم والحمد لله ماقصدت

فهرس

	ص
١ — الشيخ المراغى : ملخص الترجمة حياته	٥
٢ — الشيخ المراغى والأزهر : لأبى الوفاء المراغى	١٢
٣ — خطبة فى إصلاح الأزهر : للشيخ المراغى	٢١
٤ — مذكرة الشيخ المراغى لإصلاح الأزهر : للشيخ المراغى	٢٦
٥ — الشيخ المراغى والسياسة : لأبى الوفاء المراغى	٤١
٦ — « « فى حياته العامة « «	٤٥
٧ — « « « « الخاصة « «	٥١
٨ — الشيخ المراغى : للسيد المجددى سفير الأفغان بالقاهرة	٥٤
٩ — الإمام المراغى : للسيد أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف	٥٦
١٠ — ذكرى الامام المراغى : للسيد أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف	٥٨
١١ — المراغى فى مرآة التاريخ : للسيد أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف	٦١
١٢ — ذكرى الإمام المراغى : للسيد أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف	٦٤
١٣ — إمام يحيى ذكرى إمام : للأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم	٦٦
١٤ — ذكرى المراغى : للأستاذ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء	٧٠

ص

١٥ — ذكرى الإمام المراغى : للأستاذ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية ٧٣
١٦ — المراغى : للأستاذ فكرى أباظة ٧٥
١٧ — الإمام المراغى : للأستاذ كامل الشناوى ٧٧
١٨ — وجوه أطفئت : للأستاذ عباس العقاد ٧٩
١٩ — مات الإمام المراغى : قلم تحرير مجلة الرسالة ٨١
٢٠ — الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : للأستاذ سعيد لطفى ٨٣
٢١ — أبى الأستاذ الأكبر : للأستاذ أحمد مرتضى المراغى ٨٥
٢٢ — الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : للأستاذ حسنين محمد مخلوف ٨٧
٢٣ — صديق ورئيسى : للأستاذ محمود أبو العيون سكرتير الأزهر ٨٩
٢٤ — قصيدة فى حفلة التكريم : للأستاذ محمد الأسمر ٩٢
٢٥ — « فى تهنئة . تهنئة أخرى « « « ٩٥
« فى رثاء الشيخ المراغى « « « ٩٦
٢٦ — الأزهر ... وشيخ الأزهر تحرير مجلة الأخبار ٩٧
٢٧ — ذكرى الإمام المراغى : تحرير جريدة المصري ١٠٣
٢٨ — محمد مصطفى المراغى : للأستاذ محيى الدين عبد الحميد ١٠٧
٢٩ — الأستاذ الأكبر . قصيدة : للأستاذ عبد الجواد رمضان ١٢٤
٣٠ — العلامة المراغى : للعلامة محمد كرد على ١٢٦
٣١ — فى رثاء ساكن الجنان : للأستاذ عبد الله حمزة ١٤٣
٣٢ — المراغى المصلح نبوءة الإمام : للأستاذ عبد الجليل عيسى ١٤٥
٣٣ — الامام المراغى : للأستاذ محمد عرفة ١٤٨

	ص
٣٤ ـ الشيخ المراغي : للأستاذ منصور رجب	١٥١
٣٥ ـ الامام المراغي في يوم ذكراه : للأستاذ علي عبد الهادي	١٥٣
٣٦ ـ من المرأة المصرية إلى روح الامام : للسيدة منيرة ثابت	١٥٥
٣٧ ـ الشيخ المراغي : للسيد . ر . ع السادات	١٥٩
٣٨ ـ من الذاكرة . محمد مصطفى المراغي : للأستاذ عبد المنعم البهي	١٦١
٣٩ ـ المراغي الأديب : للأستاذ عبد الجواد رمضان	١٦٦
٤٠ ـ ذكرى الامام المراغي : للأستاذ عبدالعزيز سيد موسى	١٦٩
٤١ ـ اذكروه : للأستاذ أحمد العسكري	١٧١
٤٢ ـ الشيخ المراغي : » » »	١٧٤
٤٣ ـ ذكرى الامام المراغي : » محمود بكر هلال	١٧٧
٤٤ ـ في تأبين الامام المراغي : » سليمان الأغاني	١٧٩
٤٥ ـ الامام المراغي : » علي عبد الهادي	١٨٦
٤٦ ـ الامام المراغي : » محمد عثمان	١٨٨
٤٧ ـ الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي : للأستاذ أحمد جمعة	١٩٣
٤٨ ـ آخر حديث لي مع الأستاذ الأكبر : » مأمون الشناوي	٢٠٢
٤٩ ـ اللحظات الأخيرة في حياة الفقيد : تحرير مجلة الصباح	٢٠٤

---

٥٠ ـ نماذج من دروس الشيخ المراغي وخطبه وأحاديثه	٢٠٧
٥١ ـ وفاة الشيخ المراغي وتشييع جنازته	٢٤٩
٥٢ ـ نعي الهيئات	٢٥٠
٥٣ ـ نعي الصحف	٢٥٣

	ص
٥٤ — كيف مات شيخ الأزهر	٢٧٦
٥٥ — التعـــازى	٢٧٨
٥٦ — حفلات التأبين	٢٨٢
٥٧ — تخليد ذكراه	٢٨٧
٥٨ — خلدوا ذكراه	٢٨٨
٥٩ — استدراك	٢٨٩

تصويب

س	ص	الخطأ	الصواب
١٩	٥	لابثه	لابسه
٤	٥٢	أبناؤه	أبناءه
١٤	٧٢	على من	على ما
٢١	..	بعض	من بعض
٩	٧٩	وجدناه المحافظة	وجدناه شديد المحافظة
١٠	..	أو عجمية	أو أعجمية
١٠	..	يسبغ	يسيغ
١٤	..	تعقيدا	تقعيدا
٥	١١٩	بهـا	بمـا
٤	١٣٠	بتدريس	تدريس
١٦	١٣٦	خصومته	خصومه
٤	١٣٨	الذين	الدين
٥	١٤٧	اسطاعتها	استطاعتها
١٨	...	لك	لكل
١٢	١٨٠	مفترقها	مفترقها
١١	٢٠٨	وأنجاد	وإنجاء
١٠	٢١١	جعله	اجعله
٦	٢٢٤	بالمنكر	عن المنكر
٩	٢٢٧	بقلوبكم	بقولكم

تنبيه : سقطت فى س ٢٢ص ٢١١ بعد كلمة يفزع هذه الكلمات : «إلى أحد سواها ومن الناس من يرضى بحاله ولايفزع» .

